Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المملكة العربية السعودية
المدينة المنورة
الجامعة الإسلامية

تأثير القرآن الكريم
في دراسة اللغة العربية

خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية "الماجستير" من شعبة "اللغويات" بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

إعداد
عبد الرحمن محمد سعد الجيلي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
رقم التسجيل العام ٣٣٠
الخاص
١٤ / ٥

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
١٩ / ٥ / ١٤
قسم المخطوطات

بإشراف
الأستاذ الدكتور محمد مصطفى رمضان

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

"رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي"

طه: ٢٥-٢٦

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

قال الله تعالىٰ فى وصف القرآن العظيم :

نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ

عَلَىٰ قَلْبِكَ

لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ

بِلِسَانٍ

عَرَبِيٍّ

مُّبِينٍ

الشعراء ١٩٣-١٩٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: منهج الرسالـــة ::

مقدمـــــــة

الفصل الأول : القرآن الكريم

وينتظم المباحث التالية :

- معناه واشتقاقه
- توثيق نصه الشريف
- قراءاتـــــه

الفصل الثاني : لغة القـــرآن

وينتظم المباحث التالية :

- نشأتهـــــا
- اكتمالهـــــا
- أصل الفصحى
- أثر الاسلام فيها

الفصل الثالث : جمع اللغـــــة

وينتظم المباحث التالية :

- اللحـــن
- الروايـــة
- التدوين
- التأليف اللغوى

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع : ضبط اللغـــة

وينتظم المباحث التالية :

- النقط والشكل
- الدراسة الصوتية
- الدراسة النحوية

الفصل الخامس : التفسير اللغـــوى

وينتظم المباحث التالية :

- مقدمـــــة
- غريب القرآن
- لغات القرآن
- معانى القرآن

خاتمـــــــة

المصادر والمراجع

محتويات الرسالة

* * *

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد :

فلقد شاءت ارادة الله ، سبحانه وتعالى ، أن يكون الاسلام آخر دياناته ، ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم رسله ، والقرآن سلك كتبه ، وأن ينزل هذا القرآن المعجز بلغة العرب الذين بعث فيهم نبى الرحمة هاديا ومبشرا ونذيرا • فاكتسبت هذه اللغة الشرف والرفعة والسمو ، لأنها محتوى ألفاظه ، ومستودع أحكامه ، وسر اعجازه وبيانه ، كما اكتسبت صفة الدوام والبقاء من دوامه وبقائه • " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " •

ومنذ أن نزل القرآن الكريم ، وهو فى صدور المؤمنين وقلوبهم، يحيطونه بالرعاية والعناية ، ويتفانون فى خدمته نصا ومعنى ، حتى هيأ الله له من يجمعه فى مصحف واحد ، وبين دفتى كتاب لا يزال يقرأ ، وسيظل يتلى ، يهدى ويرشد ، كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات •

وما كان القرآن ليقصر أثره على أن يحول عقيدة الجاهلية الى عقيدة الهية سامية ، تؤمن باله واحد ، وتتبع شريعة واحدة ، وتسير وفق منهاج ربانى واضح فحسب ، وانما أحدث الى جانب ذلك انقلابا فكريا فى شئون الحياة الجاهلية ومختلف مظاهرها ، عده المؤرخون نقطة تحول هائلة فى تاريخ العرب والبشرية جمعاء •

ولم تكن اللغة بمعزل عن هذا الأثر الذى شمل مناحى الحياة ، فقد صيرها ينبوعا صافيا يروى النفوس العطاش ، ويملؤها بالآمال ، وساق لها الأسباب التى جعلتها أرقى اللغات ، فأصبحت مرتادا لكل طالب ،

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ومنتجعا لكل قاصد ، وأقبل عليها العلماء يغوصون فى بحارها ، ويقطفون من ثمارها ، حتى نشطت حركات علومها العربية فى شتى نواحيها •

ولئن كانت العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وغيرها قد سبقت فى التأثر بالقرآن ، فقد كانت علوم العربية ، نحوها وصرفها وفقهها ودلالتهـــا ومعاجمها ، سباقة الى التأثر بهذا الكتاب العظيم ، مواكبة للحركة العلميـة بين المسلمين ، ولم يكد يبدأ التدوين حتى كثرت المصنفات اللغويـــــة ، واستوت على سوقها ، وأخذت تمطر المكتبة العربية بالعديد من الرسائـــل والكتب على اختلاف أنواعها وأحجامها وصار التصنيف اللغوى فنا له كيانـه واستقلاله •

من هنا اتجهت الى هذه الحركة اللغوية الناشئة فى أحضان الاسلام ، وفكرت فى ايثارها بالدراسة لبيان تأثير القرآن الكريم فيها ، والدور الذى قام به لحفز الهمم تجاه اللغة العربية لغة القرآن •

وقد حببنى فى هذا البحث النافع توفيق من الله ، وتشجيع مـــن استاذى المشرف ، ورغبة ملحة فى نفسى ، فشمرت عن ساعد الجد ، وألقيت بدلوى فيه ، عسى أن أصل فيه الى نتائج ترضى هذه الدوافع الـــتى شدتنى اليه شدا عنيفا •

وهكذا عقدت العزم ، واستعنت بالمولى جلت قدرته على متابعـــة هذا الأثر فى دراسة اللغة العربية ، مقتصرا فى مسيرتى على القرون الثلاثـة الأولى من عمر الاسلام ، وما بدا من ملامحه فى نشأة العلوم اللغوية وتطورهـا وما وضح من قسماته على مؤلفاتها — وان تباينت درجات التأثر ، وتفاوتـــت مراتبها — لأنها تلتقى جميعا عند هدف واحد هو خدمة النص القرآنـــى

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

من جميع وجوهه ، ليسهل الوقوف على مقاصده بأيسر الطرق •

وليس من شك فى أن هذا الأثر بقى واضحا فى فروع اللغة مستمـــرا لا يخبو له نور ، حتى جاوز القرن الثالث الى قرون أخر ، قامت بهـــا دراسات لغوية تستمد القوة من الله تعالى والهداية من كتابه العزيـــز ، وكاد التأليف بها يستقل ، اذ لم يكن ثمة داع الى التداخل فيه بعامـــة اللهم الا اذا جنح المؤلف الى ذلك •

وقد قسمت موضوع الرسالة الى فصول ، كما هو موضح فى منهج الرسالة ، وسرت فى الدراسة والبحث واضعا نصب عينى وحدة الموضوع ، وترابـــط الأفكار ، وأن تسلم كل خطوة الى مابعدها ، وما عسى أن يكون هناك مـــن تطور ونمو ، دون اغفال للترتيب الزمنى فى وفاة العلماء أو سواها — حيـــن يدعو الأمر — لتتضح الطرق الموصلة الى الأهداف والغايات •

وبعد ، فلا أدعى الكمال فيما اشتملت عليه رسالتى ، لأن الكمال للـه وحده ، لكنى لا أبالغ اذا قلت انى رجعت من أجلها الى العديد مـــن المصادر والمراجع ، وانتفعت بها فيما سجلته بهذه الرسالة ، غير أنـــى ماكتبت شيئا الا بعد اعمال الفكر ، وانعام النظر ، لأصل فيما أكتب الى مـا أبتغى من المستوى الرفيع للكتابة عن لغتنا الحبيبة •

على أن الذى أعتز به ، وأدعيه لنفسى هو فكرة موضوع الرسالة مـــن أساسه ، وطريقة تنظيمه ، وربط أجزائه ، وفق ماتبين لى من تنوع آثـــار القرآن الكريم فى الدراسة اللغوية العربية ، وكنت فيما فعلت سابقا لا مسبوقا ، اذ لم أجد أحدا قبلى نهج منهجى ، أو نحا هذا المنحى ، وسار فى هذا الطريق الذى سلكته •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

حمدا لله وشكرا ، اذ وفقنى الى ماصبوت اليه ، وأسبغ على نعمـــه فأتم لى ماأردت ، كل ذلك بفضل من الله العزيز ، ثم بجهد متواصـــــل دؤوب لا يعرف الكلل أو الارجاء من أستاذى المشرف الأستاذ " الدكتـــور محمد مصطفى رضوان " الذى لم يكتف بساعات الاشراف المحـــــدودة ، ففتح لى باب بيته لمواصلة البحث حتى نضجت رسالتى واكتملت بما أفـــاء عليها من علمه وأدبه وخلقه العظيم ، فجزاه الله عنى خير الجزاء .

وأود بذلك أن أكون قد أسهمت مع الباحثين فى اقامة صرح النهضـــة اللغوية المعاصرة ، الهادفة الى خدمة كتاب الله ، الداعية لدينه الحنيـف ان الدين عند الله الاسلام ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

عبد الرحمن محمد سعد الحجيلـــــى

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

القرآن الكريم

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: القـــــــرآن ::

معناه واشتقاقه :

القرآن : هو كلام الله عزوجل ، المنزل على نبيه محمد صلى اللـــه عليه وسلم ، المكتوب فى المصاحف ، المنقول الينـــــا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه (١) .

هكذا عرفه علماء الشريعة ، على اختلاف بينهم فى الصياغة ، تعريفـا اصطلاحيا يوضح حقيقته ويميزه عما عداه ، لكن التعريف الأكمل لا يتـــــم الا بالاشارة اليه ، فى المصاحف ، مشاهدا ، أو استحضاره فى الذهـــن معهودا .

أما علماء العربية ، فيختلفون فى اشتقاق لفظ "قرآن" وهل هـــــو مهموز أم لا ؟ :

١ — فذهب اللحيانى (ت : ٢٢٠هـ) والزجاج (ت : ٣١٠هـ) وآخرون الى أنه مصدر مهموز على وزن فعلان "كغفران" لكنهم يختلفون فى مورد اشتقاقه :

---

(١) ارشاد الفحول : ٢٩

ولا يدخل بعض الباحثين فى علوم القرآن النقل بالتواتر والكتابة فى المصاحف عند التحريف ، لتحقق القرآن بدونهما زمن النـــــبى صلى الله عليه وسلم .

(مناهل العرفان : ١/ ١٥) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

— فيرى اللحيانى وتابعوه أنه مشتق من الفعل (قرأ) بمعنى : تلا (١) . ثم سمى به المقروء ، وهو كلام الله عزوجل المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تسمية للمفعول بالمصدر (٢) ، ويشهد لمجيء " القرآن " مصدرا بمعنى القراءة ، قول الله تعالى : (ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) (٣) أى قراءته ، وقول حسان بن ثابت يرثى عثمان بن عفان رضى الله عنهما :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا (٤)

أى : قراءة .

— بينما يرى الزجاج أنه مشتق من "القرء" بمعنى : الجمع والضم ، ومنه قرأ الماء فى الحوض اذا جمعه وضمه ، ثم سمى بالوصف كلام الله عزوجل المنزل على نبيه للدلالة : على جمع السور والآيات فيه أو القصص والأوامر والنواهى . أو لكونه جامعا

---

(١) يرى بعضهم أن العرب لم تعرف هذا الاستعمال قبل الاسلام بل كانت تقول : " هذه الناقة لم تقرأ سلى قط " أى لم تحمل ملقوحا ولم تلد ولدا ، ثم أخذته من الآرامية واستعملته بمعنى التلاوة فجاء به القرآن فيما بعد .. انظر : مباحث فى علوم القرآن (الصالح) : ١٩ ، القرآن (بلاشير) : ٢٣ .

(٢) الاتقان : ١/٨٧

(٣) سورة القيامة : ١٧ ، ١٨

(٤) لسان العرب : (ق ر أ) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

لثمرات الكتب السابقة (١) .

٢ — وذهب الشافعي (ت : ٢٠٤) والفراء (ت : ٢٠٧) وأبو الحسن الأشعري (ت : ٣٢٤) الى أنه غير مهموز :

— يقول الفراء : انه مشتق من القرائن جمع قرينة وسمي به القرآن لأن آياته يشبه بعضها بعضا ، فكأن بعضها قرينة على بعض ، والقرائن : الأشباه والنظائر ، وواضح أن النون هنا أصلية (٢) .

ويقول الأشعري : انه مشتق من " قرن الشئ بالشئ " اذا ضمه اليه ، وسمي به القرآن ، لأن السور والآيات والحروف تقرن فيه ويضم بعضها الى بعض (٣) .

— أما الامام الشافعي فيقول : ان لفظ "القرآن " المعرف بأل ليس مشتقا ولا مهموزا ، وانما ارتجل ووضع من أول الأمر علما على الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فالقرآن عنده " لم يؤخذ من قرأت ، ولو أخذ من قرأت لكان كل ماقرئ قرآنا ، ولكنه اسم للقران مثل التوراة والانجيل " (٤) .

---

(١) البرهان : ٢٧٨/١

(٢) الاتقان : ٨٧/١

(٣) البرهان : ٢٧٨/١

(٤) تاريخ بغداد : ٦٢/٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

— والذى نختاره منها : القول الأول وهو أنه مصدر مهموز مرادف للقراءة ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من باب اطلاق المصدر على مفعوله .

وبالهمز قرأ السبعة ما عدا ابن كثير (١) ، فقرأ بحذف الهمزة تخفيفا مع نقل حركتها الى الساكن الصحيح قبلها . و "القرآن" أيا كان اشتقاقه اسم من أسماء الكتاب العزيز يطلق ، بالاشتراك اللفظى على الكل وأجزائه .. قال تعالى : (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) (٢) ، وقال أيضا : (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (٣) .

ويشاركه فى الشيوع من الأسماء لفظ " الكتاب" ، قال تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) (٤) وسمى بذلك لأنه مصدر للكتب بمعنى : الجمع والضم ، ولا غرو فقد جمع القرآن ثمار العلوم كلها ، (٥) وهذان الاسمان قد غلبا عليه من بين أسمائه المتعددة

---

(١) النشر فى القراءات العشر : ١/٤١٤

(٢) سورة : الاسراء : ٩

(٣) سورة : الأعراف : ٢٠٤

(٤) سورة : الكهف : ١

(٥) البرهان : ١/٢٧٧

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

التى تنيف على الخمسين اسما ،[١] ولعل فى ذلك اشارة لطيفة وفق اليها الدكتور محمد عبد الله دراز حين قال : " روعى فى تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسنة ، كما روعى فى تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شئ بالمعنى الواقع عليه .

وفى تسميته بهذين الاسمين اشارة الى أن من حقه العناية بحفظه فى موضعين لا فى موضع واحد ، أعنى أنه يجب حفظه فى الصدور والسطور جميعا ، أن تضل أحداهما فتذكر احداهما الأخرى فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ، المنقول الينا جيلا بعد جيل على هيئته التى وضع عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالاسناد الصحيح المتواتر .

وبهذه العناية المزدوجة التى بعثها الله فى نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها بقى القرآن فى حرز حريز ، انجازا لوعد الله الذى تكفل بحفظه حيث يقول : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[٢] ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند[٣] .

---

(١) ذكرها الزركشى فى (البرهان ١/ ٢٧٣) نقلا عن أبى المعالى شيدلة ، لكنه عد فيها بعض صفات القرآن على أنها من اسمائه : كالعربى ، العزيز ، المجيد ، الكريم ، وغيرها .

(٢) سورة : الحجر : ٩

(٣) النبأ العظيم : ١٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

توثيق نصه الشريف :

لم يبلغ كتاب مقدس فن ذروة التوثيق ما بلغه القرآن الكريم ، فلقد أنزله الله ، عز وجل ، على نبيه الكريم معجزة خالدة أبد الدهر ، وتكفل وحده بحفظه ولم يكل ذلك الى فئة معينة من خلقه يتبدل الوحى بزوالهم ، وانما سخر الأمة مجتمعة لتحقيق هذا الوعد الصادق : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)(١) .

ونظرة متأنية فاحصة لتأريخ القرآن الطويل — منذ بدء نزوله الى جمعه فى مصحف كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — توضح لنا السبل التى هيأها الله تعالى لأمته لحفظ هذا القرآن العظيم ..

وفيما يلى نستعرض مراحل : نزوله وتوثيقه ، لنتعرف على مظاهر العناية التامة التى أحيط بها القرآن الشريف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الأجلاء وأمته الاسلامية من بعده الى يومنا هذا والى ماشاء الله .

أولا : تنزلاته :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يتجاوب الوحى مع الرسول صلى الله عليه وسلم يرشده ويثبته ويطمئنه ، ومع الصحابة يصلح عاداتهم ويربيهم ، فأنزل القرآن منجما بحسب الحاجة(٢) يتدرج مع الأحداث والوقائع والمناسبات التى

---

(١) سورة الحجر : ٩

(٢) لم يكن تنجيم القرآن على وتيرة واحدة .. فقد ينزل خمس آيات أو عشرا ، أو آية واحدة أو بعض آية ، أو سورة . (الاتقان : ١/ ٤٤).

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

توالت فى حياته صلى الله عليه وسلم خلال ثلاثة وعشرين عاما ، هى فترة نبوته (١) ، لم ينقطع خلالها الا مرة واحدة استمرت ستة أشهر — على أكثر الروايات تقديرا — (٢) ، وهكذا ظل القرآن ينزل نجوما على النبى صلى الله عليه وسلم منذ رسالته الى قبيل وفاته حين نزلت آخر آية منه كانت هى مسك الختام لحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهى قوله تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون) (٣) .

ومن تشريفه جل وعلا لهذا القرآن العظيم ، أن جعل له تنزلات ثلاثا خلاف ماجاءت به الكتب السابقة :

الأول : نزوله جملة الى اللوح المحفوظ ، بطريقة وكيفية غيبية لا يعلمها الا هو ، يجب علينا الايمان بها والتصديق بها ، اذ هى من جملة الغيب ، قال تعالى : (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) (٤) .

---

(١) بعث الرسول صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فمكث فى مكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وبالمدينة عشرا كما جاء فى الصحيح ، وهو الراجح (صحيح البخارى : ٥٧/٤) .

(٢) مناهل العرفان : ٥١/١ ، المدخل لدراسة القرآن : ٥٥

(٣) سورة البقرة : ٢٨١ وفى الاتقان : ٧٧/١ — وتوفى الرسول صلى الله عليه وسلم بعدها بتسع ليال .

(٤) سورة البروج : ٢٢ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الثاني : نزوله جملة واحدة الى بيت العزة في السماء الدنيا ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : " فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم "(١) .. وتم هذا النزول في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك . قال تعالى : (انا أنزلناه في ليلة القدر)(٢) وقال أيضا : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)(٣) .

وخالف قوم في هذا النزول ، فأنكره الشعبي وآخرون ، وقالوا : ان نزوله كان من اللوح المحفوظ الى الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة . وفسروا آيتي القدر والبقرة بأن المراد منهما ابتداء نزوله(٤) ، ولو لم ترد تلك الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما لكان المصير الى هذا القول . أما وقد وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما بأسانيد صحيحة قال عنها السيوطي انها في مرتبة الاحتجاج(٥) ، فلا بد أنه يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه علم غيبي لا مجال للرأي فيه ، ولم يعرف عن ابن عباس الأخذ من الاسرائيليات(٦) . ولذلك رجحه ابن حجر وقال "انه الصحيح المعتمد "(٧) . وقال الزركشي : " انه أشهر وأصح "(٨) فاطمأنت نفسي اليه .

---

(١) أخرجه الحاكم وابن ابي شيبة (١/٦٨) .
(٢) سورة القدر : ١
(٣) سورة البقرة : ١٨٥
(٤) الاتقان : ١/٤١
(٥) الاتقان : ١/٤١
(٦) مناهل العرفان : ١/٤٥
(٧) فتح الباري : ٩/٤
(٨) البرهان : ١/٢٢٨

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الثالث : ـــــ نزوله عن طريق جبريل عليه السلام الى قلب رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم فى احدى صورتى الوحى اللتين وردت بهما السنـــة (١) قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم فى شأن القرآن العظيم : " نزل به الـــروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين (٢) .. " فهـــذا اللسان العربى بلغ أمين الوحى عليه السلام كلام الله العظيم الى نبيـــه الكريم ليبلغه الى الناس كافة ، فشع نوره على العالم ، ووصلت هداية اللـه الى الخلق ، فكان مصدر خير وبركة للبشرية بأسرها ، كما كان موطن عـــز وتشريف للسان العربى لا يوازيه تشريف ، قال تعالى : " لقد أنزلنا اليكـم كتابا فيه ذكركم " (٣) وقال فى آية أخرى (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون) (٤)

---

(١) جاء فى الصحيح أن الحارث بن هشام سأل الرسول صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى ؟ فقال : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس — وهـــو أشده على — فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال — وأحيانا يتمثل لـــى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول " صحيح البخارى : ١/٢٥ ، مناهل العرفان : ١/٦٣ .

(٢) سورة الشعراء : ١٩٣ — ١٩٥

(٣) سورة الأنبياء : ١٠

(٤) سورة الزخرف : ٤٤ ، وفسر ابن عباس الذكر هنا بالتشريـــف (تفسير ابن كثير : ٥/٣٢٨) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : توثيقه بالحفظ والاستظهار :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم مولعا بالوحى ، شديد العناية بحفظ القرآن ، يعالج من التنزيل شدة حين نزوله ، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه ، على عادة العرب فى الاعتماد على الذاكرة ، فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه)(١) أى : ان علينا أن نجمعه فى صدرك ثم تقرأه(٢) .

لقد كان القرآن شغله الشاغل فى سره وعلانيته ، فى حضره وسفره ، فى وحدته ومع صحابته ، يحيى به ليله ، ويزين به صلاته ، ويقرأه على الناس على مكث ، لا يغيب عن قلبه ولا يألوجهدا فى التخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ، فهو صلى الله عليه وسلم سيد الحفاظ أجمعين .

وكان من دواعى حفظ القرآن وتثبيته فى قلب الرسول صلوات الله وسلامه عليه معارضة جبريل عليه السلام اياه فى رمضان من كل عام ، فلما كان العام الذى توفى فيه عارضه مرتين ايذانا بقرب أجله .

ولم يكن حفظ القرآن مقصورا عليه صلى الله عليه وسلم ، بل تيسر ذلك لعدد غير قليل من صحابته جعلوا القرآن فى المحل الأول ، يتنافسون فى حفظ ألفاظه وتدبر معانيه ، كان يسمع لهم بقراءته دوى كدوى النحل فى جوف الليل ، وكان جل اعتمادهم فى الحفظ على التلقى والسماع من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكلما نزلت سورة ابلغهم اياها وأرسل الى

---

(١) سورة القيامة : ١٦ — ١٧

(٢) من حديث لابن عباس أخرجه الشيخان (فتح البارى : ١/٢٩) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

بعيد ى الدار من يعلمهم ويقرئهم ، فقد بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتـــوم الى أهل المدينة يعلمانهم الاسلام ويقرئانهم القرآن ، وأرسل معاذ بن جبـل الى مكة بعد هجرته للتحفيظ والاقراء ، قال عبادة بن الصامت : " كـــان الرجل اذا هاجر دفعه النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل منا يعلمـــــه القرآن ، وكان يسمع لمسجد رسول الله صلى اللهعليهوسلم ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا "(١).

شبهة مردودة :

هذا الجم الغفير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذيـن حفظوا القرآن كله أو بعضه اقتصر البخارى(٢) رحمه الله على ذكر سبعة منهـم فى مجموع ثلاث روايات عنه ، وهم : عبد الله بن مسعود ، وسالم بن معقل مولى أبى حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابـــت ، وأبو زيد بن السكن ، وأبو الدرداء . فكان ذلك مدخلا يلج منه المستشرقون ليقولوا : " ان الحديث النبوى لا يعرف للقرآن الا سبعة من الحفـــاظ "(٣) ليصلوا من خلاله الى القول باحتمال عدم تواتره . وقد فاتهم ما طق بـــه العلماء على هذه الروايات من أن الحصر هنا لا مفهوم له ، وماذكروه مـــن تأويلات مقبولة تتفق والأحاديث الأخرى التى تنص على وفرة العدد مـــن الصحابة الحفاظ للقرآن الكريم .

---

(١) الاتقان : ١٢٥/١

(٢) فتح البارى : ٤٦/٩ ومابعدها (باب القراء من أصحاب النـــبى صلى الله عليه وسلم) .

(٣) بلا شير ، نقلا عن مباحث فى علوم القرآن (الصالح) : ٦٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

قال المازرى تعليقاً على احدى روايات البخارى عن أنس رضى الله عنه وقصر فيها الحفاظ على أربعة فقط : " لا يلزم من قول أنس (لم يجمعه غيرهم) أن يكون الواقع فى نفس الأمر كذلك لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه ، والا فكيف الاحاطه بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم فى البلاد ، وهذا لا يتم الا ان كان لقى كل واحد منهم على انفراد وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهذا فى غاية البعد عن العادة "(١) .

وكيف يتأتى ذلك وقد ثبت أنه قتل من الحفاظ يوم اليمامة سبعون ، وقتل فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مثل هذا العدد يوم بئر معونة (٢) .

على أن الامام أبا عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) قد سمى كثيرا من هؤلاء القراء فى أول كتابه "القراءات" ونقل ذلك السيوطى عنه (٣) ، فذكر من المهاجرين : الخلفاء الأربعة ، وطلحة ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وأبا هريرة ، وعبد الله بن السائب ، وعبدالله ابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن الزبير ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، ومن الأنصار : عبادة بن الصامت ومعاذا الذى يكنى أبا حليمة ، ومجمع بن جارية ، وفضالة بن عبيد ، ومسلمة ابن مخلد .

---

(١) فتح البارى : ٥٢/٩

(٢) فتح البارى : ٥٢/٩

(٣) الاتقان : ٧٤/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وهؤلاء الذين ذكرهم القاسم بن سلام ما هم الا طائفة من الصحابة الذين تيسر لهم أن يعرضوا ما حفظوه على الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما الآخرون الذين لم يتمكنوا من عرضه على الرسول صلى الله عليه وسلم أو حفظه عقب وفاته فهم لا يحصون عددا ، قال الحافظ الذهبي : " ان هذا العدد هم الذين عرضوه على النبي صلى الله عليه وسلم واتصلت بنا أسانيدهم ، وأما من جمعه منهم (بمعنى : حفظه) ولم يتصل بنا سندهم فكثير "(١) .

ثالثا : توثيقه بالجمع والتدوين :

أ — في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن وجمعه في صدور صحابته على النحو الذي سبق ، بل جمع الى ذلك كتابته وتقييده في السطور ، فاتخذ صلى الله عليه وسلم كتابا للوحي من أجلاء الصحابة ، لهم معرفة سابقة بالخط وتدوينه ، رافقوا الوحي من أول حرف نزل منه الى آخر آية نطق بها الرسول الكريم قبيل وفاته .

اشتهر منهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، وأبان بن سعيد ، وثابت بن قيس ، والزبير ابن العوام ، وحنظلة بن الربيع الأسدي ، ومعيقيب بن أبي فاطمة ،

---

(١) البرهان : ٢٤٢/١ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وعبد الله بن الأرقم الزهرى ، وشرحبيل بن حسنة ، وعبد الله بن رواحة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعبد الله بن أبى سرح ، وكان هو أول من كتب له بمكة ، كما أن زيدا أول من كتب له بالمدينة رضوان الله عليهم جميعا (١) .

وكان اذا أنزل عليه صلى الله عليه وسلم شئ من الوحى أمرهم بكتابته ، فيقول فى متفرق الآيات : " ضعوا هذه فى سورة كذا " ويعين لهم موضع الآية من السورة فيقول ، بأمر جبريل : " ضعوا آية كذا فى موضع كذا " (٢) .

ولم تكن أدوات الكتابة ميسرة اذ ذاك ، فكانوا يكتبونه على كل ما تسهل بأيديهم من الرقاع واللخاف والعسب والأكتاف والكراديف والأقتاب وقطع الأديم وغير ذلك ، ثم يوضع المكتوب ، على حالته تلك ، مفرقا غير

---

(١) فتح البارى : ٩/٢٢ ، مناهل العرفان : ١/٢٤٦

(٢) البرهان : ١/٢٣٢ ، الاتقان : ١/٦٣

(٣) ذكرت هذه الأدوات فى حديث زيد الصحيح (الاتقان : ١/٦٠)

والمراد بالرقاع : جمع رقعة ، وقد تكون من جلد أو قماش أو ورق .

وباللخاف : جمع لخفة ، بفتح فسكون ، وهى الحجارة الرقيقة .

وبالعسب : جمع عسيب : وهو طرف الجريد العريض كانوا يكشطون الخوص ويكتبون عليه .

وبالأقتاب : جمع قتب : وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه .

والكرانيف : جمع كرنافة : وهى أصول السعف الغلاظ .

والأكتاف : جمع كتف : وهو العظم العريض من أكتاف الحيوان .

والأديم : الجلد .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

مجموع فى البيت النبوى الشريف •

وكان بعض الصحابة ، من غير كتاب الوحى ، ينتدب نفسه لكتابة ماتيسر له من آى القرآن امتثالا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن : " لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن ••" (١) وحرصا منه على مؤازرة الحفظ بالخط والاستعانة به عند النسيان ، ولكنه غير منتظم فيه ، فربما نزلت الآية أو السورة وهو فى غزوة أو سرية ، فاذا ما عاد شغل بحفظها ، وقد يقع له فيها يكتبه تقديم أو تأخير أو زيادة من تفسير وتوضيح ، الا أن الأكثرية منهم كانوا يعتمدون على الحفظ وسيلان الأذهان كما هو شأن العرب فى حفظ أنسابهم وآثارهم فلا يكتبون من القرآن شيئا •

وكان من تمام التوثيق لنص القرآن الشريف فى هذه الفترة ، أن منع النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة من كتابة شئ غير القرآن ، حتى ولو كان من قوله ، بل لقد شدد فى المنع وأكده حين قال : " ••• ومن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه " (٢) •

كل ذلك حرصا منه صلى الله عليه وسلم على أن يبقى القرآن مستقلا لا يخالطه شئ من صحف الحديث أو غيرها ، وليحصر بذلك جهود الكاتبين فى نطاق تدوين القرآن الكريم الذى لا تجوز روايته بالمعنى ولا يحل التصرف فى لفظه ، كما يجوز ذلك فى الحديث فكانت تلك خطوة عظيمة فى سبيل حفظه وضبطه كما أنزل •

---

(١) رواه مسلم (الصحيح بشرح النووى) : ١٢٩/١٨

(٢) المصدر السابق •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فلما اطمأن النبى صلى الله عليه وسلم الى عدم وقوع مايخشاه ، وألف المسلمون أسلوب القرآن وميزوه عن غيره ، أذن النبى صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة بكتابة الحديث ، ولكن لم يتوسعوا فى ذلك الا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم واكتمال الوحى القرآنى .(١)

وهكذا انقضى العهد النبوى الطاهر والقرآن كله مكتوب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مرتب الآيات فى السور ، كما عرضه جبريل من اللوح المحفوظ فى ذلك العام الذى قبض فيه صلى الله عليه وسلم مرتين .

لكنه لم يكن مجموعا فى مكان واحد وفق ترتيب سوره " لما كان يترقبه صلى الله عليه وسلم من تتابع الوحى ، وورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة ، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر(٢) رضوان الله عليهم أجمعين ، وهكذا رأينا أن كتابته مفرقا فى العهد النبوى ضرورة تستدعيها الظروف .

---

(١) بحوث فى تاريخ السنة : ٢٢٠

(٢) الاتقان : ٥٨/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ب — فى عهد أبى بكر الصديق (رضى الله عنه):

قام أبو بكر الصديق بأمر الاسلام عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فواجهته أحداث جسام حينما ارتد كثير من العرب عن الاسلام وقوى من أمرهم ادعاء مسيلمة للنبوة ، فكان أول عمل قام به الصديق محاربة أهل الردة ، والقضاء على هذه الفتنة الخطيرة ، فجهز الجيوش لمحاربة المرتدين ، وفى السنة الثانية عشرة للهجرة وقعت موقعة "اليمامة" وكان أغلب من فيها من الصحابة القراء فاستحر القتل بهم ، واستشهد من حفظة القرآن خلق كثير (١) ففزع لذلك عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، ودخل على أبى بكر مشيرا عليه بجمع القرآن وكتابته خوفا من ضياعه بموت حفاظه (٢) ، فاستعظم أبو بكر ذلك

---

(١) جاء فى روايات عدة أن الحفاظ الذين استشهدوا يومئذ سبعون . (فتح البارى : ١٢/٩) .

(٢) يرى بعضهم ان هذه الفكرة من عمر تكفى فى نسبة جمع القرآن اليه ، ويعتمدون على اثر منقطع روى من طريق الحسن . ورد فيه " أن عمر سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان وقتل يوم اليمامة . فقال : انا لله وانا اليه راجعون ، وأمر بجمع القرآن فكان أول من جمعه فى المصحف " . وهذا الأثر على ما فيه من انقطاع فمعناه غير صحيح أيضا .

(التعريف بالقرآن والحديث : ٨٠) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

أول الأمر فلم يزل به عمر يراجعه ، ويبين له مدى الخطورة التى ستلحق بالقرآن ان لم يجمع فى مكان واحد حتى شرح الله صدر أبى بكر لذلك .

فارسل فى طلب زيد بن ثابت (رضى الله عنه) لما له من مكانة خاصة فى كتابة القرآن وحفظه ، مع فطنته وذكائه ، وشهوده للعرضة الأخيرة ، (١) وقص عليه قول عمر فاستعظم ذلك كما استعظمه أبو بكر من قبل ، لأنه عمل محدث لم يفعله النبى (صلى الله عليه وسلم) فلم يزل به حتى اطمأنت نفسه لذلك ورأى أنه الحق فشرع فى مهمته الشاقة تلك معتمدا على أمرين :

١ — المحفوظ فى صدور القراء كله أو بعضه .

٢ — المكتوب لدى الكتبة فى اللخاف والرقاع ونحوها .

وكان رضى الله عنه يشترط لتدوين ذلك الاتيان بشاهدين يشهدان أنه كتب بين يدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اضافة الى ماكان يحفظه ، مبالغة فى الدقة والتحرى .

فلما اكتمل له جمع القرآن على هذا النحو الدقيق وأطمأنت نفوس الصحابة اليه ، دفع صحف القرآن الى أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظلت عنده حتى حين وفاته فى السنة الثالثة عشرة للهجرة ، ثم انتقلت مع الخلافة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وظلت عنده الى حين وفاته ، ثم كانت عند ابنته حفصة أم المؤمنين صدرا من ولاية عثمان رضى الله عنه حتى طلبها منها كما سيأتى .

---

(١) الاصابة : ١/٥٦١ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ويبلغ النص القرآنى ذروة توثيقه بفعل زيد (رضى الله عنه) من اتخاذ الحيطة والدقة والتحرى مع الاستقصاء والحصر ، تؤكد لنا ذلك تلك الروايات المتعددة عنه والتى تشير الى وجود هذه المعانى فى نفسه وتمثله اياها عند التنفيذ ، فكان يقول : " والله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به (أى أبو بكر) من جمع القرآن "(١) ، وطلب من عمر رضى الله عنه أن يعلن هذا الجمع فى أرجاء البلاد ، فكان ينادى مناد من عمر قائلا : " من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فيأت به "(٢) وكان يستشهد رجلين على كل من جاء بشئ منه مكتوبا " .. أن ذلك المكتوب كتب بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو أنه من الوجوه التى نزل بها القرآن ، أو أنه ما أثبت عرضه على النبى صلى الله عليه وسلم فى موفاته "(٣) ، وهذا تلة زيادة فى الاطمئنان والدقة لضبط القرآن ، أجراه الله على أيديهم بعد ما حدثتهم به قلوبهم تحقيقا لوعد الله الصادق " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "(٤) .

وهكذا امتاز جمع أبى بكر (رضى الله عنه) للقرآن بما يأتى :

١ — تجريد القرآن من كل ما ليس منه من تفسير لآية أو توضيح لمشكل .

---

(١) فتح البارى : ٩/ ١٠ من حديث صحيح رواه زيد عن قصته مع أبى بكر فى جمع القرآن .

(٢) الاتقان : ١/ ٦٠

(٣) نفسه : ١/ ١٠٠

(٤) سورة الحجر : ٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

٢ — الاقتصار على ماثبت فى العرضة الأخيرة مما لم تنسخ تلاوته .

٣ — كتابته مشتملا على الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن .

٤ — أنه لم يدون فى الصحف الا ماأجمع على أنه قرآن وتواترت روايته .

٥ — أنه كان مرتب الآيات على الوضع الذى نقرؤه اليوم ، لكنه لم يكن مرتب السور فكانت كل سورة مستقلة بنفسها فى الكتابة فى صحف ثم جمعت هذه الصحف وشدت الى بعض لتكون هذا المصحف ، وابتدأ اطلاق "المصحف" عليه وقتئذ .(١)

ونؤكد فى هذا المقام ماقرره العلماء من أن الجمع بهذه الدقة الفائقة والتثبت والاستقصاء لم تكن لغير صحف أبى بكر (رضى الله عنه) اذ هى النسخة الأصلية الموثوق بها والمجمع عليها والتى لايصار فى الاعتماد الا اليها ، فكان بحق أول من جمع المصحف كما قال على رضى الله عنه : "أعظم الناس فى المصاحف أجرا أبو بكر ، رحمة الله على أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله .. "(٢) .

ولا يعنى ذلك أنه المصحف الوحيد الذى جمع فى صدر الاسلام ، فقد ثبت أن عددا من الصحابة كانت لهم مصاحف فردية جمعوها ، كمصحف على

---

(١) الاتقان : ٨٩/١ ، وساق السيوطى رواية فى هذا الصدد عن ابن شهاب قال : " لما جمعوا القرآن فكتبوه على الورق ، قال أبو بكر : التمسوا له اسما فقال بعضهم : (السفر) قال : ذلك اسم تسميه اليهود . فكرهوا ذلك . وقال بعضهم : (المصحف) فان الحبشة يسمون مثله المصحف . فاجتمع رأيهم على أن سموه (المصحف) " .

(٢) الاتقان : ٥٩/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ومصحف أبى ومصحف ابن مسعود وغيرهم (١) ، الا أنها لم تكن على هذا النحو المجمع عليه ، ولم تنل حظها من الدقة والتحرى والجمع والترتيب والاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته بمثل ما ناله مصحف أبى بكر رضى الله عنه ، وهذا هو الطور الثانى من مراحل توثيق المصحف الشريف .

جـ — فى عهد عثمان "رضى الله عنه" :

اتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، وتفرق القراء فى الأمصار ، وأخذ كل قارئ يقرئ أهل المصر الذى وفد اليه بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأخذون عنه ، وينتصرون لقراءته ، فاذا ما ضمهم مجلس مع أهل مصر آخر ، أو جمعهم موطن غير وطنهم ، استمعوا لقراءة بعضهم فاذا بها تختلف من بعض الوجوه عما تعلموه من قارئهم .. فبدأ الخلاف يظهر حول الفصيح والأفصح ، ثم عظم الأمر حين أصبح البعض يخطئ قراءة مخالفيه بل ربما كفر بعضهم بعضا ، وهذه فتنة ، ان استمرت ، كان نتيجتها نزع الثقة من القرآن وقراءاته الثابتة ، وهو أساس عروة المسلمين .

كان الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه قد أهمه ما رأى من بوادر الخلاف حينما "جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يتلقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين فكفر بعضهم بعضا ، وبلغ ذلك عثمان فخطب فقال : انتم عندى تختلفون فمن نأى من الأمصار أشد اختلافا" (٢) .

---

(١) مباحث فى علوم القرآن (القطان) : ١٢٨

(٢) فتح البارى : ١٨/٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وكان كما توقع رضى الله عنه فقد بلغ الخلاف ذروته فى أقصى الشرق الاسلامى حينما اجتمع أهل الشام وأهل العراق لفتح بلاد "أرمينية وأذربيجان" ، وكان الأولون على قراءة أبى بن كعب والآخرون على قراءة عبد الله بن مسعود وبعضهم على قراءة أبى موسى الأشعرى ، فظهر الخلاف فى القراءة بينهم جليا ، وأوشكت الفتنة أن تقع . يوضح هذه الصورة مقالة يزيد بن معاوية النخعى : " انا لفى المسجد زمن الوليد بن عقبة فى حلقة فيها حذيفة فسمع رجلا يقول قراءة عبد الله بن مسعود وسمع آخر يقول قراءة أبى موسى الأشعرى ، فغضب ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : هكذا كان من قبلكم اختلفوا ، والله لأركبن الى أمير المؤمنين"[1] .

ولم يتمالك حذيفة نفسه من خطر ما رأى ، فركب الى أمير المؤمنين ليحدثه بما رأى ، وينبهه الى هذا الخطر الداهم الذى ان استمر فهو عدير الفرقة والخلاف لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغ أمير المؤمنين بذلك شرع على الفور باستدعاء الصحف من بيت حفصة بنت عمر رضى الله عنهما ، بعد أن أخذ رأى الصحابة وأشاروا عليه بجمع القرآن فى مصحف موحد ، وعلى حرف واحد بجميع القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد الى أربعة من كبار

---

(١) فتح البارى : ١٨/٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الصحابة القيام بهذا العمل وهم (١) : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وكلفهم بأداء هذا العمل الخطير تحت مرأى ومسمع من جميع الصحابة وأشرف بنفسه على ذلك ، وأمرهم عند الاختلاف بكتابته بلغة قريش ، لأنه انما أنزل بلسانهم .

حتى اذا ما انتهوا من مهمتهم الشاقة تلك أعاد الصحف مرة أخرى الى بيت حفصة أم المؤمنين . وبعث الى كل مصر بمصحف "امام" (٢) وأمر بما عداه أن يغسل أو يمزق أو يحرق (٣) .

وأنقل فيما يلى ماروواه البخارى (٤) فى صحيحه عن ابن شهاب أن أنس ابن مالك حدثه : " أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى

---

(١) هؤلاء الذين ورد ذكرهم فى الصحيح .. وجاءت روايات أخر نقلها السيوطى وغيره تفيد أنهم اثنا عشر رجلا من القرشين والأنصار ، وقد تتبعهم ابن حجر فى "الفتح" وعثر على اسماء تسعة منهم فقط . لكن الراجح لدى القول الأول ، ويبدو أن هؤلاء كان لهم مشاركة فعالة عند المشورة . (انظر : الاتقان ١/٦٠ ، وفتح البارى : ٩/١٩) .

(٢) أخذت هذه الكلمة من قوله فى خطبته : " ياأصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس اماما " . (الاتقان : ١/٦٠) .

(٣) لا تنافى بين هذه الروايات فربما غسلت ثم مزقت ثم أحرقت تطهيرا لها

(٤) فتح البارى : ٩/١١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها ثم نردها اليك ، فأرسلت بها حفصة الى عثمان .

فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ، ففعلوا .(١)

حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة ، فأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ...".(٢)(٣)

وهكذا وفق الله عثمان والصحابة الاجلاء للقيام بهذا العمل الجليل في سبيل حفظ القرآن العظيم ، الذي لولاه لذهبت ريح المسلمين ومزقهم

---

(١) يقول الرواه انهم لم يختلفوا الا في لفظ "التابوت" بالتاء أو بالهاء فكتبت كما قال القرشيون (في رحاب القرآن : ١٥١) .

(٢) ظلت الصحف عند حفصة حتى توفاها الله ، ثم أخذها "مروان بن الحكم" من عبد الله بن عمر عشية وفاتها وأمر باحراقها أو تمزيقها خشية أن يرتاب الناس بالمصاحف مع طول العهد . (الفتح : ٩/ ٢٠) .

(٣) صحيح البخاري (بشرح ابن حجر) : ٩/ ١١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الخلاف شر تمزيق ، وقد كان ذلك اجماعا من تلك الأمة التى هى خير القرون المفضلة ، ومن أجلاء الصحابة الذين لا يجتمعون على ضلالة .

ولئن حاول بعض أعداء الاسلام النيل من شخصية عثمان بأنه أحرق المصاحف منفردا لهوى فى نفسه (١) ، فان ماجاء فى "الرد" لأبى بكر الأنبارى من قول على كرم الله وجهه : " يامعشر الناس : اتقوا الله واياكم والغلو فى عثمان وقولكم حراق المصاحف ، ماحرقها والله الا على ملأ منا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .." (٢) ، فهذا القول من أمير المؤمنين يعتبر بحق صفعة فى وجوه أولئك المغرضين المتشككين .

وقد نقل عن على كرم الله وجهه قوله : " لاتقولوا فى عثمان الا خيرا ، فوالله مافعل الذى فعل فى المصاحف الا على ملأ منا ، قال : ماتقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى ان بعضهم يقول : ان قراءتى خير من قراءتك ، وهكذا يكاد يكون كفرا ، قلنا : فما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف . قلنا : فنعم مارأيت " (٣) وشاهت وجوه المفترين الضالين .

ومما تقدم ندرك أن جمع عثمان للقرآن تم بموافقة الصحابة وقبول عامة المسلمين ورضاهم فى سائر الأمصار ، وكان يهدف من وراء ذلك الجمع الى

---

(١) هم الروافض من غلاة الشيعة ومن وافقهم . (البرهان : ١/ ٢٤٠).

(٢) الاتقان : ١/ ٦١

(٣) نفس المصدر والصفحة .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

رفع الاختلاف والتنازع فى قراءة القرآن ، وقطع المراء فيه ، ولا يتحقق ذلك ذلك الا بجمع الناس على مصحف واحد بلغة قريش حتى تتوحد القراءة بين جميع المسلمين فى مختلف الأمصار وسائر الأزمان ، "وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه فى القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن" (١) ، ولم تدع الحاجة الى جمعه الا فى عهد عثمان عندما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، لكن "لم يحتج الصحابة فى أيام أبى بكر وعمر الى جمعه على وجه ما جمعه عثمان ، لأنه لم يحدث فى أيامهما من الخلاف ما حدث فى زمن عثمان ، ولقد وفق لأمر عظيم ، فرفع الاختلاف ، وجمع الكلمة، وأراح الأمة" (٢) .

وهكذا انفرد جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه بالمميزات التالية : (٣)

١ — الاقتصار فيه على حرف واحد ، هو حرف قريش . لكن ذهب بعضهم (٤) الى أن القرآن قد كتب فى عهد عثمان مشتملا على الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، وتسنى لهم عمل ذلك فى مصحف واحد لأن الكلمات ليست بمشكولة ولا منقوطة ، فالذى اختلف فى قراءته لا فى رسمه تحقق به الهدف ، أما الذى اختلف الرسم فيه ، نحو : " وأوصى ووصى " "وسارعوا " بالواو وبدونها ، فقد كتبت كل قراءة فى مصحف مغاير ، ولذلك تعددت المصاحف .

---

(١) البرهان : ١/٢٣٩

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) المدخل : ٢٧٩ ، وفى رحاب القرآن : ١٥١

(٤) البرهان : ١/٢٣٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ الاقتصار فيه على ماثبت بالتواتر وما استقر الأمر عليه فى العرضة الأخيرة .

٣ ـ ترتيب آياته وسوره على الوجه المعروف لدينا اليوم . وفى عهد عثمان اشتهرت كلمة "المصحف" بعد أن جمع الصحف فى كتاب واحد وفرقه فى الأمصار ، وأما تسميته بالمصحف فكانت على عهد أبى بكر رضى الله عنهما .

رابعا : توثيقه بالرسم والضبط :

لقد كان من تمام توثيق النص القرآنى الشريف أن رسمت كلماته بطريقة معينة ، وسجل بها زيد بن ثابت القرآن الكريم فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان فى المصاحف التى نسخها وأرسلها الى الأمصار ، فكان أن نسب اليه وأطلق عليه "الرسم العثمانى" ، فأصبح هذا الرسم سنة متبعة فى المصاحف الى يومنا هذا لا يخضع للتغيير أو التبديل .

ولم يجز العلماء العدول عنه أو استبدال الرسم الاملائى به صيانة لكتاب الله من العبث ، واغلاقا لباب التغيير فيه أو احداث ما ليس منه :

* سئل الامام مالك رحمه الله ، هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، الا على الكتبة الأولى (١) .

* وقال الامام أحمد رحمه الله : يحرم مخالفة خط عثمان فى واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك (٢) .

---

(١) الاتقان : ١٦٧/٢

(٢) مفتاح السعادة : ٣٧٢/٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

* وقال البيهقي في شعب الايمان : " من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوا شيئا ، فانهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم "(١) .

فلننظر الى أي مدى احاط به السلف رسم القرآن توثيقا لنصه الشريف وخوفا من أن يتطرق اليه تغيير أو تبديل فيقع المسلمون جميعا في الاثم(٢) .

ولم يضف المسلمون الى رسم القرآن العثماني الا ضبطه بالنقط والشكل عندما دعت الضرورة اليه بانحراف الألسنة العربية ووقوعها في الخطأ والتصحيف في القرآن الكريم ، وتم ذلك على يد أبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم ثم الخليل بن أحمد ، وفصل القول فيه بفصل آت .

وهكذا تحقق وعد الله بحفظ كتابه فلم يغير فيه حرف أو تبدل فيه آية بل ظل " ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلا جيلا ، لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند ... لا يشكون ولا يختلفون في أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به ، وأخبر أن الله عز وجل أوحى به اليه ، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ الينا "(٣) .

---

(١) شعب الايمان : ١/ ١٧٠ ، ومفتاح دار السعادة : ٢/ ٣٧٢

(٢) خالف أبو بكر الباقلاني والعز بن عبد السلام في ذلك ، فأباحا الكتابة بالرسم الاملائي عند تعذر القراءة بالرسم العثماني ولم يريا نصا صريحا يوجب المصير اليه . (مناهل العرفان : ١/ ٣٧٤) .

(٣) الفصل في الملل والنحل : ٢/ ٨١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فأصبح بذلك أوفق المصادر وأصحها وعليه المعول فى استنباط حقائق الدين ومعرفة قواعد الشريعة ، ومن لفته تستمد الأفكار ، وتقطف من علومه أشهى الثمار ويستقيم على نهجه أولو الأبصار .

* * *

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: قراءاتـــــه ::

تعريف بهـــا :

القراءات فى اللغة : جمع قراءة ، مصدر الفعل قرأ .

والقراءات القرآنية : الوجوه اللغوية والصوتية التى أباح الله بهـــا قراءة القرآن تيسيرا وتخفيفا على العباد ، قال الزركشى : " القراءات هـــى اختلاف ألفاظ الوحى (المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) فى كتبـــــة الحروف أو كيفية نطقها من تخفيف وتثقيل وغيرهما "(١) .

وكان تعدد القراءات تيسيرا من الله لعباده فى تلاوة القرآن ، حيث أذن لبعض العامة ، ممن تشق عليهم تلاوة القرآن باللغة الموحدة الـــــتى نزل بها القرآن ، أن يخرج فى قراءته على هذه اللغة الموحدة ، ويقـــــرأ ببعض الصفات التى ليس فى مقدوره غيرها ، تأليفا لقلوبهم ، وترغيبا لهم فى الآخذ بما جاء به الكتاب العزيز .. قال ابن الجزرى " كانت العرب الذيـــن نزل القرآن بلغتهم ، لغاتهم مختلفة ، وألسنتهم شتى ، يعسر على أحدهـــم الانتقال من لغته الى غيرها ، أو من حرف الى آخر ، بل قد يكون بعضهـــم لا يقدر على ذلك ، ولو بالتعليم والعلاج ، لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقـــرأ كتابا ، كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل فقال له : ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، فقال صلى الله عليه وسلـــم : أسأل الله معافاته ومعونته ، ان أمتى لا تطيق ذلك ، ولم يزل يـــــردد

---

(١) البرهان : ٣١٨/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المسألة حتى بلغ سبعة أحرف ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع "(١) .

ويعد العلماء حديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف" الذى تواترت السنة النبوية على ذكره(٢) ، السبب فى تعدد القراءات القرآنية ، لكنهم يختلفون كثيرا(٣) فى توضيح السبعة الأحرف وبيان حقيقتها . وبالمقارنة بين آراء العلماء فى ذلك واستدلالاتهم ، ترجح لدى أن المراد بها : " نزول القرآن بلغة كل حى من أحياء العرب ، وان غاية ما يصل اليه اختلاف اللهجات فى الكلمة الواحدة سبعة وجوه لا تزيد بحال " . وهو قول الامام على بن أبى طالب(كرم الله وجهه) ، وعبد الله بن عباس(رضى الله عنهما)(٤) ، ويصفه الأزهرى بأنه "مذهب أهل العلم الذين هم القدوة ، ومذهب الراسخين فى علم القرآن قديما وحديثا(٥) .

وعلق عليه أبو شامة المقدسى (٦٦٥هـ) بقوله : " هذا هو الحق ، لأنه انما أبيح أن يقرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب فلا

---

(١) النشر : ٢٢/١

(٢) استقرأ روايات الحديث ابن جرير الطبرى فى مقدمة تفسيره (٢٢/١ ومابعدها) .

(٣) بلغت أقوال العلماء أكثر من أربعين قولا . (البرهان : ٢١٢/١ ، الاتقان : ٧٨/١) .

(٤) المرشد الوجيز : ٩٦

(٥) تهذيب اللغة (ح ر ف) : ١٣/٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ينبغى ان يوسع على قوم دون قوم ، فلا يكلف أحد الا قدر استطاعته فمن كانت لغته الامالة ، أو تخفيف الهمز ، أو الادغام ، أو ضم ميم الجمع ، أو صلة هاء الكناية ، أو نحو ذلك فكيف يكلف غيره ؟ .

وكذلك كل من كان فى لغته أن ينطق بالشين التى كالجيم ، والصاد التى كالزاى ، والكاف التى كالجيم ، والجيم التى كالكاف ، ونحو ذلك ، فهم فى هذا بمنزلة الألثغ والأرت ، (١) لا يكلف ما ليس فى سعته ، وعليه أن يتعلم ويجتهد " . (٢) فهذا القول يتمشى مع الحكمة التى من أجلها أنزلت الأحرف السبعة ، وهى التوسعة على الأمة المحمدية فى تلاوة القرآن كما وضحتها الأحاديث الشريفة . (٣) ولأن الروايات الثابتة عن بعض الصحابة تفيد أن المراد بينهم كان فى النطق والتلاوة لا فى المعانى والأحكام بدليل أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) صوب قراءة كل منهم .

على أن ترجيح هذا الرأى لا يعنى ضعف الآراء الأخر ، فلكل قول ما يدعمه من روايات ساقها أصحابه تقوية له ، أورد ها الزركشى والسيوطى فى كتابيهما . (٤) ونستثنى منها القول بأن المراد بها القراءات السبع المشهورة اليوم ، فهذا غير صحيح ، بل لقد استنكره العلماء ووصفوه بأنه خطأ أوهم به

---

(١) الألثغ : من كان فى لسانه لثغة أى انحراف ، والأرت : من كان فى لسانه رته : أى عجمة . (المخصص : ٢/١١٨) .

(٢) المرشد الوجيز : ٩٧

(٣) المدخل : ١٦٨ — ١٧٠

(٤) البرهان : ١/٢١٢ ومابعدها ، والاتقان : ١/٧٨ ومابعدها .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

التوافق العددى بين الأحرف السبعة والقراء السبعة المشهورين . قال أبو شامة : " ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث ، وهو خلاف اجماع أهل العلم قاطبة ، وانما يظن ذلك بعض أهل الجهل "[1] وقال مكي : " فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبى عمرو أحد الحروف السبعة التى نص النبى صلى الله عليه وسلم عليها فذلك منه غلط عظيم "[2] ووجه الغلط : أن قراءات القراء السبعة انما حددت فى أوائل القرن الرابع على يد ابن مجاهد سبع السبعة كما أشرنا ، أما الأحرف السبعة فهى منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا يعقل أن تكون هذه الأحرف مجهولة طيلة ثلاثة قرون حتى اشتهرت على يد أولئك القراء ، لا شك أن ذلك غير صحيح ، يؤيده أن القراءات المتداولة والمقروء بها أكثر من سبع بل أكثر من أربع عشرة المتواتر منها والشاذ ، كما أننا لا نجد كلمة فى القرآن تقرأ على سبعة أوجه الا القليل[3] حتى يظن أنها المراد بالسبعة الأحرف .

ولكننى أضيف هنا ماذكره مكي بن أبى طالب عن صلة القراءات بالأحرف السبعة حيث قال : "ان هذه القراءات كلها التى يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة انما هى جزء من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن "[4] .

---

(١) الاتقان : ١/ ٨٠

(٢) الابانة فى معانى القراءات : ٢٥

(٣) الاتقان : ١/ ٤٦ ، ومثل السيوطى لذلك بكلمة (عبد ، أف) .

(٤) الابانة فى معانى القراءات : ٢٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

تأريخهـــا :

يرجع عهد القراء الذين أقام الناس على طرائقهم فى التلاوة الى عصر الصحابة ، فقد اشتهر منهم بالاقراء سبعة كلهم عرضوا قراءاتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم : (١)

١ ــ أبى بن كعب (ت: ٢٠هـ)

٢ ــ عبد الله بن مسعود (ت : ٣٢٠) .

٣ ــ أبو الدرداء (ت : ٣٢هـ) .

٤ ــ عثمان بن عفان (ت : ٣٥هـ) .

٥ ــ على بن أبى طالب (ت : ٤٠هـ) .

٦ ــ أبو موسى الأشعرى (ت : ٤٤هـ) .

٧ ــ زيد بن ثابت (ت : ٤٥ هـ) . رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم أخذ عن هؤلاء الصحابة جمع غفير من التابعين تفرقوا فى الأمصار ، وعلى رأس المائة الأولى للهجرة دعت الحاجة الى ضبط القراءة ضبطا تامـــا بعد أن نشأت ناشئة تقرأ القرآن وفق أهوائها ، ولم تعد تأخذه عن القـــراء الثقات ، " فأجمع رأى المسلمين على أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقـــات ، تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم ، فأختاروا من كل مصر وجه اليـــه مصحف أئمة مشهورين بالثقة والامانة فى النقل وحسن الدراية وكمال العلم ، أفنوا عمرهم فى القراءة والاقراء ، واشتهر أمرهم ، وأجمع أهل مصرهم علـــى

---

(١) معرفة القراء الكبار : ١/٢٩ ــ ٣٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

عدالتهم ، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم"[1] فاشتهر من أولئك — ومن الطبقة التي تليهم — سبعة ائمة لا تزال تنسب اليهم القراءات الى اليوم ، وهم[2] (حسب سني الوفاة) :

١ — أبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي (٨ — ١١٨ هـ) امام أهل الشام .

٢ — عبد الله بن كثير المكي (٤٥ — ١٢٠هـ) امام أهل مكة .

٣ — عاصم بن أبي النجود الكوفي (... — ١٢٧هـ) امام أهل الكوفة .

٤ — أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني (٦٨—١٥٤هـ) امام أهل البصرة .

٥ — أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات (٨٠ — ١٥٦هـ) امام في الكوفة بعد عاصم والأعمش .

٦ — نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (٧٠ — ١٦٩هـ) امام أهل المدينة .

٧ — أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (١١٩ — ١٨٩هـ) انتهت اليه رياسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة والزيات .

وأول من اختار هؤلاء السبعة : أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد[3] (ت : ٣٢٤هـ) وألف في قراءاتهم كتابا ذكر فيه روايتين لكل قارئ سماه : " القراءات السبع "[4] .

---

(١) اتحاف فضلاء البشر : ٦

(٢) انظر ترجمتهم في : طبقات القراء (١/٦٧— ١٠٠) والبرهان في علوم القرآن : ١/٣٢٧ .

(٣) الابانة : ٦٤ ، غاية النهاية : ١٤٢

(٤) كشف الظنون : ٢/١٤٤٨ ، حجة القراءات (المقدمة): ١٧ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

تنبيـــــه :

وننبه هنا الى أن اختيار ابن مجاهد لهؤلاء السبعة من بين أئمـــة أعلام فى القراءة ، لايعنى أنهم أفضل الأئمة ، فقد كان فيهم عدد لايستهان به أفضل من بعض هؤلاء : كيعقوب الحضرمى ، وأبى جعفر يزيد بـــــن القعقاع ، وعبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى ... وغيرهم (١) ، ولذلـــــك انتقده كثير من العلماء فى ذلك ، كما نقدوه فى الاقتصار على سبعة فقط ، فأوهمت العوام وأشباههم بأن هذه القراءات السبعة هى المقصودة بالحديث الشريف (أنزل القرآن على سبعة أحرف) قال أبو العباس ابن عمار : " لقـد فعل مسبع هذه السبعة ما لاينبغى له ، وأشكل الأمر على العامة بايهامـــه كل من قل نظره أن هذه القراءات هى المذكورة فى الخبر ، وليته اذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة (٢) " . لذلك قام العلماء باختيـار ثلاثة آخرين من أئمة القراءة ــ وفق ضابط معين يجمع بينها ــ فسميـــــت قراءاتهم بالقراءات العشر ، وهم :

٨ ــ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومى المدنى (ت ١٣٠ هـ) .

٩ ــ يعقوب بن اسحاق بن زيد الحضرمى البصرى (ت ٢٠٥ هـ) .

---

(١) البرهان : ١/٣٢٩ ، الابانة : ٦٥

(٢) الاتقان : ١/٨٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

١٠ـ خلف بن هشام البزار الأسدى البغدادى (ت ٢٢٩هـ) .

وزيد على هؤلاء من بعد ، أربعة قراء كبار تمشيا مع ذلك الضابط لتصبح أربع عشرة قراءة لم يشتهر غيرها ، وهي قراءة كل من :

١١ـ الحسن بن أبى الحسن بن يسار البصرى (١١٠ هـ) .

١٢ـ محمد بن عبد الرحمن المعروف بأبى محيصن (١٢٣هـ) .

١٣ـ يحى بن المبارك اليزيدى (٢٠٢هـ) .

١٤ـ أبى الفرج محمد بن أحمد الشنبوذى (٣٨٨ هـ) .

وأطلق على السبع الأول : القراءات المتواترة ، وعلى الثلاث التالية : قراءات الآحاد ، وعلى الأربع الأخيرة : القراءات الشاذة "[1] .

أنواعهـــا :

صنف السيوطى[2] القراءات الى ستة أنواع بحسب أسانيدها :

الأول : المتواتر : وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهـــم من أول السند الى منتهاه ، ومثاله : ما اتفقت الطرق على نقلـــه عن السبعة ، وهذا هو الغالب فى القراءات .

---

(١) مباحث فى علوم القرآن : ١٧٥ ، لكن العبرة فى القبول وعدمه علـــى القراءة نفسها (النشر : ١/ ١٤) .

(٢) الاتقان : ١/ ٧٩ (بتصرف) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الثانى : المشهور : وهو ماصح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية والرسم العثمانى ، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ ، ومثاله مااختلفت الطرق فى نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة دون بعضهم • وهذان النوعان يجب اعتقادهما والقراءة بهما ولا يحل انكار شئ منهما •

الثالث : الآحاد : وهو ماصح سنده وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور • وهذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده وكذلك مابعده ومن أمثلته : ماأخرجه الحاكم عن أبى بكرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ (متكئين على رفارق خضر وعباقرى حسان) (١) •

الرابع : الشاذ : وهو ما لم يصح سنده ، كقراءة أبى السميفع (فاليوم ننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) بالحاء المهملة فى (ننجيك) وبفتح اللام فى كلمة (خلفك) •

الخامس: الموضوع : وهو ما لا أصل له •

السادس: المدرج : وهو مازيد فى القراءات على وجه التفسير ، كقراءة ابن عباس : " ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج (فاذا افضتم من عرفات) . الآية (٢) .

---

(١) سورة الرحمن : ٧٩

(٢) سورة البقرة : ١٩٨ والمدرج لفظ فى مواسم الحج .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ضوابط القراءة الصحيحة :

اشترط العلماء لصحة القراءة ، وجواز التعبد بها شروطا ثلاثة :(١)

١ — أن تثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصح سندها اليه بطريق التواتر برواية العدول الضابطين الثقات عن أمثالهم . لأن القـــراءة سنة متبعة يجب فيها الاعتماد على سلامة النقل وصحة الرواية ، حـتى يصح التعبد بها .

٢ — أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، لأن الصحابة اجتهدوا فى رسم المصاحف العثمانية على ماثبت لديهم من أوجـــه القراءة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولأن الأمة قد أجمعت علـى تلك المصاحف من غير نكير منهم .(٢)

٣ — أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه من الوجوه سواء أكان أفصـح أم فصيحا ، مجمعا عليه أو مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثلـــه، لان القراءة سنة متبعة لا تعتمد على الأفشى فى العربية أو الأقيس فـــى اللغة بل الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل . فكل قراءة توافرت فيهـا الشروط الثلاثة المتقدمة "فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ، ولا يحل انكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القـرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الائمة السبعة أم عـــن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هـــذه

---

(١) النشر : ١/٩ — ١٣ ، والبرهان : ١/٣٣١ — ٣٣٤

(٢) تفسير الطبرى : ١/٦٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف.(١)

∴ ∴ ∴

∴

(١) النشر : ١/٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثانى

لُغَةُ ٱلْقُرْآنِ

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

معناهـــا :

لغة القرآن : هى اللغة العربية التى سمت وارتفع شأنها ، بعد أن مرت بمراحل الضعف والانقسام ، وبلغت قمة المجد بالوحدة والانسجـــام ، فاختارها الله — جل ثناؤه — لينزل بها أعظم كتاب على أكرم رســـــول ، معجزة الدهر لسيد البشر صلوات الله وسلامه عليه .

وقد سماها العلماء العربية الفصحى أو الفصيحة ، والعربية الموحـدة والعربية المثالية ، والعربية النموذجية ، والعربية الأدبية ، والعربيـــــة المشتركة .. وتلك أسماء ، وأن اختلفت فى لفظها ، فانها فى مدلولهـــا لا تختلف .

نشأتهـــا :

اللغة العربية كسائر اللغات نشأت طفلة وليدة ثم ما لبثت أن نمـــت وتدرجت مع الزمن حتى بلغت مرحلة النضج والكمال . والحديث عن حياتهـــا الأولى :كيف ولدت ؟ وكيف نمت ؟ أمر غير مقطوع به بل هو الى الظن أقـرب منه الى اليقين .

لقد كان ميلاد هذه اللغة — كما يقول الرافعى[1] — فى فجر يوم مـــن أيام الله ، أظهره ثم محاه ، وشهد الأولون تباشيره ، ثم تعاقبت الأجيال ولم يزل العالم فى ضحاه ، ولعل مرد ذلك الى حكمة آلهية لم تظهر لنـــا بعد .

---

(١) تاريخ آداب العرب: ١/ ٧٨ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وحاول المؤرخون ، من العرب وغيرهم ، أن يستجلوا غوامض تلك النشأة ويلقوا الضوء على مراحل تطورها عبر الفترة الزمنية التي سبقت ظهور الاسلام فلم يجدوا من النصوص القديمة مايسعفهم لأن العرب قوم أميون لم يحفلوا بالكتابة والتدوين منذ القدم فضاع تاريخ لغتهم في صحرائهم الشاسعة .

التفت المؤرخون حينئذ الى الحفريات الأثرية والنقوش القديمة التي عثر عليها في شمال وغرب الجزيرة العربية (١) فأجروا دراساتهم عليها ، وخلصوا الى أن اللغة العربية فرع من مجموعة اللغات التي ظهرت في الموطن العربي وأطلق عليها ، اصطلاحا ، " اللغات السامية " (٢) .

---

(١) عثر في الشمال : على ستة نقوش قديمة في ثمود ولحيان وصفوى ، والنمارة وزبد وحوران ، وفي الغرب : على نقوش نبطية في "البتراء" غير أن الأربعة الأخيرة أقرب في أصواتها ومفرداتها الى العربية لكنها ليست هي العربية المعروفة لدينا (فقه اللغة وافي : ١٠٣ ، الفلسفة اللغوية : ٥٠) .

(٢) السامية : مصطلح حديث أطلقه المستشرقون على احدى الفصائل اللغوية التي نشأت في الشرق الأوسط ، ودلت القرابة بين لغاتها على أنها — في الأصل — لهجات للغة واحدة هي لغة : " سام بن نوح " الذي ورد ذكره في التوراة .. وتشمل اللغات التالية :

أ — الأكادية ، والآشورية البابلية ، والكنعانية (العبرية والفينيقية والسريانية) ، والآرامية .. وتسمى هذه الطائفة : بالسامية الشمالية .

ب — العربية ، واليمنية القديمة ، والحبشية السامية ، وتسمى : بالسامية الجنوبية . والواقع أنها تسمية اصطلاحية ، ليس لها أي سند تاريخي ، اذ لا يعرف التاريخ أمة قديمة تحمل هذا الاسم فتكون "السامية "لغتهم (علم اللغة "وافي " : ٢٠١ ، وتاريخ الأدب العربي "بروكلمان " : ٦٣) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

واتفقوا على أن العربية الأولى كانت لغة القبائل التى سكنت شبه الجزيرة من اليمن الى الشام ومن العراق الى سيناء ، وأن مصدرها الأول عاربة أهل اليمن ، الا أنها لم تبلغ حد النضج والسمو فى (اليمن) بل بلغت ذلك فى (الحجاز) عندما استقر بها المطاف فى رحاب البيت العتيق ، فكتب لها أن تهذب وتبلغ أوج الكمال (١) . وكان أول تهذيب للعربية — على يد "يعرب بن قحطان" رأس العرب ، ثم تفتق بها لسان سيدنا اسماعيل بن ابراهيم — عليهما السلام — فى "مكة" ، ومنها انطلقت هذه اللغة الى قبائل الجزيرة العربية عن طريق الاختلاط وتبادل المنافع (٢) .

ومع أنه لا يمكن الجزم بأن تلك اللغة هى العربية الفصحى المعروفة فى الآثار الجاهلية التى وصلت الينا ، فان المؤرخين يذهبون الى أن فصحانا هذه لا يرجع تأريخها الى أبعد من النصوص الجاهلية التى تضمنت الشعر والنثر ، وهى اللغة التى سادت الجزيرة قبل قرنين من بزوغ فجر الاسلام (٣) .

---

(١) تاريخ آداب العرب : ٨٧ .

(٢) المزهر : ٢٨/١ ، تاج العروس (عرب) .

(٣) تاريخ الأدب العربى (العصر الجاهلى : ١٠٤ ومابعدها) مقدمة الصحاح : ١٣ ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : ٥٤٠/٨

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

اكتمالهـــا :

اشتدت حاجة القبائل العربية فى الجاهلية الأولى الى الاتصـــال ببعضها بحكم الجوار وتبادل المنافع عن طريق التجارة وفى مواسم الحـــج ، وحفزهم ذلك الى الاتفاق على وسيلة لغوية تجمع بينهم وتوحد شملهم ، فاتجهوا الى اختيار مركز ممتاز فى ثقافته ، قوى فى نفوذه ، يلتفون حوله ، ويطمئنون اليه ، فتكون لغته أداة القول المشتركة بينهم ..

وتهيأت الظروف لجعل مكة مركزا للوحدة الثقافية والسياسية بيـــن القبائل ، واجتمعت آراؤهم بها على لغة موحدة آخذة من كل لهجة أحسنها تكون لهم جميعا لسانا مشتركا يتم به التفاهم فى مجالات القول الرفيعة . ثم توالت جموعهم الى مكة ليطوفوا بالبيت العتيق الذى قدسوه قبل الاســـلام ، ليشهدوا منافع لهم فى أسواقهم التجارية .

وفى أثناء ذلك يعقدون مناظرات أدبية للشعر والخطابة فى تلـــك الأسواق ، فكان لزاما على الشاعر أو الخطيب الذى يطمح الى التأثير فـــى سامعيه والتفوق على مناظريه أن يتحدث الى القوم بلغة أدبية رفيعة خاليـة من الكشكشة والعنعنة وغيرهما من صفات اللهجات المحلية ، يألفونها جميعا وينظرون اليها نظرة اعجاب وافتخار ، كانت هى اللغة النموذجية ، لغـــة الخاصة من الناس ، التى استحقت أن تروى آثارها ويعتز بها طويلا (١) .

وهكذا ارتقت العربية رقيا كبيرا فى أواخر العصر الجاهلى وتطـــورت لهجاتها الى لغة موحدة ، بدأت ونمت وازدهرت واكتملت قبل الاســـلام ،

---

(١) اللهجات العربية : ٤٠ ، نظرات فى اللغة : ١٢٨ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وشاعت فى أنحاء الجزيرة العربية على ألسنة الفصحاء والبلغاء ، وعد ماعداها من لهجات العامة التى يستخدمونها فى حياتهم القبلية غير فصيح ، تتفاوت فى الرداءة والجودة بقدر بعدها أو قربها من اللغة الأدبية المشتركة .(١)

أصل الفصحى :

تميزت اللغة الأدبية أو اللغة الفصحى عن لهجات الخطابة والمحادثة ، ووضحت صورتها فى الأذهان ، اذ هى لغة التأليف والأدب الرفيع ، لكن الباحثين ظلوا يستطلعون المجهول ، فيحاولون البحث فى الماضى عن أصل الفصحى الذى تنتمى اليه ، أهو لهجة احدى قبائل الجزيرة العربية تطورت ثم سادت ؟ وما هذه اللهجة ؟ أهى لهجة قريش أم تميم أم غيرهما ؟ أم هى خليط منتقى من سائر اللهجات العربية ؟ أم هى لغة اخرى لا تمت الى اللهجات العربية السائدة قديما بصلة ؟

وفى ذلك اختلف العلماء ، فنذكر لهم الآراء التالية :—

١ — ذهب علماؤنا الأقدمون — وتبعهم فى ذلك كثير من المحدثين (٢) — الى أن هذه اللغة "الفصحى" كانت فى الأصل لهجة قريش ، وبحكم نفوذ قريش السياسى ومكانتهم الاجتماعية والروحية لانفرادهم برعاية الحرم والقيام بشئونه ، وسيطرتهم على اقتصاد شبه الجزيرة العربية بمركزهم التجارى ، أتيحت للهجة القرشية فرصة الاحتكاك ببقية اللهجات العربية والأخذ منها فامتازت بغزارة مادتها اللغوية

---

(١) المعجم العربى : ١٥/١

(٢) من أصحاب هذا الرأى حمد بن فارس والفارابى ، وابن خلدون ، والدكتور وافى والدكتور طه حسين والدكتور شوقى ضيف .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ورقة أسلوبها ، وقدرتها الفائقة على التعبير .. فأعجب بها القـــوم واتخذوها لغـــــة لأدباء العرب جميعا فطبقت شهرتها آفـــــاق الجزيرة قبل الاسلام .

قال أبو نصر الفارابى (٣٥٠ هـ) : "كانت قريش أجود العـــرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطـــــق ، وأحسنها مسموعا ، وأبينها ابانة عما فى النفس .."(١) .

وقال أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) : "اجمع علماؤنا بكلام العـــرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصـــح العرب ألسنة وأصفاهم لغة ، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم مـــن جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبى الرحمة محمد صلى الله عليـــه وسلم فجعل قريشا قطان حرمه وجيران بيته الحرام ، وولاته ، فكانـــت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الـى قريش فى أمورهم ..

وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصطفى أقوالهم فاجتمع من تلك اللغات الى نحائزها وسلائقهم التى طبعـــوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب ، ألا ترى انك لا تجد فى كلامهـــم هعهعة تميم ولا عجز قيس ولا كشكشة أسد ولا كسكسة ربيعة .. "(٢) .

---

(١) الاقتراح : ٢٢ ، المزهر : ٢١١/١

(٢) الصاحبى فى فقه اللغة : ٣٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ويقول العلامة ابن خلدون (٨٠٨هـ) "كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتهم" وقد بلغت في الفصاحة شأوا بعيدا ، حتى أن القبائل العربية "على نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية" (١) .

وأيد بعض الباحثين المتأخرين هذا القول ، وأرجع ذلك الى نظرية شائعة في قوانين اللغات ، حينما تنتشر في ساحة واسعة من الأرض ، وتتفرع الى لهجات فينشأ بينها صراع لغوي يكتب فيه الفوز لاحداها ، فتطغى على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة وتستأثر بميادين الأدب ونواحي القول شعره ونثره .. وضرب لذلك أمثلة بالفرنسية والاسبانية والايطالية ، ولم يكن للعربية أن تفلت من هذا القانون العام الذي كتب النصر فيه أخيرا للهجة القرشية على اخواتها من لهجات الجزيرة ، فأصبحت ، بعد تغلبها ، لغة الآداب عند جميع قبائل العرب (٢) ..

وهذا القول هو الذي أميل الى ترجيحه واختياره ، ويمثل ما في نفسي قول الدكتور "طه حسين" الآتي ، أصدق تمثيل :

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ٥٥٥

(٢) فقه اللغه (وافي) : ١٠٨ — ١١٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

" أما أن هذه اللغة العربية الفصحى التى نجدها فى القرآن والحديث وما وصل الينا من النصوص المعاصرة للنبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه لغة قريش ، فما نرى أنه يحتمل شكا أو جدلا ، فقد أجمع العرب على ذلك بعد الاسلام ، واتفقت كلمة علمائهم ورواتهم ومحدثيهم ومفسريهم على أن القرآن نزل بلغة قريش ، أو قل على أن هذا الحرف الذى بقى لنا من الأحرف السبعة انما هو حرف قريش ، وقد يكون من التكلف والتحذلق أن يجمع العرب كافة على أن لغة القرآن هى لغة قريش ، وأن لا يظهر فى العصر الاسلامى الأول ولا فى أيام بنى أمية ولا فى أيام بنى العباس من ينكر هذا أو يجادل فيه ، رغم ما كان من الشعوبية الأعجمية ومن الشعوبية الحميرية ومن الخصومات السياسية بين قريش وغيرها من قبائل مضر ، ثم يزعم زاعم أن هذه اللغة ليست لغة قريش ، وانما هى لغة قبيلة أخرى مهما تكن هذه القبيلة .. "(١)

ثم يتابع ذاكرا الأدلة التى اعتمد عليها للقطع بهذا الرأى ، فيقول(٢) " فنحن مضطرون أمام هذا الاجماع من جهة ، وأمام قرشية النبى صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى ، وأمام نزول القرآن فى قريش من جهة ثالثة ، وأمام فهم قريش للفظ القرآن فى غير مشقة ولا عنف من جهة رابعة ، وأمام اتفاق القرآن فى اللغة واللهجة مع ما صح من حديث النبى القرشى ومن الرواية عن أصحابه القرشيين من جهة خامسة ، الى أن نسلم بأن لغة القرآن انما هى لغة قريش ".

---

(١) فى الأدب الجاهلى : ١٠٥

(٢) نفسه : ١٠٦

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا يدلل الدكتور على أن لغة قريش هذه هى اللغة العربية الفصحى التى فرضت نفسها على قبائل الجزيرة ثم سادت وانتشرت بنزول القرآن الكريم بها ، لكنه يستدرك ثانية ليوضح زمن انتشارها حيث يقول : " أما نحن فنتوسط ونقول : انها سادت قبل الاسلام حين عظم شأن قريش وحين أخذت "مكة" تستحيل الى وحدة سياسية مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التى كانت تتسلط على أطراف البلاد العربية .. ولكن سيادة لغة قريش قبل الاسلام لم تكن شيئا يذكر ، ولم تكد تتجاوز الحجاز ، فلما جاء الاسلام عمت هذه السيادة وسار سلطان اللغة واللهجة مع السلطان الدينى والسياسى جنبا الى جنب .. "(١) .

ويعلل باحث آخر(٢) لسيادة اللهجة القرشية على سائر أخواتها بأن شيوع لهجة ، بعينها دون نظيراتها ، لابد أن تقترن به حالة سياسة أو روحية أو حضارية تهيئ لها هذا الشيوع والانتشار بحيث تصبح لغة الفكر والشعور للجماعة الكبيرة فتتخذها أداة لأدبها بينما تظل وحداتها الصغيرة تتحدث فى حياتها بلغاتها المحلية .

فنحن لا نعد الواقع اذا قلنا ان لهجة قريش هى الفصحى التى عمت وسادت فى الجاهلية ، لا فى الحجاز ونجد فحسب ، بل فى كل القبائل العربية شمالا وغربا وشرقا ، وفى اليمامة والبحرين ، وسقطت الى الجنوب وأخذت تقتحم الأبواب على لغة حمير واليمن ، وخاصة فى

---

(١) فى الأدب الجاهلى : ١٠٥

(٢) د . شوقى ضيف : العصر الجاهلى : ١٣٣ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

أطرافها الشمالية حيث منازل الأزد وخثعم وهمدان وبنى الحارث بن كعب فى نجران ، وتمت لها السيادة والريادة فى الفترة التى سبقت ظهور الاسلام .

٢ — هناك نفر من المستشرقين خالفوا فى قبول هذه الحقيقة ، فاجمعوا القول بأن الأدبية "الفصحى" لغة أخرى غير القرشية ،(١) وكأنهم بذلك يريدون أن يناقضوا ما استقر فى أذهاننا من كلام علمائنا الأوائل وكفى ! ثم لم تتفق كلمتهم ، بعد ، على تحديد أصل لهذه اللغة .

فزعم "نالينو" أنها احدى اللهجات النجدية ، تهذبت فى زمن مملكة كندة ، وأصبحت اللغة الأدبية السائدة بين العرب ، واستدل على ذلك بأنها لغة القبائل التى اشتهرت بنظم الشعر ، وأن اللغويين والنحاة قد جمعوا مادتهم اللغوية وشواهدهم من وسط الجزيرة .

وتابعه فى ذلك "بلاشير" لكنه أضاف : ان الفصحى مشتقة من الشعر الجاهلى والقرآن معا ، وأن القرآن لا يستند على اللهجة المكية وانما على لغة هذا الشعر ، وهى لغة تولدت من لهجة محلية ارتفعت الى مرتبة لغة أدبية ، ولم يوضح لنا هذه اللهجة المحلية

---

(١) انظر فى ذلك :
المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : ٨/٦٢٦ ومابعدها .
وقارن بتاريخ الأدب العربى (ضيف) : ١/١٣١ — ومابعدها .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

بعد أن نفى أن تكون هى لهجة قريش (١) .

وكذلك قال "فيشر" : انها لهجة معينة لقبيلة معينة ، لكنه لم يسم هذه القبيلة أو يعز اللغة اليها .

أما "جويدى" فناقض سابقة وأصر على انها مزيج من لهجات أهل نجد ومن جاورهم .

وزعم "نولدكه" بأن الفصحى خليط من لهجات الحجاز ونجد واقليم الفرات ، تداخلت فى أجزائها الأساسية وتركب منها اللهجة الفصحى .

واكتفى (بروكلمان) بالقول بأن لغة الشعر القديم لم تقم على أساس اللهجات الدارجة ، بل كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وان غذتها جميعا (٢) .

ويبدو أن هذه الآراء على مابينها من تضارب تتفق على انكار كون اللهجة القرشية أساسا لتطور الفصحى .. لكنها لا تعتمد فيما تجنح اليه على أدلة نقلية أو عقلية مقبولة سوى الحدس والافتراضات التى لا يمكن التعويل عليها فى تقرير الحقائق . وأما مااستدل به "نالينو" من أن اللغويين والنحاة قد جمعوا مادتهم اللغوية وشواهدهم من أواسط الجزيرة حيث القبائل النجدية وما جاورها ، وتركوا الأخذ عن قريش ، فان ذلك مسلم له لو ان هذا العمل تم قبل مجئ الاسلام ، أما وقد تأخر هذا الجمع الى منتصف

---

(١) تاريخ الأدب العربى (لبلاشير) : ٨٧

(٢) تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) : ١/٤٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

القرن الثانى عدما دخل الجزيرة أخلاط من الشعوب الأعجمية التى اعتنقت دين الاسلام وأثر اختلاطهم بالقرشيين على سلامة ألسنتهم ، وأفسد سليقتهم اللغوية ، فان الرواة لم يطمئنوا الى القبائل المتحضرة أو المجاورة للروم أو الفرس أو الأحباش واكتفوا بالأخذ عن فصحاء الأعراب فى القبائل البعيدة عن مواطن الخلطة. وليس فى علمهم هذا ما يشكك بنقاء اللغة القرشية وسلامتها أثناء العصر الجاهلى وفترة نزول القرآن الكريم .

ويكفينا — نحن المسلمين — أطمئنانا الى مارجحناه قول الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه — وهو من عاصر الفترة الذهبية من حياة الفصحى — للرهط القرشيين الثلاثة ، أثناء كتابة القرآن : " اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا "[1] وقبله كتابة عمر بن الخطاب لعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما وقد بلغه أنه يقرئ القرآن بلغة الهذليين : " ان القرآن نزل بلسان قريش ، فأقرئ القرآن بلغة قريش لا بلغة هذيل[2] .. " .

ومعلوم أن لغة القرآن الكريم التى أنزله الله بها هى العربية الفصحى وهى التى نعنى بها فى أبحاثنا هذه ، كما أنها هى التى ينصرف اليها لفظ "العربية" عند الاطلاق .

ونضرب صفحا ، فى هذا الصدد ، عما ادعاه بعض المستشرقين الحاقدين على الاسلام والعربية ، المنكرين للحقائق والمسلمات البدهية ،

---

(١) الاتقان : ٥٩/١ ، فتح البارى : ١١/٩

(٢) فتح البارى : ٩/٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

حين زعم "فولرز" أن القرآن الكريم فى بادئ الأمر غير معرب ، اذ كان بلهجة قريش الدارجة ، وهى — فى زعمه — لهجة شعبية غير معربة حتى جاء النحاة فصاغوه فى لغة البدو المعربة (١) . لما فى هذا القول من التضليل المتعمد ، والتهجم الصريح على قدسية هذا القرآن العظيم ، الذى وعد الله بحفظه وصونه من أن تمتد اليه يد عابث أو يسىء اليه عمل حاقد .. وقد أجمع المسلمون على تواتر آياته وكلماته وحروفه كما أنزلت على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قراءاته العشر التى رواها العلماء من بعده ، وتم جمعه وكتابته فى المصاحف بطريقة غاية فى التوثيق والاتقان كما أشرنا .

وفساد هذا الزعم ، من جهة العقل ؛ لايحتاج الى دليل ، لأن الاعراب ملكة راسخة فى سليقة العربى لا يستطيع أن يتخلى عنها ، الا مضطرا ، وكل ماقام به النحاة ، فى القرن الثانى ومابعده ، انما هو استخلاص لقواعد تلك الملكة ، وابراز لها فى صورة دراسة يلجأ اليها من يريد أن يعصم لسانه من الوقوع فى اللحن .

أما أولئك الأعراب الأقحاح فقد كانوا يتكلمون بها سجية فى طباعهم يشب عليها الصغير ويشيب عليها الكبير ، ولم نسمع أن أحدا من أولئك الأعراب جاء الى النحاة ليتعلم مصطلحات قواعدهم الأعرابية بل انهم يخرجون الى البادية ويقيمون بينهم الأشهر والأعوام ليستمعوا اليهم ويؤسسوا القواعد على سنن لغتهم ومجارى كلامهم .

ثم ما الذى يقوله "فولرز" عن الشعر الجاهلى الذى وصل الينا وتقوم أوزانه وقوافيه على ملاحظة ذلك النظام الاعرابى ؟ ان انكاره هذا الشعر

---

(١) العربية (فك) : ٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

لا سبيل اليه لأن العقل يحيل أن يكون قد ألف غير معرب للكلمات ، اذ أن عدم اعرابها يترتب عليه اضطراب أوزانه واختلال موسيقاه ...

وواضح أن هذا الزعم يفضى الى القول بأن قواعد اللغة التى تضبطها فى المفردات والتراكيب انما هى من اختراع النحاة فى العهود الاسلامية ولم تكن معروفة من قبل أو مستعملة فى الاسلوب العربى القديم ، كما قال "كوهين "(١).

وأرى أنه لا يمكن لعاقل أن يتصور أنه بوسع أحد ما أن يخترع قواعد لغوية ثم يرغم الناس عليها ، لان قواعد اللغة السليقية ليست من الأمور التى تخترع أو تفترض على الناس وانما تنشأ من تلقاء نفسها وتتكون بالتدريج .

والحق أن بعض المنصفين من المستشرقين أنفسهم لم يرتضوا هذا القول فأنكروه ، وكان من بينهم : يوهان وتولك(٢) وجابر وريتان ، يقول أحدهم : " .. اما أن أقدم أثر من آثار النثر العربى وهو القرآن قد حافظ أيضا على غاية التصرف الاعرابى، فهذا أمر وان لم يكن من الوضوح والجلاء بدرجة الشعر الذى لا تترك أساليب العروض والقافية مجالا للشك فى اعراب كلماته ، الا أن مواقع الكلام الاختيارية لا تترك أثرا للشك فيه كذلك ، انظر مثلا آية ٢٨ من سورة فاطر (انما يخشى الله من عباده العلماء) وآية ٣ من سورة التوبة (ان الله برئ من المشركين ورسوله) ، وآية ٢٤ من سورة البقرة (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) وآية ٨ من سورة النساء (واذا حضر القسمة أولو القربى)

---

(١) فقه اللغة (وافى) : ٢١٣

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام : ٥٤٧/٨ ، ٦٢٧ ، تاريخ الأدب العربى (ضيف) ١٠٥/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فمثل مواقع الكلمات فى هذه الآيات .. لا يمكن الا أن يكون فى لغة لا يـــزال الاعراب فيها حيا صحيحا "(١) .

فهل يسلم لنا بعد هذا ، الرأى الذى سقناه أولا وأطمأنت نفوسنـــا اليه ؟ .

أثر الاسلام فيها :

استقبلت العربية الموحدة كتاب الله العزيز فرحة مستبشرة تفتـــــح صدرها لتعى ألفاظه ومعانيه . وتبسط ذراعيها لتضم آياته وعظاتـــــه ، وكأنها البحر سعة وانفراجا ، وتحدث بها الرسول الكريم ، وانتشر بها الدين الجديد ، فأصبحت منذ ذلك الوقت : لغة القرآن الكريم والحديث الشريـــف والاسلام العظيم . وقد أضفى عليها هذا الحدث الكبير طابعا فريدا يميزهـــا عن سائر اللغات ، ويربطها بالدين والعبادة ، عبادة الله الواحد الأحد ، لأول مرة فى التاريخ .

لقد كان نزول القرآن بالعربية الموحدة بالغ الأثر فيها اذ هيأ لهـــا أسباب الرفعة والسمو والارتقاء ، والحفظ والبقاء ، فبمقدار عظمة هذا المؤثـــر كان التأثير قويا وحجمه كبيرا ، وحينما نبحث عن هذا الأثر نضع أيدينا عليـــه نشعر أنه يندرج تحت النوعين التاليين :-

الأول :أثر عام : يكمن فى تحنيز القرآن الكريم شأن الوحدة اللغوية بنزولـــه باللغة الأدبية الموحدة أو اللغة الفصحى التى أثرها فصحاء العرب واتخذوها لغة القول والفن الرفيع للأدب شعره ونثره .. فقوى بذلك سلطانها ،

---

(١) العربية (فك) : ٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

واشتدت شكيمتها ، وثبتت دعائمها ، وارتفع مستواها ارتفاعا لم يسبق له نظير في لغات الأمم . حقا لقد نزل القرآن بلغة العرب التي كانوا ينظمون بها شعرهم ويلقون خطبهم ويتخاطبون بها فيما بينهم ، ومصداق ذلك قوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)[1] ، ومجئ صفة (مبين) نعتا للسان العربي والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم ..."[2].

وبدهي أن هذا القول ينفي ما ذهب اليه بعضهم[3] من أن القرآن الكريم هو الذي وحد اللهجات العربية المتباينة قبل الاسلام وصهرها في بوتقة واحدة أفرزت لنا هذه اللغة الفصحى التي لا تزال مستعملة الى اليوم لغة التأليف والكتابة ، وذلك لما ينطوي عليه هذا المذهب من انكار لوجود اللغة الأدبية الموحدة قبل الاسلام ، وأن القرآن الكريم جاء بلغة جديدة لم تكن مألوفة للعرب من قبل نزول القرآن .

والحق أن اللغة الأدبية كانت شائعة رائجة قبل نزول القرآن الكريم بأكثر من قرن ونصف ، وقد استوت على سوقها ، وتسمت مرتبة عالية في القول . يؤكد لنا ذلك ما رواه الثقات من التراث الأدبي الجاهلي في شعره ونثره والذي يمثل لنا الوحدة اللغوية في أرقى مظاهرها وقد خلت من الصفات اللهجية الخاصة . ولا يعقل أن الرواة

---

(١) سورة ابراهيم : ٤

(٢) المعجم المفهرس : ١٤٣ (ب ي ن) .

(٣) الفصحى لغة القرآن : ٣٨ ، تاريخ الأدب العربي (ضيف) ١٣٧/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

رووها باللغة الموحدة وغيروا من تلك الصفات الخاصة ، لأنه ان أمكن عمل ذلك فى النثر فان الوزن الشعرى يأباه فى أكثر الأحيان .

لذا فلا مفر من القول " بأن اللغة الأدبية كانت موحدة قبل الاسلام ، وظلت موحدة بعده ، وقد خلت من الصفات المحلية للهجات "(١) ويبرز أثر القرآن حينئذ بزيادة قوتها وسلطانها ، وتوسيع رقعة انتشارها وشمولها ، لأن قوة الشعور الدينى دفعت المؤمنين الى تفهم القرآن الكريم والتعبد به ، واتخاذ لغته لغة دينية تربطهم بعقيدته .

وهكذا أتاح القرآن للعربية أكبر فرصة للانطلاق من اقليميتها المحدودة فى الجزيرة العربية الى مشارف العالم الاسلامى ، حين أصبحت لغة العقيدة والدين لكل من نطق بكلمة الاخلاص ، ومنحها شرفا ومهابة لم تتوفر لغيرها من اللغات .. أدرك ذلك علماء اللغات المقارنين ، يقول بروكلمان : " بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لاتكاد تصل اليه أى لغة من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن العربية هى وحدها اللسان الذى أحل لهم أن يستعملوه فى صلواتهم ، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمن طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى "(٢) .

---

(١) اللهجات العربية : ٤١

(٢) تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) : ١ / ٤٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وقال آخر (١) له تجربة ضخمة فى اللغات المقارنة القديمة والحديثة:
" ان اللغة العربية أطول اللغات الحية عمرا ، وأقدمهن عهـــدا ، والفضل فى ذلك راجع الى القرآن ، فالالياذة وبلاغتها وسائر منظومات هوميروس وهسيبروس على طو منزلتهما لم تقم للغة اليونانية دعامـــة ثابتة حتى فى بلادها ولم تقو على مقاومة التيار الطبيعى ، لكن القرآن وطد لغة قريش فى بلادهم وأذاعها فى جميع البلدان العربية وفـــى سائر البلاد ، فلولا القرآن لكان العرب اليوم يتخذون لهجاتهـــم وسائل الى التعبير عن وجدانهم وأفكارهم ، ولأصبحت أمتنا العربيـــة شعوبا تتكلم لغات مستقلة كالألمانية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية "

فبفضل هذا القرآن العظيم امتدت الحياة فى لغة قريش نحـــو خمسة عشر قرنا من الزمان ، ولولا الاسلام لم يستطع انسان أن يفهم ما أثر من تلك اللغة قبل القرآن بقرن أو بقرنين ، فأقدم نقش من آثـــار العربية كأحدثها يفهمه العربى الآن وبعد الآن وكأنه فى زمن قائله كل ذلك بفضل حفظ القرآن لهذه اللغة وضمان البقاء لها من اللـــه تعالى .

الثانى : أثر خاص ، نلحظه بوضوح فى تهذيب القرآن للغة العربيـــة ، وتنقيحها مما يشوبها ويؤثر فى فصاحتها ، ورفعها الى أعلى المستويات بما أضافه اليها من معان جديدة ومصطلحات اسلامية لم تكن مألوفـــة بالمعنى الجديد لهم .

---

(١) الاستاذ سليمان البستانى مترجم "الالياذة "الى العربيـــة .. (الفصحى : ٥٥) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

قال ابن فارس : " كانت العرب فى جاهليتها على ارث من آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ، ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله — جل ثناؤه — بالاسلام حالت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع الى مواضع آخر بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فخفى الآخر الأول .." (١) " وضرب أمثلة لما جاء به الاسلام من ألفاظ نحو الايمان والاسلام والكفر والنفاق والصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من المصطلحات الشرعية ، وبين أن العرب لا تعرف لها الا المعنى اللغوى العام ثم جاء الشرع وقيده بنوع خاص من عمومه واستشهد لكل معنى لغوى بشاهد يؤكده (٢) .

" فالصيام ، أصله عندهم : الامساك .. يقول شاعرهم : (٣)

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

ثم زادت الشريعة النية وحظرت الأكل والمباشرة وغير ذلك من شرائع الصوم " (٤) .

" ولم يعرفوا فى الفسق الا قولهم : فسقت الرطبة ، اذا خرجت من قشرها . وجاء الشرع بأن الفسق : الافحاش فى الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه " (٥) .

---

(١) الصاحبى : ٧٨

(٢) نفسه : ٨٣ — ٨٦

(٣) البيت للنابغة الذبيانى (ديوانه : ٩٥) ، واللسان (ص و م)

(٤) الصاحبى : ٨٥

(٥) نفسه : ٨٤

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وغيرها كثير ، أفرد لها ابن قتيبة بابا فى مقدمة "تفسير غريب القرآن" وعد فيها أكثر من أربعين لفظة اشتمل عليها القرآن الكريم ونقلها — اصطلاحا فى معنى لم تكن تعرفه العرب — لكنه أوهم فى بعض تعبيراته الى أن اللفظ نفسه غير مألوف لدى العرب حين قال : " والنفاق : لفظ اسلامى لم تكن العرب قبل الاسلام تعرفه .. "(١).

وهذا ليس بصحيح لأن اللفظ مأخوذ من قول العرب "نافقاء اليربوع" لكن الجديد فيه هو الاستعمال الاسلامى لمعنى مخصوص فيمن يظهر الاسلام ويبطن الكفر ، وقد فطن ابن منظور الى ذلك ، فنبه عليه حين قال : " وهو - أى النفاق — اسم اسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذى يستر كفره ويظهر ايمانه ، وان كان أصله فى اللغة محروفا .. "(٢). كما أن هذا القول من ابن قتيبة يومئ الى الزعم الذى سبق أن دحضناه — من أن القرآن الكريم جاء بلغة جديدة لا يعرفها العرب ، فلذلك نبهنا اليه .

فهذه المصطلحات الاسلامية الجديدة كانت روافد لفظية لاثراء هذه اللغة لكى تفى بمتطلباتها الجديدة ، وتتكافأ مع الأغراض السامية التى جاء بها الاسلام ولم تكن مألوفة من قبل للجاهليين ، كقضايا التشريع والعقائد ، والمغيبات وأحوال الدار الآخرة ، ونظام الحكم وشئون السياسة ، وأحوال الاسرة ومظاهر الكون وتفسيرات الطبيعة ... وغيرها .

ولم يقتصر هذا الأثر على استحداث ألفاظ جديدة بل محا من الألفاظ الجاهلية ما خالف تشريعات الاسلام ، وهذب اللغة لكى لا يكون

---

(١) تفسير غريب القرآن : ٢٩

(٢) لسان العرب : (نفق) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فيها لفظ زال معناه فيصبح عبئا على كاهل اللغة .. ومن ذلك ألفـــاظ : المرباع ، والنشيطة ، والفضول .. وهي أسماء لحصص معلومة يختص بهـــا المقسم قبل قسمة الغنيمة . وكالفاظ : الأتاوة والمكس والحلوان .. لأنهـا طرق محرمة لاكتساب المال بغير وجه مشروع .. وكتعبيرات جاهلية رفضهـــا الاسلام مثل : أبيت اللعن، وعم صباحا ، وأنعم ظلاما ، لما فيها من عـادات وثنية تربط الأسباب بغير موجدها (١) .

وهكذا تقبلت العربية من أساليب القرآن الكريم ودلالاته زادا سخيـا وفر لها فرصا كثيرة فى التعبير عن مناحى القول فى العصور الاسلامية الزاهية، وطوع ألفاظها لتقبل الحضارة الاسلامية فى معانيها الجديدة ، وأغراضهـــا المتعددة ، وخيالاتها الطموحة ، وفق ماتجرى به سنن الكون .

غير أنها فى الوقت نفسه واجهت مشكلات صعبة مع العرب وغيرهم فـــى حياتهم الجديدة حينما أفاء عليهم الاسلام ظله الوارف فدخل الناس فـــــى دين الله أفواجا ، بلغاتهم الخاصة وتأثرت لغة القرآن ، فأدرك العلماء أن ثمة خطرا يتربص بهذه اللغة الشريفة الدوائر ، فلا بد أن يفعلوا شيئا .. ؟

---

(١) انظر للمزيد فى ذلك : المزهر ١/٢٩٦ ـ ٢٩٨

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

جَمْعُ ٱللُّغَةِ

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: جمع اللغـــة ::

مقدمـــــة :

قامت في أواخر القرن الأول الهجرى حركة علمية ضخمة في المحيـــــط اللغوى ، عرفت " بجمع اللغة العربية وتدوينها " قصد منها خدمة كتاب الله العزيز بحفظ لغة التنزيل •

وشهد القرن الثاني مولد عمل معجمي فريد ، تفتقت عنه العقليـــــة العربية ، في سبيل الحفاظ على لغتها بجمع اللغة في كتب مرتبة شاملة .

وتدرج القرن الثالث ليطور منه ويضيف اليه ، ثم ترك للقرنين التاليين مشهد نضجه وكماله •• وبظهور "المعاجم"(١) الى حيز الوجود ، كانـــت تلك أعظم خطوة للمحافظة على لغة القرآن وصونها من عوادى العجمة وغوائـــل التحريف •

---

(١) ذهب سيبويه الى أن اسم الفاعل أو المفعول من أفعل يجمع جمـــع مؤنث سالما ولا يكسر كأعجم فهو معجم ومعجمات ، وأجاز تكســـــير آخرون ، وقد أقر مجمع "اللغة العربية" بالقاهرة جواز الجمعين •

(المعجم الوسيط : ٥٩٢/٢ "عجم") •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الدافع اليـــه :

كان الأثر القرآني كبيرا في نفوس العلماء القدامى تجاه هذه اللغة، فمنذ أن ارتبطت العربية بالكتاب العزيز اهتم العلماء بها ، وأفرغوا الوسع في حفظها وضبطها وتدوينها ، وسلكوا في ذلك طرقا مختلفة بدأت بالروايـــة والجمع ، وانتهت بالتدوين والتأليف ، وكان الدافع اليها جميعا هدفـــا دينيا واحدا عبر عنه ابن خلدون بقوله : " فاحتيج الى حفظ الموضوعـــات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس ، ومايئشأ عنه من الجهل بالقـــرآن والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين "(١) ذلـك أن خدمة الكتاب العزيز تستلزم خدمة لغته والحفاظ عليها من أن يتطرق اليهـــا خلل التصحيف أو عور التحريف ، وصيانة ثروتها اللفظية الهائلة من الضيـاع، لأن في ضياعها ـ لاسمح الله ـ ضياعا للقرآن واستغلاقا لمعانيه ، وبالتالي الجهل بتعاليمه وأحكامه وآدابه .. التي هي مناط التكليف فيه .

فلأجل ذلك " دونت اللغة بواسطة المعجمات وسائر الكتب اللغويـة خشية أن يضيع بعضها ، أو يندس اليها غريب تنبو عنه أصولها وقواعدها "(٢).

وكان أول ما عنى به العلماء ألفاظ القرآن ، لأنها أساس فهـــم الكتاب الكريم ، ولأنها تكون مادة كبيرة من مواد اللغة ، فهي " لب كـــلام

---

(١) المقدمة : ٤٨٤ ، الدروس : درس الرسم دروسا عفا بضم الدال . وهو البلى والفناء . (القاموس : درس) .

(٢) مقدمة الصحاح : ٤٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

العرب وزيدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وماعداها - وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها - هو بالاضافة اليها كالقشور والنوى بالاضافة الى اطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالاضافة الى لبوب الحنطة ..." (١) ، تبعا لذلك قام فريق من العلماء - عرفوا باللغويين - بالبحث عن ألفاظ اللغة رواية وجمعا وتدوينا ، وسلكوا عدة محاولات في التأليف توجت بظهور المعجم الشامل .

اللحن :

يعد اللحن في القرآن الكريم السبب المباشر لوضع العلوم اللغوية في العربية ، وكان في أول أمره ضئيلا لايكاد يسمع الا نادرا ، وماسمع منه كان خارج دائرة القرآن الكريم . وبامتداد الفتح الاسلامي واتساع الرقعة الاسلامية لتشمل فارس والروم وغيرهما دخل الناس في دين الله أفواجا ، ولم يفرق الاسلام بين الناس تبعا لأجناسهم بل دعا الى الوحدة والمساواة في ظل تشريعاته العادله ، فاختلط العرب بغيرهم اختلاطا واسعا شمل نواحي الحياة كلها ، وكان له أكبر الأثر في فشو اللحن فشوا لم تستطع الفصحى مقاومته ، ولم تقو على صد تياره الجارف ، فتغير نطق كثير من

---

(١) المفردات في غريب القرآن : ٦

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الحروف والألفاظ عما عهد فى الفصحى ، وساء فهم معانى المفردات عما يفهمه الفصحاء ، واستعملت ألفاظ وتراكيب على غير الوجه الذى كان يستعملـــه العرب الخلص ، فأدرك العلماء خطره ووضعوا المؤلفات المختلفة للوقوف فـى وجهه .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نعرض له ، ونؤرخ لظهوره :

تعريف بـــه :

يطلق اللحـن ويراد به فى العربية أحد المعانى الآتية :(١)

١ ــ الفطنة والذكاء ، ومنه الحديث : " لعل أحدكم أن يكون ألحـــن بحجته من الآخر .. "(٢) .

٢ ــ امالة الكلام عن جهته الصحيحة والتورية به ، ومنه قوله تعالـــى : (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم فى لحن القول)(٣)

٣ ــ تنظيم الكلام والتغنى به ، ومنه قول الشاعر :

منطق بارع وتلحن أحـــ * يانا وخير الكلام ماكان لحنا(٤)

---

(١) انظر الصحاح واللسان ومقاييس اللغة : مادة (ل ح ن) .

(٢) رواه الشيخان . (البخارى : ٥/٢٨٨ ، مسلم : ١٢/٤) .

(٣) سورة محمد : ٣٠

(٤) العقد الفريد : ١/٤٨٠ ، والبيت لمالك بن أسماء الفزارى .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

٤ — الخطأ فى اللفظ أو المعنى ، روى القالى عن ابن الأعرابى قولـــه : " يقال : قد لحن الرجل (من باب فتح) يلحن لحنا فهو لاحن : اذا أخطأ ، ولحن (من باب فرح) يلحن لحنا : اذا أصاب وفطن "(١) والمعنى الذى من باب (فتح) هو الذى نعنيه هنا ، كما أنـــه المعنى الذى ينصرف اليه اللفظ عند الاطلاق .

وقد اتخذ هذا النوع منذ ظهوره لونين متميزين عن بعضهمـــا هما :

الأول : ـــــ اللحن فى الألفاظ : وهو نطق اللفظ على وجه يخالـف ماعهدته الفصحى ، سواء كان ذلك بتسكين أواخر الكلمات فرارا مـــن ضبطها واعرابها ، أو الوقوع فى الخطأ فى بنية الكلمة العربية ذاتهـــا من حيث الضبط أو القلب أو الحذف أو التقديم ، وكان ذلك مدعـــاة لظهور علمى (النحو والصرف) الذين اهتما بتقويم الأسلوب العربـــى فى بنائه وبنيته وفى اعرابه .(٢) ونضرب لذلك بمثالين فى القرآن وغيره :

روى الجاحظ : أن الوليد بن عبد الملك لما تولى الخلافـــة خطب بالناس فقرأ الآية (يا ليتها كانت القاضية) : (ياليتها) بضـــم التاء ، وكان عمر بن عبد العزيز مع الجالسين ، فقال له : عليـــك وأراحنا الله منك "(٣) .

---

(١) أمالى القالى : ٧/١

(٢) انظر ص : ١٧٧ من الرسالة

(٣) البيان والتبين : ٢٠٥/٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وروى أيضا : أن تاجرا من الفرس باع جنود المسلمين دواب رديئة ، فاستجوبه الحجاج ، فأجابه : " شريكاتنا فى هوازها وشريكاتنا فى مدائنها ، وكما تجى تكون " أى شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون بها الينا ، ونحن نبيعها على وجوهها (١) .

ويندرج تحت هذا النوع اللحن فى نطق الحروف ، واخراجها من غير مخارجها الصحيحة .. روى أن عبيد الله بن زياد قال يوما لهانئ ابن قبيصة وقد ظنه من الخوارج : " أهرورى منذ اليوم " ، يريد أحرورى (٢) .

وبسبب هذا النوع من اللحن فكر العلماء فى دراسة الأصوات ومخارجها (٣) .

الثانى : اللحن فى المعنى : وذلك باستعمال الألفاظ أو التراكيب على وجه لم يستعمله العرب الخلص ، ودخول ألفاظ أعجمية فى الأسلوب العربى دون الخضوع لطريقة التعريف ، فجمعت اللغة ودونت الدواوين للاحتراز من الوقوع فى هذا اللحن ، وكان

---

(١) البيان والتبين : ١٦٢/١ ، والتاجر هو أبو الجهير الخرسانى النخاس .

(٢) الكامل فى اللغة والأدب : ٣٧٢/١

(٣) انظر ص : ١٦٥ من الرسالة

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ذلك سببا مباشرا لتدوين اللغة وتأليف المعاجم .

ونضرب لذلك المثال الآتي ، ولكن في غير القرآن :

روى الجاحظ عن أبي الحسن المدائني (ت ٢١٥) قال :

"كانت في عهد الله بن زياد لكنة — لأنه كان قد نشأ بالأساورة مع أمه مرجانة ... فقال مرة : افتحوا سيوفكم ، يريد : سلوا سيوفكم ، فقال يزيد بن مفرغ (يهجوه) :

ويوم فتحت سيفك من بعيد * أضعت وكل أمرك للضياع " .(١)

ظهوره وانتشاره :

لا يعرف على سبيل الجزم متى عرف اللحن — بمعنى الخطأ في الاعراب والفهم — وما روي بأن " أول لحن سمع في البادية قولهم :(سقطت صاتي)(٢) لا يدل على قائله فضلا عن تحديد زمنه ، الا أنه من المرجح لدى الباحثين أن اللحن — بهذا المعنى — لم يعرف الا بعد ظهور الاسلام ، ولم يكن — على الأرجح — موجودا في الجاهلية ، ويستدلون لذلك بقصة الوفد الذي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليعلن اسلامه ، فلما قام خطيبهم بين يديه ليتكلم ، لحن في كلامه ، فاستفظعوا لحنه ، وظهر أثر ذلك في وجه

---

(١) البيان والتبين : ٢١١/٢ ، والأساورة : قوم من العجم نزلوا " البصرة " قديما .

(٢) مراتب النحويين : ٢٦ ، البيان والتبين : ٢١٩/٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا .. فقال للوفد : " أرشدوا أخاكم فقد ضل "[1] . بل يرى بعضهم : ان هذه القصة تحديد لأولية اللحن في الاسلام اذ " لو كان اللحن معروفا في العرب قبل ذلك العهد لستقر الأسباب التي يكون عنها ، لجاءت عبارة الحديث على غير هذا الوجه ، لأن الضلال خطأ كبير ، والارشاد صواب أكبر منه في معنى القضاء ، بل ان عبارة الحديث تكاد تنطق بأن ذلك اللحن كان أول لحن سمعه أفصح العرب صلى الله عليه وسلم "[2] ونحن نقول بقوله اذا صح الحديث ، لكن الرواية الأخرى لمقولة الرسول صلى الله عليه وسلم تشير الى أنها كانت تنبيها لمن أخطأ في قراءة قرآنية .. " عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا قرأ فلحن ، قال : أرشدوا أخاكم "[3] وهذا ماتطمئن اليه النفس لما عرف عنه صلى الله عليه وسلم من الخلق العظيم .

ثم وردت أخبار اللحن تشير الى وقوعه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث ذكر أنه مر على قوم يتعلمون الرمي ، فاستقبح رميهم ، فقالوا له : " انا قوم متعلمين " ، فأعرض مغضبا وقال : " والله لخطؤكم في لسانكم أشد على من خطئكم في رميكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الخصائص : ٣/٢٤٦ ، مراتب النحويين : ٢٣ ولم أجد في كتب الحديث المعتبرة .

(٢) الرافعي في تاريخ آداب العرب ١/٢٤٢ .

(٣) الخصائص : ٢/٨

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

يقول : رحم الله امرأ أصلح لسانه "[١] ، وورد أيضا أن واليه على البصرة : أبا موسى الأشعرى ، كتب اليه كتابا لحن فيه ، فرد عمر الكتاب بعد أن وقع فى أسفله : " أقسم عليك الا قنعت كاتبك سوطا "[٢] .

ثم انتشرت عدوى اللحن باتساع رقعة الفتح الاسلامى — فى عهد عمر بن الخطاب والخلفاء بعده — حتى أصبحوا يعدون من لا يلحن . قال الأصمعى : " أربعة لم يلحنوا فى جد ولا هزل : الشعبى وعبد الملك ابن مروان والحجاج بن يوسف وابن القرية ، والحجاج أفصحهم "[٣] .

---

(١) كنز العمال : ١٠/٢٥١ ، برواية البيهقى فى شعب الايمان والدارقطنى فى الأفراد .

(٢) الخصائص : ٢/٨ .

(٣) البيان والتبين : ١/١٦٣ ، ٢/٢١٩ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: أخذ اللغة ::

كان من جراء فشو(١) اللحن ، وتسربه الى السليقة اللغوية فى مختلف طبقات المجتمع ، أن هب الغيورون من أبناء العربية الى اللغة ليحفظوها من وباء اللحن المستطير ، فقامت حركة واسعة لجمع اللغة بدأت بالرواية وانتهت بالتدوين ، تمخض عنها نتاج لغوى ضخم استوعبته كتب اللغة ، وعنيت بدراسته دراسة فقهية وصوتية ونحوية وصرفية .. ونعرض - فيما يلى - لمظاهر هاتين الحركتين (الرواية والتدوين) ودور القرآن الكريم فى نشأتهما وتطورهما .

---

(١) فى القاموس المحيط (فشا) : فشا خبره وعرفه وفضله فَشْوا وفُشُوا وفُشِيا : انتشر .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

أولا :

:: الروايـــــة ::

المراد بالروايـــــة :

الرواية فى أصلها اللغوى : الاستقاء والاتيان بالماء " يقال : رويت على أهلى ، ولأهلى ريا : أى أتيتهم بالماء .. والراوية : المزادة فيهـــا الماء ، والبعير لحمله المزادة "[١] ، ثم توسعت اللفظة — عن طريق المجاز — فدخلت ميدان النقل الشفوى .. " يقال : روى الحديث أو الشعر يرويـــه رواية ، بمعنى : حمله ونقله "[٢] والعلاقة بينهما : النقل فى كل بطريقتـــه المخصوصة ، غير أن الرواية لابد فيها من الحفظ والاستظهار كما يفهم مـــن قول الجوهرى : " وتقول: أنشد القصيدة ياهذا ، ولا تقل : اروهـــا الا أن تأمره بروايتها أى باستظهارها "[٣] فالحمل والاستظهار — اذن — همـــــا العنصران الأساسيان للرواية .

---

(١) لسان العرب : (روى) .
(٢) أساس البلاغة: (روى) .
(٣) صحاح العربية : (روى) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الرواية فى الجاهليـــة :

وأول ما عرفت الرواية فى العصر الجاهلى بلونها الأدبى الخالـص ، اذ لم يكن ثمة داع للرواية اللغوية ، لأن العربى كان يطرب لسماع الشعـــر والتغنى به ، فيحفظه ويستظهره ثم يحمله ليسمعه الآخرين ماشاعـــا لرغبتهم الفنية فى الاستماع الى الشعر والتغنى به ، أو ليبرز مآثر قبيلتـــه ويفتخر بها ، أو لينال من خصومه ويشهر بهم باظهار مثالبهم .

لذلك احتل الشعر مكانة مرموقة بين القبائل ، جعلت أبناء القبيلـــة ينظرون الى شاعرها نظرة تطلع واعتزاز .. فكان على من يحس منهم بموهبـة فنية فى نظم الشعر أن يلازم شاعر القبيلة فيحفظ شعره ويرويه حتى يصقـــل بذلك موهبته متدرجا بها الى بلوغ الشأن .. وقل أن تجد شاعرا نابغا لم يكن راوية ، لقد كان "زهير بن أبى سلمى راوية أوس ، والحطيئة راويـــة زهير ، وأبو ذؤيب راوية ساعدة بن جؤية"(١) .. ولذا فان الشاعر الراويـــة تتفتح قريحته عن شعر جيد مصقول بتجارب الشعراء الآخرين الذين سبقـــوه وروى شعرهم فتكون تلك مفخرة له .. " سئل رؤبة بن العجاج عن (الفحل) من الشعراء . قال : هو الراوية "(٢) .

---

(١) الوساطة : ١٦ (وذكر فى المطبوع والد الشاعر الثالث محرفا هكـذا جويرية) .

(٢) العمدة : ١/٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ولم تقتصر الرواية الأدبية على ارضاء النزعة الفنية ، أو الدربة على انشاء الشعر ، لأن العصبية القبلية كانت توحى الى الشعراء اذاعة مفاخر القبيلة على أوسع نطاق عن طريق الشعر الذى يسرى بين القبائل سريان النار فى الهشيم ، ويؤثر فى الأعداء تأثير السهام فى الأجسام .. فكان الشعراء يترقبون أيام المواسم والمناسبات فيتوافدون الى مكة وغيرها ليذيعوا أشعارهم فى الأسواق التى تعقد لذلك فى الجاهلية ، ويأتى اليها رجال من مختلف القبائل للبيع والشراء وممارسة ألوان النشاط الفكرى ، فكانت هذه الأسواق الأدبية خير مكان يلتقون فيه ، يجمع أبرز الشعراء ، ويجرى فيه التحكيم باظهار جيد الشعر من رديئه ، وبيان درجات الشعراء .

وكان "عكاظ"(١) من أشهرها ، فتأتى اليه القبائل من أطراف الجزيرة وتنزل فى أفنائه فترة من الزمن ثم تنتقل الى سوق "ذى المجاز" أو "المجنة" وهكذا ... فتحدث حركة أدبية عمادها هذا اللون من الرواية والتحمل فتسير أخباره وأشعاره مع الركبان فى سائر أنحاء البلدان .

---

(١) سوق بالقرب من مكة ، سمى بذلك : لأن العرب تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضا بالفخار : أى يدعكه . قاله الليث (العين : ١/٢٢٢) واللسان : مادة عكظ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الرواية فى الاسلام :

جاء الاسلام فأحدث تحولا هائلا فى المجتمع الجاهلى اذ رفعه من حضيض ظلمات الجهل الى قمة الانسانية وعدالة التشريع الآلهى .. فكان التأثير واضحا على الرواية الأدبية نفسها ، اذ تخلصت من الأنانية المقوتة والعصبية للقبيلة الى الذود عن حياض الاسلام وابراز محاسنه والكيد لأعدائه وتسفيه آرائهم ومعتقداتهم ، وظهر هذا الأثر قويا فى قول الشعر نفسه ثم انعكس ـ بالطبع ـ على الغرض من روايته .

وحول القرآن باعجازه الباهر ونظمه البديع أبرز الشعراء الى وجهة أخرى تتفق مع الغرض السامى من ابداع الشعر ، فكان : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم من شعراء الاسلام لا يتلفتون الى غير هذا الهدف السامى حين الانشاء ، وكذلك كان شأن الرواة عند التحمل والأداء .

وظل الى جانب الشعر الاسلامى الشعر الجاهلى يروى على الألسنة لكنه قد تجرد عن الغرض الذى قيل من أجله ، واعتبر فيه على الغالب الالتزام بالحدود الاسلامية والقواعد التى أقرها الدين الحنيف .. يفسر لنا ذلك ما علل به عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وصفه زهير بن أبى سلمى بأنه "شاعر الشعراء" .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

يروى ابن عباس رضى الله عنه فيقول : " خرجت مع عمر فى أول غـزاة غزاها ، فقال لى ذات ليلة : يا بن عباس : أنشدنى لشاعر الشعراء • قلت: من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبى سلمى قلت : وهم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع حوشى الكلام ، ولا يحاظل فى المنطق ، ولا يقول الا مايعـــرف ، ولا يمتدح الرجل الا بما يكون فيه •• أليس الذى يقول : كذا وكـــذا ؟ أنشدنى إ فأنشدته حتى برق الفجر " •(١)

ثم انتقلت رواية الشعر نقلة هائلة لتدخل مع العلماء فى مجالسهـــم وحلقات دروسهم ، ليستعينوا بالشعر على فهم القرآن الكريم وشرح السنـــة النبوية فيما أشكل عليهم وغمض تفسيره لديهم •• وكان رائد هذه المدرســة الوليدة : الصحابى الجليل : عبد الله بن عباس رضى الله عنه الذى كثيرا ما يقول : " اذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ، فان الشعـــر ديوان العرب ••"(٢) ولم يكن يلتفت الى معارضيه فى سلوك هذا المنهـــج ، بل يرى أنه الطريق الأمثل لتفسير القرآن الذى نزل بلسان عربى مبيـــن ، اذ الشعـر الجاهلى فى واقعه تسجيل حى للغة العرب بألفاظها ومعانيهـا ••

---

(١) العمدة : ١/٩٨ ، الأغانى : ١/٢٩٠

(٢) الاتقان فى علوم القرآن : ١/١١٩ ، العمدة : ١/٣٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

روى أبو الفرج فى "الأغانى"[١] : بينما ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه ، اذ أقبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين مصبوغين موردين أو معصرين[٢] حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال : أنشدنا ، فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

حتى أتى على آخرها .. فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال : أللهيا بن عباس! يضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد فتتثاقل عنا ، ويأتيك غلام مترف من مترفى قريش فينشدك :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال : ليس هكذا قال . قال : وكيف قال ؟ فقال : قال :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشى فيخصر

فقال : ماأراك الا قد حفظت البيت .

قال : أجل ، وان شئت انشدتك القصيدة ، أنشدتك اياها .

---

(١) الأغانى : ١/٧٢ ، وخزانة الأدب : ٢/٤٢٠

(٢) الثياب المعصرة : التى فيها شىء من صفرة ليست بالكثيرة (قاله أبو عبيد) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

قال : فأنى أشاء — فأنشده حتى آخرها ..[1] .

ولم يكن ابن عباس رضى الله عنه يقيم للشعر وزنا ، فى حرم اللـــــه عز وجل ، الا لغرض سام يتكافأ وجلال الموقف وحرمة المكان .

الرواية اللغويـــة :

كان مايقوم به ابن عباس رضى الله عنه من تفسير ألفاظ القـــــرآن والاستشهاد عليها بالشعر أول الدوافع لرواية اللغة ، والاتجاه الى الآثار الأدبية ، والنظر الى ما فيها من ألفاظ وتراكيب نظرة متأنية فاحصة .

ثم جدت فى المجتمع العربى أمور جديدة انحرفت به عن مساره القديم وحملت الدوافع لرواية اللغة على أن تظهر شيئا فشيئا .. فكان وقوع اللحـــن

---

(١) والقصيدة كما فى ديوانه (١٠٢/ ط٢) أربعة وسبعون بيتـــا ... آخرها قوله :

فسافت وماعافت وما رد شربها * عن الرى مطروق من الماء اكدر

ومعنى قوله : (رأت رجلا — البيت :

أى أنه يظهر للشمس ولا يستتر منها بكنّ فى وقت النهار، كمـــا يتعرض لآلام البرد ليلا .

وانظر : الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٢٤ لمزيد من الأمثلة

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فى ألسنة العامة والخاصة — كما أشرنا — نذيرا صارخا يومئ الى الاهتمام بأمر اللغة ألفاظ وتراكيب ، ومحاولة صيانتها من اللحن بوضع القواعد واستنباط الضوابط التى تحول دون الوقوع فى الخطأ حرصا على سلامة اللغة وفصاحتها .. فعاد العلماء — مرة أخرى — الى الشعر يلتمسونه لطلب الشاهد وتوضيح الغريب وكان ذلك بداية الأخذ عن العرب للقصد العلمى .

وزادت عناية العلماء بأمر اللغة وروايتها عندما قامت المجالس العلمية بالبصرة والكوفة ، استجابة لامتداد الفتح الاسلامى ، فأمها المسلمون من غير العرب ليقرأوا كتاب الله ويتعلموا مبادئ دينهم الجديد ، ودعت الحاجة الى معرفة مفردات العربية وتراكيبها والاستدلال على ذلك بالشعر العربى .. فبرز الاهتمام بأمر اللغة وروايتها حتى أن الرواية التى كانت تطلب بالأمس كشئ جزئى فى مجالس العلم ، صارت تطلب لذاتها بعد أن ألحت دواعيها .(١)

ولم تتخذ الرواية اللغوية شكلا واحدا تقف عنده على مدى ثلاثة قرون بل تعددت أشكالها وتنوعت صورها منذ ابتدائها فى أواخر العصر الأموى وحتى انتهائها فى القرن الرابع الهجرى(٢) ونعرض لألوانها فيما يلى :

---

(١) رواية اللغة : ٦٨

(٢) وهو نهاية عصور الاحتجاج بالنسبة للبادية ، أما بالنسبة للحاضرة فنهايته القرن الثانى الهجرى (انظر تاريخ آداب العرب : ١/٣٣٢)

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

أ ـ رحلة العلماء الى البادية :

استقر فى أذهان العلماء أن أفضل وسيلة لاكتساب اللغة هو أخذها من منابعها الأصيلة بالتلقى عن فصحاء الأعراب والاختلاط بهم ، فبدأت رحلة العلماء من (البصرة والكوفة) الى البادية يطلبون الأعراب ، ويقيمون بينهم الشهور بل الأعوام يستمعون اليهم ويروون عنهم ويسجلون كل مايسمعون فى صدورهم وألواحهم .

وكان أقدم من رحلوا الى البادية : يونس بن حبيب الضبى (ت : ١٨٣ هـ) وقد جاوز المائة فيما قيل ، وخلف الأحمر (ت : ١٨٠ هـ) ، والخليل بن أحمد (ت : ١٧٥ هـ) ، وأبو زيد الانصارى (ت : ٢١٥ هـ) عن ٩٣ سنة من العمر ، وهو أكثر أهل هذه الطبقة أخذا من البادية .(١)

وقد جمع بعضهم بين التلقى عن العلماء والسماع من الأعراب حبا فى توثيق العلم ، ورغبة فى الاستزادة منه .. ومن هؤلاء : على بن حمزة الكسائى (ت : ١٨٩ هـ) فانه أخذ عن الخليل فى البصرة ومعاذ الهراء فى الكوفة ، ثم خرج الى بوادى الحجاز ونجد وتهامة ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة من الحبر فى الكتابة عن العرب سوى ماحفظ .(٢) والنضر بن شميل

---

(١) تاريخ آداب اللغة : ١/٣٣١

(٢) معجم الأدباء : ١٣/١٦٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

(ت : ٢٠٤ هـ) الذى أخذ عن الخليل بن أحمد وعن بعض الأعراب ثم رغب فى الاستزادة فأقام بالبادية بعد ذلك أربعين سنة (١) ، ومثله أبو عمـــــرو الشيبانى (ت : ٢٠٦ هـ) الذى لم يقنعه ماتعلمه فى حلقات الدرس بالكوفة فخرج الى البادية ومعه دستيجان حبرا ، فما عاد حتى أفناهما كتابة لمـا يسمع من الأعراب (٢) .

من رويت عنهم اللغة :

لم يضع العلماء فى أذهانهم قبيلة معينة يأخذون اللغة عنها ، أو موطنا محدودا يقصدونه .. بل كان هدفهم جمع اللغة النقية من أفـــواه الأعراب الخلص وتدوينها فكانوا يرحلون الى البادية ، يجوبون القفـــار ، ويتتبعون مساقط الغيث ليسمعوا من الأعراب ، لا فرق بين الرجل أو المرأة ، الصغير أو الكبير ، الخادم أو المخدوم (٣) ، طالما أن السليقة العربية متأصلة فى نفوسهم وجارية بها دماؤهم .. ولكنهم مع ذلك رأوا أن سلامة اللغـــة ونقاءها يتطلبان منهم البعد عن أطراف الجزيرة وعدم الأخذ عمن شابت لغته

---

(١) تاريخ آداب العرب : (٢/٣٣٢) .
(٢) انباه الرواة : (١/٢٢٤) ، والرستيج : آنية فارسية .
(٣) المزهر : (١/١٣٩ ، ١٤٠) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

شائبة ، فلذلك حددوا قبائل معينة فى وسط الجزيرة وأكثروا من الرواية عنها ، وبالمقابل عينوا قبائل أخرى فلم يأخذوا عنها ، يوضحهما قول الفارابى : " والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم (قيس وتميم وأسد) ، فان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل فى الغريب ، وفى الاعراب والتصريف ، ثم (هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين) ولم يأخذوا عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاور سائر الأمم الذين حولهم ، فانه لم يؤخذ من لخم ولا من جذام ، لانهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من اياد ، لانهم كانوا مجاورين لأهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرأون فى صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا من النمر ، لانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للقبط والفرس ، ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن أصلا ، لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولولادة الحبشة فيهم (١) ، ولا من بنى

---

(١) المزهر : ١/٢١٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وسكان الطائف ، لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم"(١)

وقول ابن خلدون ٠٠ " ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها ، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنى كنانة وغطفان وبنى أسد وبنى تميم ، وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والـــــروم والحبشة ، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم"(٢)

ويتضح من هذا النقل أنه على قدر توغل القبيلة فى البداوة تكـــــون سلامتها من الفساد ، وعلى قدر اقترابها من البيئة القرشية تكون فصاحتهـــا فى الاسلوب ، والفصاحة غير السلامة فى اللغة ٠(٣)

---

(١) الاقتراح للسيوطى : ١٩ ، والمزهر : ٢١١/١ ٠

(٢) مقدمة ابن خلدون : ٤٩ ٠

(٣) الفصاحة : خلوها من تنافر الحروف وحوشى الألفاظ ٠
والسلامة : صحة اللفظ لغويا ومطابقته للقواعد النحوية ٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ب — الأخذ عن فصحاء الأعراب :

في غضون الرحلة الى البادية كانت هناك رحلة معاكسة يقوم بهـــا الأعراب الفصحاء من مواطنهم في البادية الى حواضر العلم وعلى رأسهـــا البصرة والكوفة ، لكن تردد الأعراب على "البصرة" كان أكثر ، لوقوعها على حافة البادية وذلك لقضاء حاجاتهم وبيع سلعهم (١) .. فاذا ماجاءوا الـــى الحاضرة تلقاهم طلاب العربية يستفتونهم فيما اختلفوا فيه ، يسمعون منهـم ويكتبون عنهم ، ويلحون في طرح الأسئلة عليهم ، يقول أبو زيد الأنصـــاري لأبي حاتم السجستاني : " قلت لأحدهم : ما المتأكئ ؟ قال : المتـأزف . قلت : وما المتأزف ؟ قال : المحبنطئ ؟ قلت وما المحبنطئ ؟ قال أنت أحمق ومضى (٢) .

وينتهز اللغويون فرصة ورود الأعراب الى سوق "المربد والكناســـة" على حافتي : البصرة والكوفة أثناء انعقادهما فيختلطون بهم ويروون عنهـــم الشئ الكثير ، يحدثنا الأصمعي عن نفسه قال : " جئت الى أبي عمرو بـن العلاء . فقال من أين جئت يا أصمعي ؟ قلت : من "المربد" . قـال : هات ما معك ، فقرأت عليه ماكتبت في ألواحي ، ومرت به ستة أحرف لـــم

---

(١) معجم البلدان : (٥/٩٨) .

(٢) نزهة الألباء : ١٢٦ ، والمعنى : الرجل القصير .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

يصرفها فأخذ يعدو في الدرجة قائلا شعوت في الغريب ياأصمعي ..[١] .

وبعد انقضاء حاجات الأعراب يعودون الى البادية وتبقى طائفة منهم تسكن الأمصار وتقيم بها ، فيأنسون الى الرواة ويسكنون الى مسائلتهم ، ثم ينتهي الأمر بهم الى أن يصيروا أساتذة في الفتيا ومرجعا في الخلاف وهم لا يضيقون بذلك ولا يتبرمون منه بل يتصدرون له ويفرحون به لأنهم يخشون على ألسنتهم من طول المكث في الحاضرة[٢] .

ولما كثر تردد الأعراب على الرواة ومذاكرتهم اياهم أقبل نفر منهم على الطلب والرواية عن العلماء ، فبعد أن كان هؤلاء الأعراب يقصدون في أول أمرهم قصدوا هم مجالس العلم وحلقات الدراسة للتلقي عن العلماء والتلمذة لهم[٣] ،وأول من فعل ذلك : أبو سحل الأعرابي (ت : ٢٣١هـ) الذي قدم من البادية وأخذ النحو عن الكسائي وصنف في النوادر والغريب[٤] ، ثم توسعوا في الرواية وتكسبوا بها حتى عدوا من العلماء الذين يؤخذ عنهم ، فروى : أبو عبيدة (ت : ٢٠٩هـ) والأصمعي : (ت : ٢١٤هـ) وأبو زيد

---

(١) معجم البلدان : (٢/٢١٢) .
(٢) تاريخ آداب العرب : (١/ ٣٣٣) .
(٣) الفهرست : ٦٥ ، تاريخ آداب العرب : ١/ ٣٣٣
(٤) الفهرست : ٦٥ ، المزهر : ٢/ ٣٥٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

(ت : ٢١٥ هـ) عن المنتجع بن نبهان ، وأبن أبى داب ، وأبى مهدية ، وأبى منيع الكلابى ، وأبى تؤابة الأسدى وكلهم من الأعراب (١) .

وصار لهم فى حواضر العلم مكانة مرموقة منحتهم ثقة العلماء والحكام .. بل ان مايقولونه يعتبر القول الفصل عند الخلاف ولا معقب عليه ، ذلك أنه مهما جهدت بالأعرابى أن ينطق بغير لحن قومه لايستطيع .. يقـــــول الأصمعى : " جاء عيسى بن عمر الثقفى ونحن عند أبى عمرو بن العلاء فقال : ياأبا عمرو ، ماشئ بلغنى عنك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغنى انك تجيز ليس الطيب الا المسك (بالرفع) . فقال : أبو عمرو : نمت وأدلـــج الناس ، ليس فى الأرض حجازى الا وهو ينصب ، وليس فى الأرض تميمـى الا وهو يرفع . ثم قال أبو عمرو : قم يايحى (يعنى : اليزيدى) وأنـــت ياخلف (يعنى : خلفا الأحمر) فاذ هبا الى أبى المهدى (٢) (أعرابى الحجاز) فلقناه الرفع فانه لايرفع ، واذ هبا الى أبى المنتجع (أعرابى من تميمـــم) فلقناه النصب فانه لاينصب .

قال : فذ هبا فأتيا أبا المهدى فاذا هو يصلى ، فلما قضى صلاتـــه التفت الينا وقال : ماخطبكما ؟ قلنا : جئناك نسألك عن شئ من كـــلام

---

(١) طبقات النحويين : ١٧٥ ، مراتب النحويين : ٧٠ ، ١٣٩ ، ١٥٦

(٢) فى الفهرست : ٦٥ (أبو مهدية) ولعله الأصح .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

العرب ، قال : هاتيا ، فقلنا : كيف تقول : ليس الطيب الا المسك (بالرفع) ؟ فقال : أتأمرانى بالكذب على كبر سنى ، فأين الجادى ؟ وأين بنة الابل الصادرة ؟ فقال له خلف الأحمر : ليس الشراب الا العسل . قال : فما يصنع سودان هجر وما لهم شراب غير هذا التمر . قال اليزيدى : فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس ملاك الأمر الا طاعة الله والعمل بها . فقال : هذا كلام لا دخل فيه ، ليس ملاك الأمر الا طاعة الله ، فقال اليزيدى : ليس ملاك الأمر الا طاعة الله والعمل بها . فقال : ليس هذا لحنى ولا لحن قومى . فكتبنا ماسمعنا منه . ثم أتينا المتجع فأتينا رجلا يعقل ، فقال له خلف : ليس الطيب الا المسك (بالنصب) فلقناه النصب وجهدنا فيه فلم ينصب وأبى الا الرفع" (١) .

وزاد من أمر التحكيم فى مسائل الخلاف والمناظرات من شأنهم فأصبح الأمراء يستقدمون الفصحاء من البادية لتأديب أولادهم ، ويأخذ عنهم علماء الأمصار ومن أشهر أولئك الأمراء : عبد الله بن طاهر فانه لما ولى خراسان استقدم اليها جماعة من فصحاء الأعراب ذكروا منهم : أبا العميثل الأعرابى وعوسجة ، فلما ورد أبو سعيد الضرير من بغداد على ابنه طاهر ابن عبد الله تأدب بهؤلاء الأعراب وأخذ عنهم (٢) .

---

(١) الأمالى : ٣٩/٣

(٢) تاريخ آداب العرب : ٣٩٩/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وذكروا أن عدد الأعراب الفصحاء الذين روى اللغويون عنهم من الرجال والنساء نيف وتسعون راوية يرجع أغلبهم الى قبائل : قيس وتميم وأسد (١).

جـ — الرواية عمن روى عن الأعراب :

ولما فسدت السلائق العربية ودخل ألسنة الأعراب اللحن لطـــول مقامهم فى الحاضرة ، وعيشهم فى مجتمعها المختلط باللغات الوافـــدة ، قلت الثقة بالأعراب وترك العلماء الأخذ عنهم ، وأصبحت الرواية مقصورة علـــى الأخذ ممن أخذ من الأعراب أنفسهم مشافهة أو بطريق الكتابة (٢).

ولا يخفى علينا مايترتب على هذا النوع من الرواية من الوقوع بآفات الخطأ أو التصحيف أو التحريف التى لا زلنا نتجرع مراراتها فى المؤلفات المتأخـــرة حينما فقدت الرواية عصر المشافهة والنقل المباشر .

أما أولئك التلاميذ الذين رووا عمن روى عن الاعراب فقد أصبحوا فيمـــا بعد أساتذة الدرس اللغوى فى (بغداد) كالمبرد (ت : ٢٨٥ هـ) وثعلب (ت : ٢٩١ هـ) وأقرانهما ، على أنه قد سنحت لهم فرصة المشافهة لبعـــض

---

(١) الفهرست : (٤٩ — ٧٦) ، وتاريخ آداب العرب : (٣٤٠) ، الدراسات اللغوية : (٧٧) ومابعدها .

(٢) النهاية فى غريب الحديث : (١/٥) ، وقد كثر اللحن بعد القـــرن الثالث الهجرى .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الأعراب ممن لم تفسد سلائقهم فى حاضرة العلم (بغداد) : كأبى مسحل عبد الله أو عبد الوهاب بن عريش (١) ، ويزيد بن عبد الله المعروف بأبى زياد الكلابى ، ومحمد بن عبد الملك الفقعسى : راوية بنى أسد ، وأبى ثروان العكلى وغيرهم (٢) .

على أننا نستطيع القول بأن الرواية فى (بغداد) — على قلتها — قد أخذت وجها حضريا متميزا اختفت معه معالم الوجه البدوى الذى كان بمثابة سمة من سمات التوثيق ولذلك لم يعتد به أكثر العلماء واكتفى الناس — حينئذ — بآثار أسلافهم التى حوتها بطون الكتب .

---

(١) سماه السيوطى فى (البغية : ٢/٤٢) عبد الله . وسماه الزبيدى فى الطبقات (١٤٨) عبد الوهاب .

(٢) معجم الأدباء : (١٨/١٨٩) ، الفهرست : (٦٩ ، ٧٣) ، مراتب النحويين : ١٣٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا :

:: تدوين اللغـــة ::

تمخضت تلك الحركة الواسعة في الرواية عن تقييد العلماء لألفاظ اللغة في قلوبهم وألواحهم تقييداً غير مرتب ـ في غالب الأحيان ـ الا ترتيب سماعه وأخذه من الأعراب ، معززا بذكر الشواهد الشعرية والأمثال العربية . وكانت لبعض منهم عناية فائقة في الجمع والتدوين حتى غلبت "اللغة" عليـــه ، فأصبح مرجعا للناس في علوم العربية واما في الرواية .. من أولئك :

١ ـ قتادة بن دعامة السدوسي (ت : ١١٧) أكمه من أهل البصرة ... قيل عنه : " لم يأتنا من علم العرب شئ أصح مما أتانا به قتـادة .. ولم يكن يمر يوم لا تأتيه راحلة من بني أمية تنيخ ببابه تسأل عن خبر أو نسب أو شعر ".(١)

٢ ـ وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) .. كان من أعلم الناس بالعربيـــة وأيام العرب ، وكانت دفاتره تصل الى السقف لكنه تنسك فأحرقهـــا ، وشغف بالرواية وجمع علوم العرب وأشعارهم حتى قال : " ما انتهى اليكم مما قال العرب الا أقله ".(٢)

---

(١) وفيات الأعيان : (٨٥/٤) ، المزهر : (٣٣٤/٢) .
(٢) وفيات الأعيان : (١٣٦/٣) ط : مكتبة النهضة لنقض بعض الأعلام في الطبعة المحققة ، طبقات الأدباء : (٣٣) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

٣ — وأبو عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩ هـ) الذى اجتمع له من علم الرواية ما جعله يقول عن نفسه : " ما التقى فرسان فى جاهلية أو اسلام الا عرفتهما وعرفت فارسيهما "(١) .

٤ — وعبد الملك بن قريب الأصمعى (ت ٢١٤ هـ) : كان من اتقن القوم للغة ، وأعلمهم بالشعر وأحضرهم له حافظة (٢) .. فكان يحفظ أكثر من اثنى عشر ألف أرجوزة ، ويقال انه اذا انتقل حمل كتبه فى ثمانية عشر صندوقا (٣) .

٥ — وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى (ت ٢١٥ هـ) كان من أحفظ الناس للغة ، وأوسعهم رواية وأكثرهم أخذا عن البادية .. قال ابن مناذر : " كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وكان أبو عبيدة يجيب فى نصفها ، وكان أبو زيد يجيب فى ثلثيها ، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها "(٤) .

---

(١) المزهر : (٢/٤٠٢) .
(٢) نفسه : (٢/٤٠٣) .
(٣) تاريخ آداب اللغة : (٢/١٠١) .
(٤) المزهر : (٢/٤٠٢) ، وعلل السيوطى قلة رواية الأصمعى لما عرف عنه من شدة التحرى فى الرواية والحرج فى غريب القرآن والحديث .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ولم يبلغ أولئك العلماء هذه المنزلة الرفيعة فى علم اللغة وأيام العرب الا بعد كد ونصب ، وركوب للصعاب ، وتحمل للمشاق فى سبيل جمع اللغة وحفظها فلا غرابة اذا لما تحدثنا عنه الروايات من اقامة هؤلاء وغيرهم بين أهل البادية شهورا بل أعواما يسمعون منهم ، ويتلقون عنهم المفردات والتراكيب ، ويقفون على سنن العرب ، ومجارى كلامهم فى الشعر والنثر ثم يحفظون ذلك فى صدورهم أو يدونونه فى ألواحهم ، حتى اذا أدرك العالم ما به تقنع نفسه عاد الى مسقط رأسه ليمليه ويعلمه ، وكانت تلك أولى مراحل جمع اللغة وتدوينها ثم تلتها خطوات توجت بظهور الكتب اللغوية الشاملة .(١)

---

(١) المزهر : ٤٠٣/٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: التأليف اللغوى ::

لم تكن الكتب اللغوية الشاملة أول ماعرف من التأليف اللغوى ، بل سبقتها محاولات طبيعية دعت اليها الحاجة ثم تدرج الأمر على مراحل حتى انتهى بتأليف المعجم الشامل .. ويرى بعض الباحثين[1] أن جمع اللغة قد تم على ثلاث مراحل — ومن المؤكد أنها جاءت جميعا بعد الاسلام ، اذ لم يعرف العصر الجاهلى سبيلا للجمع ، وهو مايؤكد التأثير القرآنى فى سلوك هذا الاتجاه العلمى .

مراحله :

سلك التأليف اللغوى عدة مراحل ، أوجزها فيما يأتى :

أ — المرحلة الأولى :

جمع الكلمات من البادية وتدوينها كيفما اتفق ، دون نظر لترتيبها أو وجود تناسب بينها عند التدوين ، فالعالم حينما يرحل الى البادية يسمع كلمة فى المطر وأخرى فى السيف وثالثة فى الزرع أو النبات ورابعة فى وصف الانسان أو الحيوان .. الى غير ذلك ، فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب الا ترتيب السماع .

---

(١) الاستاذ أحمد أمين فى ضحى الاسلام (٢/ ٢٦٣ — ٢٦٥) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ب ــ المرحلة الثانية :

جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد ، دون ترتيب للموضوعات فى داخلها ، ودعاهم الى ذلك وجود كلمات متقاربة فى المعانى ــ كالشخير والنخير والكرير من أصوات الخيل (١) ، والقضم والخضم للقطع (٢) بالأسنان ــ فأرادوا تحديدها بوضعها فى موضع واحد .. وتدرجت هذه المرحلة ــ فى نفسها ــ حتى انتهت بتأليف كتاب أو كتب مستقلة فى موضوع واحد .. مثل : كتاب النبات ، وكتاب الحشرات ، وكتاب الابل ، وكتاب خلق الانسان ، وغيرها .

جـ ــ المرحلة الثالثة :

وضع كتاب شامل لجميع الكلمات العربية ، يسهل بواسطته معرفة معنى أية كلمة عربية ، أو معرفة اللفظ العربى لأى معنى فى الذهن .. وقد اصطلح على تسميتها من بعد بكتب " المعاجم " .

---

(١) الشخير : صوت الفرس من فمه ، والنخير : صوته من منخريه ، والكرير : صوته من صدره .. قاله الأصمعى (المخصص : ٢/١٤٢)

(٢) القضم : قطع الفرس بأسنانها ، والخضم : قطع الانسان بأسنانه . قاله أبو عبيد (المخصص ٥/٢٧) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وأذ هب الى ما ذ هب اليه الأستاذ : أحمد أمين من أن التسلسل في مراحل التدوين معقول وصحيح ، لأن التدرج الطبيعي لنضوج العلم ، وبلوغه مرحلة التأليف ، أن يسبقه مايمهد له .

قال رحمه الله[1] : " ... وكانت كل مرحلة من هذه المراحل تسلم الى مابعد ها ، ولا يعكر على هذه الفكرة ، الا أن الخليل واضع الفكرة الثالثة كان أسبق زمنا من أبى زيد والأصمعي واضعي الفكرة الثانية ، ولكن نجيب عن هذا : بأن الثلاثة تعاصروا زمنا طويلا ، فالخليل عاش من (١٠٠ ـ ١٧٥هـ) والأصمعي من (١٢٢ ـ ٢١٣ هـ) وأبو زيد (توفى سنة ٢١٥) عن بضعة وتسعين عاما .. فقد عاشوا زمنا طويلا ، وربما سبق الأصمعي وأبو زيد بالتأليف في المفردات ، وأن الخليل على ما عليه أكثر المحققين وضع الفكرة فقط ولم يستطع أن يملأها وينفذ ها من قاربه في الزمن مثل الأصمعي وأبى زيد ، لأن فكرة الخليل كانت طفرة في التفكير وقبل زمانها ، فلم يستطع أن يملأها وينفذ ها الا من أتى بعده وبعد الأصمعي وأبى زيد .. لهذا لا تزال فكرة التسلسل معقولة صحيحة " .

ولكني أضيف الى قوله ماأورده كتب التراجم[2] ، من أن كلا من : أبي خيرة نهشل بن زيد الأعرابي (أستاذ ابى عمرو بن العلاء المتوفى سنة

---

(١) ضحى الاسلام : (٢/ ٢٧٠) .

(٢) الفهرست : (٦٦ ، ٦٨) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

١٥٤هـ) وأبى مالك عمرو بن كركرة الأعرابى (أستاذ الخليل بن أحمـــد المتوفى سنة ١٧٥هـ) قد ألفا فى : "الحشرات" و "الخيل وخلـــق الانسان " •

وهؤلاء ــ لا شك ــ أسبق زمنا من الخليل ، بل ربما شاركهم التأليـف آخرون ، أو سبقوهم اليه ولكن لم تصل الينا أخبارهم ••

وعلى هذا تكون فكرة التسلسل صحيحة نظريا لا عمليا (١) ، لأن الدراسات اللغوية تقر بوجود المرحلتين الثانية والثالثة ، وتختلف فى المرحلة الأولى فتبين أن الرسائل فيها مختلطة ، وقد وجدت فيها رسائل مستقلة بألفـاظ القرآن والحديث ، مع ماكان يمليه أكثر اللغويين على تلاميذهم أو يقيدونه من الأعراب فى دفاترهم بلا نظام معين •

كما أن فكرة التسلسل فى تعاقب هذه المراحل لا تعنى تمييز كـــل مرحلة عما عداها ، وانقضاءها بظهور تاليتها ، بل على العكس من ذلـك فقد استفادت كل مرحلة من سابقتها وبقى لهذه المرحلة اتباع يفضلـــون منهجها حتى أزمان متأخرة •• ونضرب لذلك مثلا بالمرحلة الثانية ، فقـد توالى التأليف فيها طيلة القرون الثلاثة التى ندرسها الى جانب المعجـم الكامل ••

---

(١) د • حسين نصار فى المعجم العربى : (١/ ٣٥) •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فألف في الحشرات بعد أبي خيرة الأعرابي — كتابا مستقلا[١] كل من : أبي عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) وأبي عبيدة (٢١٠) والأصمعي (٢١٣هـ) وابن الأعرابي (٢٣١هـ) وأبي نصر أحمد بن حاتم (٢٣١هـ) وابن السكيت (٢٤٤هـ) وأبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) وآخرون ممن لم تصل الينا مؤلفاتهم .

وألف في الخيل بعد أبي مالك عمرو بن كركرة كل من : أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي (٢٠٤هـ) والنضر بن شميل (٢٠٤هـ) وأبي عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) وقطرب (٢٠٦هـ) وأبي عبيدة (٢١٠هـ) والأصمعي (٢١٣هـ) وعلي بن عبيدة الريحاني (٢١٩هـ) ، والمدائني (٢٢٥هـ) ومحمد بن عبد الله العتبي (٢٢٨هـ) وابن الاعرابي (٢٣١هـ) وأبي نصر أحمد بن حاتم (٢٣١هـ) وعمرو بن ابي عمرو الشيباني (٢٣١هـ) والتوزي (٢٣٣هـ) ومحمد بن حبيب (٢٤٥هـ) وأبي محلم الشيباني (٢٤٥هـ) وأبي عكرمة عامر بن عمران الضبي (٢٥٠هـ) وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٢٥٧هـ) وابن قتيبة (٢٧٦هـ) وأحمد بن أبي طاهر (٢٨٠هـ) وغيرهم ، وفقدت جميعا ماعدا : أنساب الخيل للكلبي ، والخيل لأبي عبيدة ، والخيل للأصمعي ، وأسماء الخيل وفرسانها لابن الأعرابي[٢] .

---

(١) المعجم العربي : (١/١٢٤) .

(٢) المعجم العربي : (١/١٢٧) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وألف في الابـــل تأليفا مفردا كل من[١] : أبي عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) وأبي عبيدة (٢١٠هـ) ، والأصمعي (٢١٣هـ) ، وأبي زيد الكلابي (٢١٥هـ)، وأبـــي زيد الأنصاري (٢١٥هـ) ، وأبي نصر أحمد بن حاتم (٢٣١هـ) ، وابن السكيـــت (٢٤٤هـ) ، وأبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) .. وفقدت جميعا ماعدا كتـــاب "الابل" للأصمعي .

وامتد هذا النوع من التأليف الى ما بعد القرن الثالث ، ويرى بعـــض العلماء أنه توقف في منتصف القرن الرابع على يد أبي علي القالي (٣٥٦هـ)[٢] .

كما يرى أنه في أوائل القرن الثالث تشكل بلون جديد ، فأضاف مرحلـة أخرى[٣] : هي جمع عدة كتب من المؤلفات السابقة في كتاب واحد ، وكـــان أول من فعل ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) في الغريب المصنـــف تلاه ابن السكيت (٢٤٤هـ) في كتابه "الألفاظ" .. واستمر هذا المنهـــج حتى عصرنا الحاضر .

بينما يرى غيره[٤] انهما منهج واحد — ولكن في صورتين مختلفتيـــن — ويسمى هذا اللون من المؤلفات "بكتب الصفات" ، أو "الغريب المصنف"

---

(١) الحيوان (مقدمة المحقق ؛ ١/١٤) .
(٢) د / قناوي في المعاجم (مذكرتي) : ١٤
(٣) نفسه : (١٣ — ١٤) .
(٤) د . حسين نصار في المعجم العربي : (١/٢٠٦) ومابعدها .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

كما أطلق عليه مصنفوه • ويرى أن أول من أثر عنه ذلك أبو خيرة الاعرابى فى كتاب نعته "بالغريب المصنف" ثم أعقبه القاسم بن معن الكوفى (معاصر للخليل) ، وتابعه بعد ذلك : النضر بن شميل (٢٠٣هـ) ، وأبو عمرو الشيبانى (٢٠٦هـ) ، وقطرب(٢٠٦هـ) ، والأصمعى :(٢١٣هـ) ، وأبو زيد الأنصارى (٢١٥هـ) ثم ابو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) وابن السكيت (٢٤٤هـ) .

ويرى آخرون أنه نوع من المعاجم الشاملة يختص بالمعانى ، وهو قسيم معجمات الألفاظ وهذا ما نختاره ، وقبل أن نتحدث عن هذين النوعين وأبرز كتبهما ، نمهد لذلك بتوضيح معنى كلمة " معجم " وأولية ظهوره واستخدامه

معنى كلمة (معجم) :

جاءت مادة (ع ج م) فى اللغة بمعنى : الابهام والخفاء وعدم البيان ففى "العين" : " الأعجم الذى لا يفصح •• والعجماء : كل دابة أو بهيمة والأعجم كل كلام ليس بعربى ••• واستعجمت الدار عن جواب السائل : سكتت "(١) •

وفى اللسان : "رجل أعجمى وأعجم : اذا كان فى لسانه عجمة ••• وسميت البهيمة عجماء : لأنها لا تتكلم •• "(٢) •

---

(١) العين : (ع ج م) •
(٢) اللسان : (ع ج م) •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فاذا ما أدخلنا الهمزة على الفعل أو ضعفنا عينه تحول المعنى الى الضد تماما ، واستفاد من الهمزة والتضعيف معنى السلب والنفى مثل : أشكى وأقسط وأقذى[١] و"تعجيم الكتاب : تنقيطه كى تستبين عجمته ويضح"[٢] ، والاعجام الايضاح بالنقط ، يقال أعجمت الحرف وعجمته تعجيما ، ولا يقال : عجمه ، ومنه حروف المعجم "وهى الحروف المقطعة التى يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم ، ومعناه : حروف الخط المعجم "[٣].

ويذهب ابن فارس فى تسميتها مذهبا آخر حيث يقول : "وأظن أن الخليل أراد بالأعجمية أنها مادامت مقطعة غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم فهى أعجمية لانها لا تدل على شئ"[٤] لذلك أطلق على الكتاب الذى يجمع كلمات اللغة ويشرحها ويوضح معناها فى ترتيب معين لفظ "معجم" ، وذلك لأنه يزيل ما فى المادة من غموض وابهام ، ولانه مرتب على حروف المعجم • فلفظ

---

(١) الخصائص : (٣/٧٥) ، المزهر (١/٢٣٠) •

(٢) العين : (ع ج م) •• وورد فى الكتاب المطبوع (جـ١/٢٧٤) "ويصح" ولعلها مصحفة عما أثبته •• وهكذا أورد ها ابن فارس فى (المقاييس: ٤/٢٤٠) •

(٣) الصحاح : (ع ج م) •

(٤) مقاييس اللغة : (ع ج م) •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

" معجم " — اذا — اما اسم مفعول من الفعل "أعجم" أو أنه مصدر ميمي بمعنى الاعجام .. قال الجوهري : " وناس يجعلون المعجم بمعنى الاعجام مصدرا — مثل المخرج والمدخل — أي من شأن هذه الحروف أن تعجم "(١).

أول من استخدمها :

مرت كلمة " معجم " بمراحل قبل أن تستقر مصطلحا على كتب اللغة المعروفة وأول ما استخدمت في عنوان كتاب حبيش بن موسى الضبي (الأغاني على حروف المعجم)(٢) للاشارة الى أن مادة الكتاب مرتبة على الحروف الهجائية ثم تخفف الناس من هذه الأضافة ، واكتفوا بكلمة " معجم " للدلالة على الترتيب الهجائي للمادة .. واشتهر ذلك — مصطلحا — على يد رجال الحديث .. فكان البخاري (٢٥٦هـ) أول من أطلق كلمة (معجم) على أحد كتبه ، وسماه "الجامع على حروف المعجم" على غرار كتابه "التاريخ الكبير" الذي رتب فيه أسماء الرجال وفق حروف المعجم(٣).

---

(١) الصحاح : (ع ج م) وهو ماذهب اليه المبرد وابن جني وقال ابن برى : انه أصوب وأسد ، أما القول الأول فمال اليه ابن فارس (في المقاييس) وعليه فلا تصح الاضافة إلا بتقدير مضاف تقديره (حروف الخط المعجم) .

(مقاييس اللغة : (٤/ ٢٤١) .

(٢) معجم الأدباء : (٧/ ٢٢٠) .

(٣) تاريخ بغداد : (٤/ ٤) ، مقدمة الصحاح : (٣٨) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ثم تتابع المحدثون في اطلاقه على مؤلفاتهم قبل أن يستخدمه اللغويون .

فنجد العناوين التالية : " معجم الصحابة " لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي الحافظ محدث الجزيرة (ت : ٣٠٧هـ) ، و" المعجم الكبير ، المعجم الصغير " في أسماء الصحابة لابي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المحدث المعروف بابن بنت منيع (ت : ٣١٥هـ) ، والمعجم (الكبير) و (الأوسط) و(الصغير) في قراءات القرآن وأسمائه : لأبي بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي (ت : ٣٥١هـ) و(معجم الشيوخ) لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي (ت : ٣٥١هـ) ، والمعجم (الكبير) و(الأوسط) و(الصغير) لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت : ٣٦٠هـ) ومعجم (الشيوخ) لأبي بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي (ت : ٣٧١هـ) .. وغير هؤلاء كثير[1] ، وهم يتفقون جميعا مع اطلاق البخاري لكتابه ، وترتيبه الاسماء على حروف المعجم ، ولم يغب عن اللغويين هذا المصطلح قبل أن يستعمله المحدثون ، لأنهم أصحاب فكرته ، لكنهم لم يطلقوه عنوانا على مؤلفاتهم ، انما كانوا ينعتون " المعجم " بصفة مميزة تغلب عليه ، فابن دريد (ت : ٣٢١هـ) يسمي معجمه (جمهرة اللغة) ، وأبو علي القالي (٣٥٦هـ) " البارع في اللغة " ، والأزهري (٣٧٠هـ) " تهذيب اللغة " والصاحب

---

(١) فهرسة ابن خير : (٢١٥) ، مقدمة الصحاح : (٣٨، ٣٩) ، المعجم العربي : (١/١٣-١٤) ، المعاجم العربية : (١٦) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ابن عباد (٣٨٥هـ) المحيط فى اللغة ، وابن فارس (٣٩٥هـ) مجمل اللغـــة ، والجوهرى (٣٩٨هـ) تاج اللغة وصحاح العربية ... وهذه طائفة من كتـــب المعاجم المشهورة فى القرن الرابع الهجرى ولم نجد اطلاق (المعجم) على أى منها عنوانا كما فعل المحدثون المعاصرون لهم ، وكثر ذلك منهم ، على أن هـذا المصطلح كان متداولا بين رجال اللغة من قبل ، دون اطلاقه على كتبهـــم اللغوية .(١)

أما اطلاق (القاموس) على المعجم فهو اطلاق متأخر ، جاء بسبـــب شهرة وذيوع كتاب (القاموس المحيط) للفيروزآبادى (٨١٦هـ) ، وتردد اسم هذا الكتاب كثيرا على ألسنة الباحثين حتى ظن أن كلمة (قاموس) تـــرادف (معجم) وظل هذا المعنى سائدا حتى اجازه مجمع اللغة العربية بالقاهـــرة وذكره ضمن معانى كلمة (قاموس) فى "المعجم الوسيط" معتبرا اطـــلاق هذا اللفظ على أى معجم من قبيل المجاز أو التوسع فى الاستخدام .(٢)

---

(١) المعجم العربى فى الماضى والحاضر : ٣٠ ومابعدها .

(٢) المعجم العربى : (١/١٤) ، والبحث اللغوى : (١٢٠) ، المعجـم الوسيط : (٢/٤٦٧) " ق م س" .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

أنواع المعاجم :

للمعاجم أنواع كثيرة : لغوية وغير لغوية ، ونقصر كلامنا على المعاجم اللغوية،وهى نوعان :

الأول : معاجم المعانى :

وهى التى تشتمل على العديد من الموضوعات اللغوية ،غير المرتبة ترتيبا مقصودا .

وتسمى المعاجم الموضوعية ، والمعاجم ذات الموضوعات ، ومن أشهرها (١) : الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام (ت : ٢٢٤هـ) (٢) ، والألفاظ لابن السكيت (ت : ٢٤٤هـ) .

ونتحدث عن الثانى فيما يأتى :

---

(١) المخصص : (١/١٠) .

(٢) لا يزال مخطوطا فى مكتبة الفاتح باستانبول تحت رقم ٤٧٠٦ ، ودار الكتب المصرية تحت رقم ٤ و ١٧٦ ، ومكتبة أمجدية بتونس تحت الرقم ٣٩٣٩ ، وأماكن أخرى .. (انظر بروكلمان : ٢/١٥٧) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: كتاب الألفاظ ::

مؤلفه :

ألفه أبو يوسف يعقوب بن السكيت (ت : ٢٤٤هـ) لبيان وجوه الاستعمال فى المفردات والعبارات ، غير مكتف بمهمة الجمع أو تفسير اللفظة بلفظة أخرى والاحتجاج لها كما كان يعمل غيره من قبله ، اذ كان الرواة فى القرن الثانى يجمعون المفردات التى تقع تحت أصل واحد فى كتيبات صغيرة كخلق الانسان ، والنبات والشجر ، والخيل والابل .

روايته :

رواه ابن السكيت عن علماء البصرة والكوفة ، فمن علماء البصرة الذين ذكرهم فى الكتاب أبو عمرو بن العلاء (ت : ١٥٤هـ) ويونس بن حبيب (ت : ١٨٧هـ) وأبو عبيدة (ت : ٢١٠هـ) والأصمعى (ت : ٢١٣هـ) .

ومن علماء الكوفة : الكسائى (ت : ١٨٤) والفراء (ت : ٢٠٧هـ) ، وابن الأعرابى (ت : ٢٣١هـ) وأبو عمرو الشيبانى (ت : ٢٠٦ هـ).[٢]

---

(١) تهذيب الألفاظ : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٣ ، ٦٧٣ .

(٢) تهذيب الألفاظ : ٥ ، ٩ ، ١٣ ، ٦٨ ، ٦٧٢ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وكان وثيق الصلة بأبى عمرو الشيبانى ، ويشير الى هذه الصلة بقوله :

" ... آخذ عنه ، وأكتب من كتبه " (١) ويكتفى بكلمة (أبن عمرو) فى كثير من الأماكن قاصدا بها أبا عمرو الشيبانى .

وكان يروى عن أعراب بنى قشير ، وعن بنى أسد . وينسب أقوالا الى أعراب رواة ، كأفار بن لقيط الذى روى عنه الجاحظ ، وروى عن ثعلب والمبرد وعن (مكوزة) وهو ابو العمر العلاء بن بكر بن عبد رب بن مسحل (٢) .

تحليله :

جمع ابن السكيت بعض ألفاظ العربية ، وبوبها على موضوعات شتى ، زادت على مائة وخمسين بابا ، منها أبواب فى صفات الناس وأخرى فى صفات الأشياء ، وأبواب للعبارات المختلفة .

— فمن صفات الناس : حديثه عن الغنى والفقر ، ومايكره من خلق الانسان ، ومايتحدث به النساء فى الولادة . يقول فى باب الفقر :

" يقال أقفر الرجل اقفارا اذا بات فى القفر فلم يأو الى منزل ولم يكن معه زاد ، الأصمعى ، يقال : بات فلان القواء ، يريد بات فى القفر " (٣) .

---

(١) الفهرست : ١٠٢

(٢) تهذيب الألفاظ : ٦٤ ، ٦٥ ، ٥٣٢ ، ٦٤٥

(٣) تهذيب الألفاظ : ٢١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ومن صفات الأشياء : حديثه عن الآنية للخمر وغيرها ، وصفة الشمس ، وصفة الليل وأسماء الطريق ... يقول في صفة الليل : " الظلام أول الليل وان كان مقمرا ، وأتيته ظلاما اى ليلا ... ويقال : آتيته أول الليل ، وهو من غيوب الشمس الى العتمة ، وأتيته ظلاما ، أى عند غيوبة الشمس الى صلاة المغرب وهو دخول أول الليل ، وأتيته مسيا : اذا أتيته بعد العصر الى غيوب الشمس "(١).

ومن أبواب العبارات المختلفة : باب ما لابد منه ، وباب النفى في الطعام ، وباب قولك ما بها أحد ، وباب أخذ الشئ بأجمعه ، وباب مايقال في القلة ... ويقول : " ماله سعنة ولا معنة ، أى ماله مال قليل ولا كثير ، قال ابو عمرو : سعنة للقليل ومعنة للقليل والكثير ، قال النمر بن تولب :

ولا ضيعته فألام فيه * فان ضياع مالك غير معن

ويقال : ماله سبد ولا لبد في معناه ، فالسبد كل ذى شعر ، ويقال : قد سبد الشعر بعد الحلق : اذا خرج . وقد سبد ريش الفرخ اذا خرج

---

(١) تهذيب الألفاظ : (٤٠٥) .

(٢) تهذيب الألفاظ : (٤٨٩) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ولم يطل • واللبد كل ذى صوف ووبر ، وماله قد ولا قحف ، فالقد اناء من جلود والقحف اناء من خشب ، وماله زرع ولا ضرع ، وماله دقيقة ولا جليلة أى شاة ولا ناقة ..." (١) •

وعمل بابا بناه على أفعل التفضيل • يقول فيه الأصمعى : " يقال : أغلظ المواطئ الحصا على الصفا • وأشد الرجال الأعجف الضخم ، يقول ضخم الألواح كثير العصب ... وأسرع الأرانب أرنب الخلة ، وذلك أن الخلة تطويها ولا تفتقها والحمض يفتقها • وأسرع الظباء تيس الحلب" • (٢)

ثم يبين الفروق أحيانا بين ألفاظ مختلفة ، وقد تتغير صورة اللفظ فيتغير معناه فيقول مبينا ذلك : " طحنت أطحن طحنا ، والطحن (بالكسر) الدقيق نفسه ، والطحن (بالفتح) فعلك • ومثله الذبح والذبح فالذبح (بالكسر) الكبش بعينه والذبح (بالفتح) فعلك .." (٣) •

وحين يذكر اختلاف العلماء فى اطلاق الأسماء على بعض الأشياء يوضحه كقوله فى صفة الخمر : هى الخمر والشمول والقرقف والعقار ... وفى

---

(١) تهذيب الألفاظ : (٤٨٩) •
(٢) تهذيب الألفاظ : ٥٥٦ • والحلب : نبت •
(٣) نفسه : (١٢٧) •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

"الشمول يقول : " قال الأصمعى : سميت شمولا لأن لها عصفة كعصفة الريح الشمال ، وقال أبو عمرو : سميت شمولا لأنها شملت القوم بريحها أى عمتهم، يقال شملهم الأمر يشملهم اذا عمهم .. "(١).

فاذا كانت اللفظة معربة ذكر أصلها كقوله فى باب الطيالسة والأكسية "المستقة جبة فراء طويلة الكمين ، وأصلها بالفارسية مشتة • قال ثعلب : هى المستقة على وزن بندقة"(٢).

وكان ابن السكيت كوفيا ، ولكنه لم يتحيز للكوفة فى رواية كتابه ، فقد كان يروى فيه عن علماء البصرة والكوفة على السواء ، فاذا اختلفتا فى شئ وازن بين الروايتين عن طريق الجمع بينهما ، من ذلك مايرويه فى كلمة المفرج حيث يقول : قال أبو عبيد : جاء فى الحديث "لايترك فى الاسلام مفرج"• والمفرج المغلوب المحتاج ، أى لايترك فى أخلاق المسلمين حتى يوسع عليه ، ثم يرد ف يقول ثعلب : المفرح — بالحاء غير معجمة — الفقير المحتاج ، وبالجيم — الذى لا شيرة له (٣).

---

(١) تهذيب الألفاظ : (٢١٢) •
(٢) نفسه : (٦٧٠) •
(٣) تهذيب الألفاظ : (٢٤) •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

قيمتـــه :

ويعد "كتاب الألفاظ" خطوة جديدة من خطوات الجمع والتأليـــف اللغوى فى القرن الثالث الهجرى •

وهو مطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٥م ، طبعه لأول مرة الأب لويس شيخو اليسوعى (ت : ١٩٢٧م) عن نسخة قديمة كتبت فى سنة ٤٠٩ للهجرة فـــى دار السلام ، على يد هبة الله بن محمد الفارسى ، وهى موجودة فى خزانـــة كتب "ليدن" بهولندة •

لكن الكتاب لم يصل الينا كما وضعه مؤلفه ، بل الذى وصل تهذيـــب الشيخ أبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى (ت : ٥٠٢هـ) له ، ولذلـــك عرف بين الباحثين بكتاب (تهذيب الألفاظ) •• وقد أحسن الناسخ والناشـر صنعا اذ حافظا — قدر الامكان — على نص كتاب "الألفاظ" بوضعه فـــى أعلى الصحيفة مفصولا بينه وبين تهذيب الخطيب بجدول ، فتميز عنه وأصبح التهذيب كالحاشية له •

. . . . . .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الثاني : معاجم الألفاظ :

وهى التى تشتمل على مواد اللغة مرتبة ترتيبا خاصا ، وتسمى بالمعاجم المجنسة ، على حد تعبير ابن سيده (١) .

ويعد هذا النوع من المعاجم غاية ماتوصل اليه الفكر العربى لجمع لغته وتدوينها ، بطريقة مرتبة ونظام مبتكر ، وكان رائد هذا الفن والسابق اليه : الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت : ١٧٥هـ) فى كتاب "العين" ، وعاصره فى الفترة نفسها أبو عمرو الشيبانى (ت : ٢٠٦هـ) فألف معجمه "الجيم" أو اللغات أو الحروف (٢) على منهج فريد خالف فيه ترتيب الخليل الصوتى ، فعمد الى الترتيب الهجائى المألوف لسهولته ولم يحد عنه الا بتقديم باب الواو على الهاء ، وقد طبعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة محققا ومرتبا على الهجائية العادية ، بادئا بحرف الهمزة لا حرف الجيم (٣) .

ثم جاء من بعدهما : أبو بشر الهندنيجى (ت : ٢٨٤هـ) فوضع معجمه "التقفية فى اللغة" ، ورتبه وفق الترتيب الهجائى العادى ولكن

---

(١) المخصص : (١٠/١) .

(٢) مقدمة كتاب الجيم : (٢٧/١) .

(٣) الجزء الأول بتحقيق : ابراهيم الأبيارى عام ١٩٧٤م ، والثانى بتحقيق عبد العليم الطحاوى عام ١٩٧٥م ، والثالث بتحقيق : عبد الكريم الغرباوى عام ١٩٧٥م .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

بحسب الحرف الأخير (١) .

وهذه المعجمات الثلاث هى كل ماوصل الينا — خلال القرون الثلاثة الأولى — من معاجم الألفاظ سليما من عوادى الزمن .

اما "الجيم" للنضر بن شميل (ت : ٢٠٣هـ) و"الجيم" لأبى عمرو شمر بن حمدويه الهروى (ت : ٢٥٥هـ) و"البارع فى علم اللغة" لأبى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت : فى حدود ٣٠٠هـ) فلم يصل الينا الا ذكرها (٢) .

واليك حديثا عن أبرزها كتاب "العين" للخليل ، فيما يلى :

---

(١) طبع بتحقيق د / العطية عام ١٩٧٦م .

(٢) الفهرست : ٧٧ ، ١٠٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: كتـاب العيـن ::

((للخليل بن أحمد الفراهيدى "ت : ١٧٥ هـ"))

مقدمـــــة :

من ثمرات الجهود اللغوية تأليف كتاب العين ، ألفه الخليل بن أحمد الفراهيدى فى صورة شاملة جامعة لمواد اللغة ، وبطريقة مبتكرة استوعبت جميع المواد استيعابا تاما لم تدر بخلد أحد سواه .

وتم لهذا المعجم الذى سماه مؤلفه "كتاب العين" أن يظهر ويملأ الآفاق .

ولما كان العين أول معجم شامل للغة التنزيل أقتدت به طائفة كبيرة من المعاجم ، فسأكتفى بدراسته ممهدا لذلك بتحقيق نسبة الكتاب الـــى الخليل .

آراء العلماء فى مؤلف العين :

تعددت آراء الباحثين فى اثبات نسبة كتاب "العين "الى : الخليل ابن أحمد الفراهيدى . وكثر الجدل بين القدماء منذ رؤيتهم له فى(البصرة)[١]

---

(١) المزهر : (١/ ٨٤) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ثم امتد الخلاف بعد ذلك بصورة لم نعهدها فى كتاب آخر .

ويمكن رد هذه الأقوال ـ جميعا ـ الى ثلاثة مذاهب :

١ ـ مذهب يرى صحة نسبة الكتاب الى الخليل فكرة وتأليفا (حشوا) .

٢ ـ مذهب على النقيض منه : يرى عدم صحة هذه النسبة ، ويقول بأن الخليل لم يؤلف هذا الكتاب ، وانما ألفه غيره ولعله : الليث بن المظفر (تلميذ الخليل) .

٣ ـ مذهب ثالث حاول الجمع والتوفيق بين الرأيين المتعارضين : فذهب الى أن الخليل واضع الفكرة ، أما التأليف والتنفيذ فقد قام به الليث .

ونحن نعرض هنا أقول كل فريق فى ضوء ما دار حوله من نقاش للباحثين المحدثين لندلى بدلونا ونقول كلمتنا : (١)

الفريق الأول :

وعلى رأسه المبرد (ت : ٢٨٥هـ) وابن دريد (ت : ٣٢١هـ) ، والزجاجى (ت : ٣٣٧هـ) وابن درستويه (٣٤٧هـ) .. قال ابن دريد فى

---

(١) د . حسين نصار : المعجم العربى : (٢٧٩/١) ، عبد الغفور عطار : مقدمة الصحاح : (٦١) ، د . عبد الله درويش : المعاجم العربية : (٢٦) ، ومقدمة العين : (٧) ، د . أحمد مختار عمر : البحث اللغوى عند العرب : (١٣٨) ، عبد الحميد الشلقانى : رواية اللغة : (١٢) ، وغيرها . د . عبد السميع محمد أحمد : (المعاجم العربية) ، د . محمد أحمد أبو الفرج (المعاجم اللغوية) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الجمهرة : " وألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى (كـذا) ـ رضوان الله عليه ـ كتاب "العين " ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما الى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع أقر بذلك أم جحد .."[١].

وقال السيوطى عن الثلاثة الآخرين ، اذ لم نعثر لهم على قول صريح فى تصحيح النسبة : " وقديما اعتنى به (العين) العلماء وقبله الجهابذة ، فكان المبرد يرفع من ذكره ، ورواه أبو محمد بن درستويه ـ وله كتاب فى الرد على المفضل بن سلمة فيما نسبه اليه من الخلل ، ويكاد لا يوجد لأبى اسحاق الزجاجى حكاية فى اللغة الا منه "[٢] . وهذا النقل من السيوطى ، وان لم يكن صريحا ، فهو عندى كالصريح .

الفريق الثانى :

من أشهرهم : النضر بن شميل (٢٠٤هـ) سئل عنه فأنكره ، فقيل له : لعله ألفه بعدك ؟ فقال : " أو خرجت من البصرة حتى دفنت الخليل!"[٣].

وأبو حاتم السجستانى (٢٥٥ هـ) روى عنه أبو على القالى (٣٥٩هـ) " لما ورد كتاب العين فى بلد خراسان من زمن أبى حاتم ، أنكره أبو حاتم

---

(١) جمرة اللغة : (١/٣) .
(٢) المزهر : (١/٨٩) .
(٣) معجم الأدباء : (١٧/٥١) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وأصحابه أشد الانكار ، ودفعه بأبلغ الدفع .."[١] .

والأزهرى (٣٧٠هـ) قال : فمن المتقدمين : الليث بن المظفـــر ، الذى نحل الخليل بن أحمد كتاب (العين) جملة ، لينفقه باسمه ، ويرغـــب فيه من حوله .."[٢] وابن النديم (٣٧٧هـ) قال : " لم يرو هذا الكتاب عن الخليل بن أحمد ، ولا روى فى شئ من الأخبار أنه عمل هذا البتة"[٣] ، ويبدو أن هذا الفريق متحامل على الخليل .

الفريق الثالث :

وهم الذين ذهبوا الى أن الخليل قد وضعه لكنه عوجل قبل أن يتمه . وقد اختلفوا فيما بينهم فى القدر الذى وضعه الخليل أهو الفكرة فقط ، أم الترتيب ، أم تنفيذ بعض الأبواب ، وأصحاب هذا الفريق كثيرون منهم :

— ثعلب (٢٩١هـ) نقل عنه أبو الطيب اللغوى قوله : " انما وقـــع الغلط فى (كتاب العين) لأن الخليل وسمه ولم يحشه .."[٤] .

— وابن المعتز (٢٩٦هـ) ذكر قصة طريفة مؤداها : أن الخليل كـان منقطعا الى الليث فلما صنف كتابه العين خصه به فوقع منه موقعا عظيمـــا وأقبل على حفظه وملازمته وحفظ نصفه ثم اغتاظت منه زوجته فأحرقت النسخة

---

(١) المزهر : (١ / ٨٤) .
(٢) التهذيب : (١ / ٢٨) .
(٣) الفهرست : (٦٤) .
(٤) المزهر : (١ / ٧٨) ، مراتب النحويين : (٥٧) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الوحيدة التي كانت بحوزته فاستدرك النصف من حفظه ، وجمع على النصف الباقي علماء أهل زمانه ، فاذا تأملته ـ على حد قوله ـ تراه نصفين فالنصف الأول أتقن وأحكم ، والنصف الآخر مقصر عن ذلك .. "(١)

ـ وأبو الطيب اللغوي : (٣١٥هـ) قال : " انه هو الذي رتب أبوابه وتوفي من قبل ان يحشوه "(٢) .

ـ وأبو بكر الزبيدي (٣٧٩هـ) قال : "وأكبر الظن فيه أن الخليل سبب أصله ، ورام تثقيف كلام العرب ثم هلك قبل اكماله "(٣)

ـ وأبو الفتح ابن جني (٣٩٢هـ) قال ـ بعد أن منع نسبة كل ما فيه الى الخليل ، لما وجد فيه من الخلط والخلل والفساد : " وان كان للخليل فيه عمل ، فانما هو أومأ الى عمل هذا الكتاب ايماء ، ولم يله بنفسه ولا قرره ولا حرره .. "(٤)

ـ وكذلك يرى ابن فارس (٣٩٥هـ) أن الرواة قد تزيدوا فيه .. قال في المقاييس : " قد ذكرت فيه كلمات عن الخليل وغيره وأراها غلط من الرواة عنه ، فأما الخليل فأعلى مرتبة من أن يصحح هذا "(٥) .

---

(١) معجم الأدباء : (٤٦/١٧) ، المزهر : (٧٧/١) .
(٢) مراتب النحويين : (٥٣) ، وضمير الفاعل يعود الى " الخليل " .
(٣) مختصر العين : المقدمة ، المزهر : (٨٢/١) .
(٤) الخصائص : (٢٨٨/٣) .
(٥) مقاييس اللغة : ٣٤٦/٤ (عضم) ، وورد في النسخة المطبوعة (يصحح) وأميل الى أنها (يصحف) لدلالة السياق .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

والذى أراه أن ماذهب اليه هذا الفريق أقرب الى الصحة ، لأن القول الذى روى عن الليث يؤيده ، حيث قال " وكنت أسير الى الخليل بن أحمد فقال لى يوما : لو أن انسانا قصد وألف حروف ألف وباء وتاء وثاء على ماأمثله لاستوعب فى ذلك جميع كلام العرب فتهيأ لى أصل لا يخرج عنه شئ منه البتة ، قال : فقلت له : وكيف يكون ذلك ؟ قال يؤلفه على الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى وأنه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه ... فجعلت أستفهمه ويصف لى ولا أقف على مايصف ، فاختلفت اليه فى هذا المعنى أياما ثم اعتل وحججت ، فمازلت مشفقا عليه وخشيت أن يموت فى علته فيبطل ما كان يشرحه لى ، فرجعت من الحج وسرت اليه فاذا هو قد ألف الحروف كلها على ما فى صدر هذا الكتاب ، فكان يملى على مايحفظ ، وماشك فيه يقول لى : سل عنه فاذا صح فأثبته الى أن عملت الكتاب ..[1] "

وفى نظرى أنه اعتراف من الليث : بأن الخليل قد ابتكر المنهج واستحضر المواد فى ذهنه ، ثم أخذ يملى على الليث من حفظه فلما رأى أنه لا يستطيع تهذيب الكتاب ، وتمحيص المشكوك فيه ، عرضه على سؤال العلماء ، وقام الليث بذلك حتى أنهى الكتاب .

ولم لا نكتفى بهذا القول من عالم "فقيه ، جهد به المأمون أن يوليه القضاء فلم يفعل[2] " زهدا فيه ، وابراء لذمته ؟ فنثق بما يقول ، ونقنى

---

(١) الفهرست : (٦٤) .

(٢) الفهرست : (٦٥) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

أنفسنا عناء الخوض فيما لا قطع فيه ؟! لاسيما وأن دراسة الكتاب تعاضد ما قاله الليث آنفا : من وجود حوار بين الليث والخليل ، (١) وذكر لبعض أعلام جاءوا بعد الخليل (٢) فاستفاد منهم الليث منفذا وصية شيخه بالسؤال عما أشكل عليه أو شك فيه ، ووجود أخطاء طبعية كانت موضع انتقاد ابن جنى حيث قال : "أما كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل فضلا عن نفسه" (٣) ولعل ذلك مذهب وسط يهدى الى الرأى الصحيح .

ب — توثيق العين :

صرحت المصادر القديمة بأن الخليل هو مؤلف "العين" ووثقت تأليفه الكتاب بأسانيد متصلة ، حيث روى الكتاب بستة أسانيد تلتقى جميعا بالليث ابن المظفر راويه الوحيد عن الخليل .

الأسناد الأول :

"قال أبو معاذ عبد الله بن عائذ : حدثنى الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما فى هذا الكتاب" (٤) وبه طبع الجزء الأول منه

---

(١) العين : (١/ ٥ ، ٩١ ، ١٠٣) .
(٢) العين : (١/ ٤٣ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ١٠٨) .
(٣) الخصائص : (٣/ ٢٨٨) .
(٤) العين : (١/ ٥٣) ، وانظر مقدمة التحقيق

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الاسناد الثانى :

روى أبو عمرو شمر بن حمدويه الهجرى (٢٥٥هـ) كتاب العين عن محارب عن الليث عن الخليل (١).

الاسناد الثالث :

ذكر أبو محمد بن درستويه (٣٤٧هـ) أنه سمع كتاب العين عن أبى الحسن على بن مهدى الكسروى ، عن محمد بن منصور المعروف بالزاج المحدث (حفيد الليث) عن الليث بن المظفر عن الخليل (٢).

الاسناد الرابع :

ذكر ابن فارس أنه روى كتاب العين عن على بن ابراهيم القطان — قراءة عليه — عن أبى العباس أحمد بن ابراهيم المعدانى ، عن أبيه ابراهيم ابن اسحاق ، عن بندار بن لزة الأصفهانى ، ومعروف بن حسان عن الليث عن الخليل (٣).

الاسناد الخامس :

روى أبو على الغسانى كتاب العين عن الحافظ أبى عمرو بن عبد البر ، عن عبد الوارث بن سفيان عن القاضى منذر بن سعيد عن أبى العباس أحمد

---

(١) تهذيب اللغة : (١/ ٣٠) .
(٢) الفهرست : (٤٣ ، ٦٥) .
(٣) مقاييس اللغة : (١/ ٣) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ابن محمد بن ولاد النحوى ، عن أبيه ، عن أبى الحسن على بن مهدى ، عن أبى معاذ عبد الجبار بن يزيد ، عن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل ..." (١)

الاسناد السادس :

ذكر ابن خير الأشبيلى (٥٧٥هـ) فى معجم شيوخه سنده فى رواية كتاب العين فقال : " حدثنى به شيخنا أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث رحمه الله أذنا ومشافهة ، عن القاضى ابى عمر أحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء وحدثنى به أيضا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله اجازة، عن أبوى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى وأحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء قالا : حدثنا به أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان بن حسرون ، قال : حدثنى به القاضى منذر بن سعيد البلوطى عن أبى العباس أحمد بن الوليد المعروف بولاد التميمى النحوى عن أبيه محمد بن الوليد عن أبى الحسن على بن مهدى عن أبى معاذ عبد الجبار بن يزيد عن ليث (كذا) بن المظفر (بن نصر) بن سيار الليثى ، عن أبى عبد الرحمن عن (كذا) الخليل ابن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى رحمه الله .." (٢)

---

(١) المزهر : (١/٩٢) .

(٢) فهرست ابن خير : (٣٥٠) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وبعـــد ، فأقول ان هذه الأسانيد الستة التى يراد بها اثبـــــات تأليف الخليل للعين تنتهى جميعا الى الليث بن المظفر ، فغاية ما تـــدل عليه ـ عندى ـ أنها سند واحد لاينهض دليلا على أن الخليل ألف العين كله .

وأرى أن الأقرب الى الصواب هو الرأى القائل بأن الفكرة وبدايـــــة التنفيذ للخليل ، الذى حين أحس بدنو الأجل أوصى الليث بن المظفـــــر بحشو الكتاب على النحو الذى رسمه ، مع الاستعانة بالثقات ان احتاج الأمر ، ففعل ... والله أعلم .

منهجـــه :

رمى الخليل بتأليف معجمه الى ضبط لغة العرب وحصرها فى كتـــاب مرتب ، وسلك فى سبيل تحقيق ذلك خطوات ثلاث :

الخطوة الأولى : ترتيب الحروف :

لم يرتض الخليل الترتيب الأبجدى القديم ولا الترتيب الهجائـــــى المعروف "فأعمل فكره فيه ، فلم يمكنه أن يبتدى التأليف من أول أ ب ت ث وهو الألف ، لأن الألف حرف معتل ، فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتـــدئ بالثانى ـ وهو الباء ـ الا بعد حجة واستقصاء ، فدبر ونظر الى الحـــروف

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

كلها وذاقها ، فصير أولاها بالابتداء أدخل حرف منها فى الحلق"[١] ثم استكمل ترتيب الحروف على أساس مخرجها من جهاز النطق فأصبحت هكذا : العين والحاء والهاء والخاء والغين ، ثم القاف والكاف ثم الجيم والشين والضاد ثم الصاد والسين والزاى ثم الطاء والدال والتاء ثم الظاء والثاء والذال ثم الراء واللام والنون ، ثم الفاء والباء والميم ، ثم الواو والألف والياء والهمزة ..[٢] وقسمها الى مجموعات بحسب مخارجها وسماها على التوالى : المجموعة الحلقية فاللهوية فالشجرية فالأسلية فالنطعية فاللثوية فالذلقية فالشفوية فالهوائية .[٣]

الخطوة الثانية : حصر الأبنية :

بعد أن تم له هذا الترتيب الدقيق للحروف ، نظر فى كلام العرب — الذى تتكون مادته من هذه الحروف — فوجد أنه "مبنى على أربعة أصناف: على الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى .."[٤] " وليس للعرب بناء فى الأسماء ولا فى الأفعال أكثر من خمسة أحرف"[٥] ، فالثنائى : نحو قد ولم وهل ، وصه ومه وغيرها من الادوات والزجر . ولا يكون فى الاسماء "لأن

---

(١) العين (الجزء المطبوع) : ٥٢

(٢) نفسه : (٥٣ ، ٦٥) .

(٣) نفسه : (٦٤ ، ٦٥) .

(٤) نفسه : (٥٣) .

(٥) نفسه : (٥٥) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف : حرف يبتدأ به ، وحرف تحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه ..[١] " فان استعملت الثنائى اسما زدت حرفا مماثلا وأدغمته فقلت : هذه لو مكتوبة ، وهذه قد حسنة الكتبة .[٢]

والثلاثى من الأفعال : نحو ضرب وخرج ودخل ، ومن الأسماء : نحو عمرو جمل وشجر ، والرباعى من الأفعال : نحو دحرج وهملج وقرطس ، ومن الأسماء : نحو عبقر وعقرب وجندب ، والخماسى من الافعال : نحو اسمحنكك واقشعر ، واسحنفر واسيكر " والألف ... ليست من أصل البناء ، وانما أدخلت هذه الألفات فى الأفعال وامثالها من الكلام لتكون الألف عمادا ، وسلما للسان الى حرف البناء "[٣] ، ومن الأسماء نحو سفرجل وقبعثر .

ثم نظر فى هذه الأبنية فوجدها اما صحيحة أو معتلة باعتبار بعض حروفها ، فقسم الأبنية السابقة تبعا لذلك كما يلى :[٤]

١ — الثنائى المضاعف (أو الثنائى الصحيح) : وهو ماكانت صورته الظاهرة تجمع بين حرفين صحيحين ، حتى لو تكررا أو تكرر أحدهما .. نحو : قد قد ، قـــد ، ولا يشكل دخول المثال الثانى والثالث — عنده —

---

(١) العين : (٥٥) .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) نفسه : (٥٤) .
(٤) العين (الجزء المطبوع) ، المزهر : (١/٨٥) ومابعدها .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فى باب (الثنائى) لأنه يرى أن الأصل فيهما حرفا القاف والدال ، أو لكونه لا يأتى من أى منهما الا صورتان (تقليبان) .

٢ — الثلاثى الصحيح : وهو ماكان من ثلاثة أحرف صحاح مثل : عتـــق غلب أو أربعة أحرف أحدها مكرر مثل : دهدع .

٣ — الثلاثى المعتل : وهو ماكان على ثلاثة أحرف أحدها حرف علة نحو : وتد ذود ، ثدى .

٤ — الثلاثى اللفيف : وهو ما اجتمع فيه حرفا علة مفروقين نحو : وعى ، أو مقرونين نحو : روى .

٥ — الرباعى الصحيح : وهو ماكان على أربعة أحرف صحاح نحو : كـرد من وجعفر .

٦ — الخماسى الصحيح : وهو ماكان على خمسة أحرف صحاح نحـــو : سفرجل .

٧ — الرباعى والخماسى المعتلان : وهو ماكان أحد حروفهما أو أكثر مـــن حروف العلة نحو : آية ، بؤبؤ .

وتناول الخليل هذه الأبنية على هذا الترتيب عند تناوله لكل حـــرف من الحروف الصحيحة ابتداء من العين وانتهاء بالميم ، ماعدا الرباعـــى والخماسى المعتلين فقد أخرهما الى آخر الكتاب حيث عقد بابا للحـــروف

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المعتلة ٠٠ وهذا الوصف للموجود من نسخ العين يخالف ما نقله الزبيدى عنه في استدراكه عليه حيث زعم أن الخليل خلط بين الرباعى والخماسى من أولهما الى آخرهما ٠٠ ذلك أن الملاحظ من الخلط انما هو فى اعتبار أصالة بعض الحروف وزيادتها لا فى الباب كاملا ٠(١)

الخطوة الثالثة : فكرة التقاليب :

أدرك الخليل بثاقب نظره أن حصر اللغة بطريق الاستقراء أمر غير ميسور بل هو فى عداد المستحيل ، فأسعفته عقليته الرياضية الى تقليب الأبنية الأربعة المتقدمة (الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى) على جميع وجوهها ، لأنها غاية مايتصور العقل النطق به ، ثم استخرج ما وجد فى اللغة فعلا وسماه "المستعمل" وترك ماعداه وأطلق عليه "المهمل" ٠

ويسلوك هذا المنهج استطاع حصر الألفاظ العربية على النحو الآتى :

١ — " الكلمة الثنائية : تتصرف على وجهين نحو : قد ، دق ٠٠

٢ — والكلمة الثلاثية : تتصرف على ستة أوجه — وتسمى مسدوسة — وهى نحو : ضرب ، ضر ، يرض ، بضر ، رضب ، ربض ٠

٣ — والكلمة الرباعية : تتصرف على أربعة وعشرين وجها ، وذلك أن حروفها وهى أربعة أحرف تضرب فى وجوه الثلاثى الصحيح وهى ستة أوجه

---

(١) المعجم العربى : (١/٢٤٩) ٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فتصير أربعة وعشرين وجها ، يكتب مستعملها ويلغى مهملها .

٤ — والكلمة الخماسية : تتصرف على مائة وعشرين وجها ، وذلك ان حروفها وهى خمسة أحرف تضرب فى وجوه الرباعى وهى أربعة وعشرون وجها (١) فتصير مائة وعشرين وجها ، يستعمل أقله ويلغى أكثره .. " (٢)

وبعد أن رسم الخليل منهج الكتاب ، قام بحشوه بالمواد — أو قام بذلك تلميذه الليث وفق منهج الخليل على الخلاف المتقدم — فبدأ بحرف العين ، تناول فيه بناء الثنائى ومقلوباته (المستعمل منها) مع الحروف الممكنة وشرح مواده ، ثم بناء الثلاثى الصحيح المبدوء بحرف العين وقلبه أيضا على ستة أوجه ، وشرح المستعمل منه .. وكذلك فعل بالرباعى والخماسى لكنه لم يحصل منه الا على القليل ..

فلما انتهى من حرف العين انتقل الى الحرف الذى يليه وهو الحاء ، فقسم المواد على الأبنية نفسها ، واتبع نظام التقليب نفسه ... وهكذا مع سائر الحروف حتى وصل الى الميم آخر الحروف الصحيحة .

وتبعا لهذا المنهج رأينا أن مواد الحروف تنقص كلما اقتربنا من نهاية الكتاب فمواد حرف العين أكثر من مواد حرف الحاء وهكذا حتى لا نجد للميم شيئا يذكر من المواد .

---

(١) فى الأصل : حرفا ولعلها محرفة عما أثبتناه .
(٢) العين : (٦٦/١) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

مادتـــه :

لا تخرج مادة الكتاب عما سمعه من لغة العرب أو وصل اليه مكتوبا فى الرسائل اللغوية التى دونت بعضا من هذه اللغة بالمشافهة أو النقل ، مـن هنا نجد أن الصلة قوية بين ظواهر مادته وتلك الرسائل التى سبقت العيـن فى الوجود ، مما يؤكد ماقلناه من قبل بأن الخليل قد استقى من هـــذه الرسائل فى تأليف مواده[١] .. ويمكن أن نوجز أوجه الشبه فيما يأتى :

١ — الاعتناء بالناحية اللغوية الصرفة أكثر من غيرها ، وتعريف مايتعلـــق بالنبات والحيوان والاعلام تعريفا دقيقا ، فهو يقول مثلا :" القفعاء : حشيشة خوارة ، خشناء الورق من نبات الربيع لها نور أحمر مثل الشرار ، وأوراقها مستعليات من فوق ، وثمرتها متفقعة من تحت "[٢] .

٢ — الاهتمام باللغات واللهجات العربية ، والنص على كثير منها .. فوصف عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وقطعة طيء[٣] ، وأشار الى لهجة هذيل ولهجة أهل اليمن[٤] ، وقد يكتفى بالتنبيه على انها "لغـــــة ذون نسبتها الى قائليها"[٥] . وبلغ عدد اشاراته الى اللغات فى الجزء الأول

---

(١) المعجم العربى : (٢٥٥) .
(٢) العين (قفع) ١/٢٠٠
(٣) العين : (١/١٠٤ ، ١٥٦) .
(٤) نفسه : (١/١٩٣ ، ١٨٥) .
(٥) نفسه : (١/١٥٨ ، ١٧٢) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

يقول : " امرأة عاقرة ٠٠ وقد عقرت تعقر ، وعقرت تعقر أحسن ، لأن ذلك شيء ينزل بها وليس من فعلها بنفسها ٠٠ "[١] فان وجد صيغة تعارض قياسه حملها على الشذوذ في لغة بعض العرب ٠٠ يقول : " رجل أعجف وامرأة عجفاء ، وتجمع على عجاف ، ولا يجمع أفعل على فعال غير هذا — رواية شاذة عن العرب — حملوها على لفظ سمان "[٢] . كما وجه عنايته الى التفسير الاشتقاقي للمواد التي يعالجها كما في (خدع ، علج ، عق ، فقع ، عجب وغيرها " ، وربما وضح اشتقاق بعض الاعلام ، يقول " عكاظ : اسم سوق ٠٠ وسمي به لأن العرب كانت تجتمع فيه كل سنة فيعكظ بعضها بعضا بالمفاخرة والتناشد ، أي يدعك ويحرك ٠[٣] " ، أما شواهده فكانت نثرية وشعرية فاستشهد باعلاها وهو القرآن الكريم وسنوضحه ، وبالحديث الشريف[٤] ، وبالأمثال[٥] ، وبالأقوال المأثورة عن الفصحاء ٠[٦] وبالشعر[٧] وهو أكثر انواع الشواهد عنده ٠

---

(١) العين : (١/ ١٧١) ٠
(٢) العين : (١/ ٢٦٩) ٠
(٣) نفسه : (١/ ٢٢٢) ٠
(٤) نفسه : (١/ ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٨١ ، ١٢٩) ٠
(٥) نفسه : (١/ ٩٥) ٠
(٦) نفسه : (١/ ٧٥ ، ٢٥٢) ٠
(٧) نفسه : (١/ ٦٨ ، ٧٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٧٢) وغيرها ٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

تأثره بالقرآن :

كتاب " العين " كسائر المعاجم اللغوية التى جاءت تالية له ، لا تختلف فى التأثر العام بالقرآن الذى دعا لوجودها حفاظا على الثروة اللفظية للغة العرب أما الأثر الخاص الذى يمكن لنا مشاهدته فى كتاب العين .. فيكمن فى الآيات القرآنية العديدة التى جاء بها شواهد على صحة مادته وأنها متمشية مع مايفهمه العرب الأقحاح من اللفظ القرآنى الشريف .. حيث زادت عن العشرين شاهدا فى الجزء المطبوع فاستشهد للفعل (عز) بمعنى (غلب) بقول الله عز وجل : (وعزنى فى الخطاب)(١) وفرق بين الخشوع والخضوع ، فوضح أن الخشوع فى الصوت والبصر ، وأن الخضوع بالجوارح الأخرى .. واستشهد لذلك بقوله تعالى (خاشعة أبصارهم) وقوله تعالى (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا)(٢) . وفسر : الدع بالدفع الشديد مع العنف والانتهار واستشهد لذلك بقوله تعالى (فذلك الذى يدع اليتيم)(٣) .. وفسر (القطع) بالخنق واستشهد له من القرآن فقال : " وقطع الرجل بحبل أى اختنق ، ومنه (ثم ليقطع)(٤) أى ليختنق "(٥) ، وربما انصرف الى معنى الآية

---

(١) سورة ص آية : ٢٣ ، انظر : العين ١/٨٨ (ع ز) .
(٢) سورة : الجارح : ٤٤ ، سورة طه : ١٠٨ ، وانظر : العين : ١/١٢٩
(٣) سورة الماعون آية (٢) .
(٤) سورة الحج : (١٥) .
(٥) العين : (١/١٥٥) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

اجمالا دون تحديد معنى الألفاظ المفردة .. قال فى شرح معنى قوله عزوجل (انما نعد لهم عدا)[١] : " يعنى أن الأنفاس تحصى احصاء ولها عدد معلوم "[٢] ، واذا كانت هناك أكثر من قراءة نبه عليها وعلى معانيها .. يقول معلقا على قوله تعالى (يعكفون على أصنام لهم)[٣] : " وقرئ يعكفون ويعكفون ، ولو قيل : عكف فى المسجد لكان صوابا ، ولكن يقولون : اعتكف قال الله عزوجل : (وأنتم عاكفون فى المساجد)[٤] .. "[٥] فهو يخطئ : "اعتكف" لأنها لم ترد فى القرآن .. بل الوارد : "عكف " .. وهذا هو منهجه فى تقديم القراءة على الشائع . والله أعلم .

---

(١) سورة مريم : (٨٤) .

(٢) العين : (١/ ٩٠) .

(٣) سورة الأعراف : (١٣٨) .

(٤) سورة البقرة : (١٨٧) .

(٥) العين : (١/ ٢٣٣) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

ضبط اللغة

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

مقدمـــــة :

لم يتوقف أثر القرآن عند جمع اللغة والحث على استقصائها وتدوينهـــا في كتب جامعة على النحو الذى أسلفناه ، بل تجاوزه الى الدعوة لضبط هذا التراث ، وحفظه من أن يتطرق اليه تيار العجمة فيقع فيه التحريف والتصحيف ويعتـــوره الخطأ والخلل .

وقد استجاب العلماء لذلك واضعين نصب أعينهم خدمة الكتاب العزيز أولا وخدمة اللغة العربية ثانيا ، فقامت الجهود اللغوية الأولى في وجه مـد اللحن الجارف لسليقة العربى لتحصين اللغة من الوقوع في الخطأ ، واعطـوا هذا الأمر عنايته منذ اللحظات الأولى لتأريخ القرآن ، فوجدوا أن اللحـــن سيشمل عناصر اللغة الثلاثة : الصوت ، والكلمة ، والتركيب .. فاجتهـــدوا لدرء الخطر عنها جميعا بما ألفوه في مجالات الأصوات وبناء الكلمة ، وبنـــاء الجملة .

وكان أول ماقاموا به في مجال رموز الأصوات : " النقط والاعجـــام والشكل " وذلك بضبط النص المكتوب تبعا للصحيح الملفوظ حتى ينطبـــق

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الحرف صحيحا فيؤمن الخطأ من جانبه ، ثم تطور نقط الاعراب ليجعلهم يفكرون فى وضع علم : " النحو والصرف " للمحافظة على بناء الكلمة وصحة التركيب العربى ، وعالجوا من خلاله بحوثا أخرى تتعلق "بالأصوات" .

ونقف فيما يلى على مظاهر العناية بضبط اللغة وتأثير القرآن فى الدعوة اليها .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: النقط والشكل ::

أولا : النقـــط :

هو رسم دوائر مغلقة على بعض الحروف أو تحتها لتميزها عما عداهـا في الصوت أو الحركة (١) .. وله معنيان :

أ — نقط الاعجام : وهو نقط الحروف في ذواتها للتفريق بين المشتبهـــه منها في الرسم ، كنقط الباء بنقطة واحدة من اسفلها ، ونقط التـاء باثنتين من أعلاها ... وهكذا ... وهذا النوع لا يزال معروفا الى اليوم ..

ب — نقط الاعراب : وهو نقط الحروف جميعا للتفريق بين حركاتهـــا المختلفة ، مثل : جعل الفتحة نقطة من فوق الحرف ، وجعـــل الكسرة نقطة من تحت الحرف .. وهكذا . وقد اندثر هذا النـــوع من الخط العربي ولم يعد أحد ينقطه بعد أن حل "الشكل" محلـــه ، ونظرا لقدمه فسنقدمه في الحديث .

---

(١) قصة النقط : ٦٨ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

(ت٩٦هـ) الأديب المفكر الذى عاش فى البصرة ردحا من الزمن كاتبا لعبد الله ابن عباس ابان خلافة عمر بن الخطاب ثم عاملا عليها فى خلافة عثمان وعلى رضى الله عنهما (١)، ورأى ما طرأ على العربية وألسنة العرب من انحراف عن الفصحى بشيوع الأخطاء وازدياد الفساد اللغوى .. فهو من أقدر الناس على ايجاد حل لهذا الخطر المحدق بسلامة العربية ، وطلب منه أن يعمل على ضبط ألفاظ القرآن بما يحفظها من اللحن قائلا : " ياأبا الأسود : ان هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب ، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعربون كتاب الله تعالى " (٢).

وتردد أبو الأسود فى الاستجابة لهذا المطلب — بالرغم من اقتناعه بوجاهته — لما يحمله من كراهة السلف لنقط المصاحف ، وأن ذلك أمر لم يفعله الصحابة من قبل وهم أحرص الناس على القرآن ، بل الذى ورد عنهم الأمر بتجريد القرآن وعدم اضافة اليه ما ليس منه .. قال ابن مسعود رضى الله عنه : " جردوا القرآن ولا تخلطوه بشئ " (٣)، وكاد أن يرفض طلب

---

(١) انباه الرواة : (٥/١) ، الأغانى : (١٠١/١١) ، بغية الوعاة (٢٢/٢) .

(٢) المحكم فى نقط المصاحف : (٣) .

(٣) مناهل العرفان : (٤٠١/١) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

زياد لولا أنه سمع فى الطريق قارئا يقرأ قوله تعالى : " وأذان من اللـــــه ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برئ من المشركين ورسوله[١] " بجر اللام فى كلمة (رسوله) ، فاستعظم ذلك وقال : " عز وجه الله أن يبرأ من رسوله " ثم ذهب من فوره الى زياد وقال له : " قد أجبتك الى طلبـــك ورأيت أن أبدأ باعراب القرآن[٢] " .

وأتخذ أبو الأسود كاتبا فطنا من "عبد القيس : احدى قبائل البصرة" وقال له : " اذا رأيتنى قد فتحت فمى بالحرف فانقطه نقطة فوقه على أعلاه . وان ضممت شفتى فانقط نقطة بين يدى الحرف ، وان كسرت شفتى فأجعـــل النقطة من تحت الحرف ، فان اتبعت شيئا من ذلك عنـــه (أى تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين ، وابتدأ أبو الأسود المصحف حتى أتى على آخره . بينما كان الكاتب يضع النقط بصبغ يخالف لونه لون المواد الذى كتبت به الآيات[٣] "

ويبدو أن أبا الأسود قد ذاق الحروف وحدد أماكن الحركات فوجد أن حركات الفم بالحرف ما هى الا انفتاح وانكسار وانضمام .. ولا شئ غير ذلك ،

---

(١) سورة التوبة : (٣) .

(٢) انباه الرواة : (٥، ٦) ، المحكم : (٤) ، وهذا خير من تعليـــل آخرين بأن سبب الرفض يعود الى جفاء مع الأمويين لعزله عن ولايـــة البصرة . (انظر : حياة اللغة : ٨٤ ، الدراسات اللغوية : ٥٤) .

(٣) المحكم فى نقط المصاحف : ٤ ، ايضاح الوقف والابتداء : ١/٤١ ، مراتب النحويين : ٢٩ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

أما السكون فلم يضع له علامة[١] ولعل العلماء قد أخذوا مصطلح (الفتحة والضمة والكسرة) من مقولته تلك .

ويلاحظ أن طريقة نقط أبى الأسود — هذه — انما قصد بها أواخر الكلم من الحروف التى تحتمل الشكل الاعرابى ، رفعا ونصبا وجرا ، سواء كانت مفردة ، ولم تكن لتستقصى حروف الكلمة جميعها لأن " النقط والشكل — كما يقول ابن المنادى (ت ٣٣٤هـ) — انما جعل للضرورات المشكلات يسرا ، لا أن ينقط كل حرف من الكلمة ، سكن أو تحرك ، فاذا ركب ناقط ذلك فقد خرج عن الحد الى غيره ، ولا طائل فى ذلك كله "[٢] .

ويقول أبو حاتم السجستانى (ت : ٢٥٥هـ) : " وانما النقط على الايجاز لأنهم لو تتبعوا كلما ينبغى أن ينقط عليه فنقطوه لفسد المعنى "[٣] .

كان ذلك فى أول الأمر ، ولكن لما كثر التحريف وعم التصحيف فزع الحجاج بن يوسف الى نصر بن عاصم (ت : ٨٩هـ) وطلب منه وضع حل لهذا اللحن الذى تفاقم خطره ، فرأى "نصر" أن أفضل حل يقوم به

---

(١) المحكم : (٤٢) .
(٢) المحكم فى نقط المصاحف : (٢١٠) .
(٣) كتاب المصاحف : (١٤٤) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

لدرء هذا الخطر هو أن يعمم نقط " أبى الأسود " على جميع حروف الكلمة أولها وأوسطها وآخرها بنفس الطريقة التى وضعها أبو الأسود ، مع مراعاة اختلاف لون مداد النقط فى المصحف عن رسم كلمات القرآن (١) .

نقط الاعجام :

لم يكن مافعله أبو الأسود الدؤلى من نقط الحركات الاعرابى ليحول دون تصحيف المكتوب وتحريفه ، ويعصم الأفواه من الخطأ فى وقت أثرت فيه العجمه على معظم السلائق اللغوية .

ولم يقف هذا الخلط فى الحروف والخطأ فى نطقها بعيدا عن كتاب الله عز وجل بل تسرب اليه ، فصحف الناس بعض كلمات المصحف العثمانى لالتباس بعض حروفه عليهم ولاسيما على الأعاجم منهم لعدم نقط حروف المصحف العثمانى نقطا اعجاميا يفرق بين الحروف المتشابهة فى الرسم ، فبرزت الى الوجود مشكلة التمييز بينها ، وسعى الولاة والعلماء الى ايجاد حل لهذه المشكلة قبل أن تستفحل ويلحق ضررها بالقرآن الكريم ولغته .. فندب الحجاج بن يوسف (ت : ٩٥هـ) — طاعة لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان (ت : ٨٢هـ) — رجلين يعالجان هذه المشكلة بما أوتياه من فطنة

---

(١) المحكم فى نقط المصاحف : ٧ ، قصة النقط : ٧١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ورسوخ قدم فى العربية ، وهما : نصر بن عاصم الليثى (ت : ٨٩) يحيى ابن يعمر العدوانى (ت : ١٢٩هـ) تلميذا أبى الأسود الدؤلى (ت : ٦٩) وقيل[١] أنه أضاف اليهما ثالثا هو : الحسن البصرى (ت : ١١٠هـ) ، يؤكد ذلك الروايات التاريخية التالية :

* روى ابن خلكان : " ان الناس غيروا يقرأون فى مصحف عثمان ابن عفان رضى الله عنه نيفا وأربعين سنة الى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف ، وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج بن يوسف الى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال : ان " نصر بن عاصم " قام بذلك ، فوضع النقط افرادا وأزواجا وخالف بين أماكنها فغير الناس زمانا لا يكتبون الا منقوطا "[٢].

* وأورد أبو أحمد العسكرى قصة نقط الاعجام ، ونسبه الى "نصر بن عاصم "بصيغة البناء للمجهول[٣] ، وقد رجح بعض الباحثين اشتراك (يحيى بن يعمر) معه فى العمل .. فقال فى حديثه عن الاعجام : " وبعد

---

(١) مقدمتان فى علوم القرآن : ٢٧٥

(٢) وفيات الأعيان : ٣٢/٢

(٣) التصحيف والتحريف : ١٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

البحث والتروى قرر نصر (بن عاصم) ويحيى (بن يعمر) ادخال الاصـــلاح الثانى ، وهو أن توضع النقط أفرادا وأزواجا لتمييز الحروف المتشابهة "[١] .

* أما ابن عطية فقد روى عنه فى قصة النقط هذه قوله : " أمـــر (أى الحجاج) وهو والى العراق ، الحسن (البصرى) ، ويحى بن يعمـر العدوانى بذلك (أى النقط)[٢] ويبدو أنه لاتضارب بين الروايات فهى لجنـة شكلها الحجاج لحل مشكلة الحروف المشتبهة وتألفت من هؤلاء الثلاثـــة .. وكل من الرواة ذكر من أعضاء هذه اللجنة ماعرفه ، ولا غرابة فى اشتراك أكثـر من واحد فى عمل جسيم كهذا ينوء بحمله عاتق فرد ، يوضح ذلك الطريقـــة التى سلكوها فى الوصول الى حل هذه المشكلة بتميز مايلتبس من رســـم الحروف .. وهى :

١ — أن يكون التمييز بين رسم الحروف الملتبسة بالنقط المدور — كنقـــط أبى الأســود الاعرابى — ، وروعى أن يكون الاختلاف بينهما فـى لون المداد عند النقط فجعل نقط الاعجام هذا من لون مداد القـرآن الكريم .

---

(١) حفنى ناصف : تاريخ الأدب : ٧١

(٢) مقدمة ابن عطية : ٢٧٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

لفظها مفتوح "[١] فنقطت بنقطتين من فوق ، ونقطت الفاء بواحدة من فوقها • أما ان كان التشابه بين أكثر من حرفين •• فالقاعدة : نقط الأولى بنقطة واحدة من أعلى ، والثانية باثنتين، والثالثة بثلاث من أعلى •• وشذت الباء والجيم والياء بنقطها من أسفل •• ولعل ذلك يعود الى تعلق الكسر بهن اما من حيث اللفظ كالجيم ، أو العمل كالباء والياء •[٢]

وبهذه الأسس الدقيقة التى التزموها عند تنفيذ المنهج تم لهم حل هذه المشكلة وأمن جانب التصحيف ، وترتب على عملهم هذا ظهور ترتيب جديد للحروف العربية يخالف الترتيب الأبجدى القديم ، ملاحظ فيه جمع الأحرف المتشابهة فى نسق بعضها البعض ، وتقديم الحروف الأقل نقطا على الأكثر نقطا ، والحروف المهملة على المعجمة ، وصار الترتيب الهجائى فى المشرق هكذا :

(أ ب ت ث ، ج ح خ ، د ذ ، ر ز ، س ش ، ص ض ، ط ظ ، ع غ ، ف ق ، ك ل ، م ن هـ و ى)•

وصار هذا الترتيب فى المغرب هكذا :

---

(١) المحكم : ٣٨

(٢) المحكم : ٣٧ ، ٤١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

(أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل مـن ص ض ع غ ف ق س ش و هـ ى) .

وكان الترتيب الأبجدى القديم هكذا :

(أ ب ج د ، هـ و ز ، ح ط ى ، ك ل م ن ، س ع ف ص ، ق ر ش ت ، ث خ ذ ، ض ظ غ .

وقد لقى اعجام الحروف استحسانا من الخليفة عبد الملك بن مـــروان (ت : ٨٢ هـ) فأصدر أمره الى ولاته باتباع طريقة الاعجام ، وحمل النـــاس عليها (١) ، وظل الأمر كذلك الى يومنا هذا .

وقد طور الخليل فى عمل اللجنة رسم ثلاثة أحرف هى (٢) :

١ ـ النون : فلم ينقطها اذا كانت مفردة لعدم اشتباهها بغيرها .

٢ ـ والفاء : عند افرادها لا تنقط ، أما عند الوصل فتنقط واحدة مـــن أعلاها .

٣ ـ والقاف : عند الافراد لا تنقط أيضا ، فاذا وصلت نقطت نقطـــة واحدة من أسفلها .

---

(١) تاريخ الأدب أو حياة اللغة : ٣٥

(٢) المحكم : ٣٥ ، ٣٦

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ولم يرق هذا التحسين لأهل المشرق ، فتلقفه المغاربة ونقطوا بـــه مصاحفهم (١) .

ثانيا : الشكـــل :

يطلق الشكل على العمل الذى قام به الخليل بن أحمد (ت : ١٧٥) من تطوير لنقط أبى الأسود الدؤلى .. لما رأى أن المصاحف قد ملئـــت بالنقط الاعرابى والاعجامى فأشكلت على كثير من الناس حتى أنه " لايقـــدر أحد على القراءة فى مصحف منقوط ، اذا لم يكن عنده علم بالنقط ، بـــل لاينتفع به ان لم يحلمه (٢) " ، ومع ذلك فقد وقع كثير منهم فى الخطأ عنـــد التلاوة من المصحف نتيجة تشابه النقط والخلط بين الحروف لاسيمـــا اذا اتحد لون المداد ..

فرأى الخليل بثاقب نظره — وهو العبقرى المفكر — أن يغاير بيـــن نقط الاعراب ونقط الاعجام بشئ غير لون المداد ، فأبقى على نقط الاعجام كما هو ، وطور نقط الاعراب كالآتى :

١ — أبدل النقط الذى وضعه أبو الأسود للاعراب بحركات فصار على هيئة

---

(١) انظر : المصحف الشريف (اصدار الشركة التونسية للتوزيع) .

(٢) المحكم : ٢٤

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الأحرف ، حيث جعل :

* الفتحة : ألفا صغيرة توضع مبسوطة ومدودة فوق الحرف المتحرك بها من اليمين الى اليسار .. هكذا " ـَـ " .

* والضمة : واوا صغيرة توضع فوق الحرف المتحرك بها .. هكذا " ـُـ " .

* والكسرة : ياء صغيرة ممدودة الى الخلف توضع تحت الحرف المتحرك بها .. هكذا " ـِـ " .

٢ — أضاف علامات جديدة على ماوضعه أبو الأسود .. فجعل :

* للسكون الشديد — وهو مايصاحب الادغام — : رأس "شين" بغير نقط هكذا " ـْـ " ، ولعله أخذها من أول حرف في كلمة " شديد "(١) .

* للسكون الخفيف : رأس حرف "خاء" بدون نقط هكذا "ـْـ" ولعله يريد بها الحرف الأول من كلمة "خفيف" .

---

(١) هذا هو مذهب الخليل وسيبويه وعامة أهل المشرق ، أما أهل المدينة والأندلس فكانوا يرمزون للتشديد بحرف (د) .
(المحكم : ٤٩ ، ٥٠) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

* للهمزة : رأس عين هكذا (ء) لقرب الهمزة من العين فى المخرج .

* ولألف الوصل : رأس صاد هكذا (ص)

* وللمد الواجب: ميما صغيرة مع جزء من "الدال " هكذا (مـ)

وبهذا العمل الجليل من الخليل أمكن كتابة القرآن منقوطا نقط اعجام ومشكولا بمداد واحد دونما لبس أو خلط بينهما ، ولم يعد الكتاب فى حاجة الى مدادين أو أكثر أثناء الكتابة ..

وقد كتب لعمله هذا الثبوت والبقاء ولكن باضافة تحسينات طفيفـــــة مثل :

١ — حذف جزء من رأس الياء المجعول علامة للكسرة .

٢ — حذف رأس الميم من علامة المد .

٣ — جواز كتابة الضمتين فى التنوين على أصلهما أو بزيادة الثانية علـــى الأولى .

٤ — جواز بقاء الكسرة أسفل الحرف أو أعلاه تحت الحرف المشدد أو بمصاحبة الهمزة .

وسمى عمله هذا " بالشكل " لأنه أزال ما فى المكتوب من اشكـــال وابهام عند النطق ..

. . . . . .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

قال أبو حاتم : " شكلت الكتاب ، أشكلته ، فهو مشكول : اذا قيدته بالاعراب "(١).

كما يلاحظ أن عمل الخليل هذا انما هو تطوير بارع لنقط أبى الأسود "الاعرابى" فقد حوله من نقاط يختلف مدادها وأوضاعها بحسب أصوات حروفها ، الى حركات محددة ومميزة ، ولذلك قال أبو بكر بن مجاهد (ت : ٣٢٤ هـ) : " والشكل والنقط شئ واحد ، غير أن الفهم يسرع الى الشكل أقرب مما يسرع الى النقط ، لاختلاف صورة الشكل واتفاق صورة النقط ، اذ كان النقط كله مدورا ، والشكل فيه : الضم والكسر والفتح والهمز والتشديد بعلامات مختلفة ، وذلك كله مجتمع فى النقط "(٢).

وحرصا من الخليل على كرامة أبى الأسود واحتراما لعمله واتقاء للبدعة فى الدين استعمل اختراعه هذا فى كتب الأدب واللغة دون القرآن(٣) لكنه ما لبث أن استعمل فى القرآن حتى أصبح خلو النص الكريم من الشكل عيبا يوصم به الكاتب ، بينما انحسر الشكل فى الكتابة العادية الى الاحرف الملتبسة وأواخر الكلم فى الغالب .

---

(١) لسان العرب : (شكل) .
(٢) المحكم : ٢٣
(٣) تاريخ الأدب : ٩٧

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وباختراع النقط والشكل استطاع المسلمون أن يحصنوا لغة القرآن المكتوبة بسد منيع يحول دون الوقوع فى الخطأ • ولم يبق الا ضبط الكلمة عند النطق دون اعتماد على المكتوب وهو ماتكفل به علم "العربية" •

المؤلفات فى النقط والشكل :

ولأهمية هذا النوع ألف العلماء فيه •• فكان أول من نسب اليه كتاب فى النقط أبو الأسود الدؤلى (٦٩ هـ)[1] ثم تلاه الخليل (١٧٥هـ)[2] ، ثم الاخوة الثلاثة أبو اسحق ابراهيم (ت ٢٢٥هـ) وأبو عبد الله محمد (ت : ٢٢٧هـ) وأبو عبد الرحمن عبد الله (ت : ٢٣٧هـ) أبناء يحى بن المبارك اليزيدى • وأبو اسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادى (ت ٢٤٩هـ) وأبو عبد الله محمد بن عيسى الاصبهانى (ت ٢٠٣هـ) وأبو حاتم سهل بن محمد السجستانى (ت ٢٥٥هـ) وأبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى (ت ٢٨٢هـ) ••

فهؤلاء عشرة من العلماء قد توافروا على التأليف فى النقط والشكل خلال القرن الثانى والثالث فقط ، وأما علماء القرن الأول فلم يصنفوا فيه ، سوى

---

(١) ايضاح الوقف والابتداء : ٤١ ، المحكم : ٤ ، ٩ ولم يجزم بذلك ، وابن الأنبارى عده مختصرا فى النحو : نزهة الألباء : ٩ •

(٢) الفهرست : ٣٥ ، المحكم : ٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

مانسب لأبى الأسود من مختصر فى النقط ، وذلك لما أشرنا اليه مـــن أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتحرجون من النقط بل ينهون عن استعماله، ولذا لم يعد أن يكون عملهم محاولات تيسيرية فحسب ، فلما جاء جيـــل التابعيـــن اخترعت له القواعد والأصول حتى قيل عن الخليل "انه أول من صنف فى النقط ، ورسمه فى كتاب ، وذكر أحكامه وعلله"[1] نظرا لأهميـــة الدور الذى قام به .

ثم توالت مؤلفات العلماء بعد القرن الثالث حتى جاوزت العشـــرة مؤلفات الا أنه لم يصل منها سوى كتاب أبى عمرو الدانى(ت٤٤٤هـ) المسمى (المحكم فى نقط المصاحف)الذى نقل لنا آراء العلماء السابقين وذكـــر مؤلفاتهم[2] .

---

(١) المحكـــم : ٩

(٢) انظر : الفهرست : ٥٣ ، انباه الرواه : ١٦٧/١ ، ٣٤٦و٢٩٥/٢ والمحكم : ٩، ٢٣ ، ومعجم الأدباء : ١٦١/١، ٧٥/١١ ، ٣١/٢٠ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: الدراسة الصوتية ::

نشأتهـــا :

عنى اللغويون القدامى بـ "الأصوات" لاتصالها الوثيق بقراءة القرآن الكريم ، فمنذ أن انطلقت دعوة الصحابى الجليل : عبد الله بن مسعـــود رضى الله عنه " جودوا القرآن ، وزينوه بالأصوات "(١) امتثالا لقول الله عز وجل (ورتل القرآن ترتيلا)(٢) ، لقيت الاستجابة الكاملة من جميع المسلمين .. واتجه العلماء منهم ، بصفة خاصة ، الى توضيح السبل لتجويد القرآن ، وبيـــان الكيفية التى يتم بها تحسين الأصوات ، لاسيما عند عدم الضبط بالسمـــاع والاعتماد على المكتوب فى المصاحف .. فتطلب ذلك منهم ايلاء الحروف العربية ـ باعتبارها عنصر الصوت ـ عناية كبيرة ، لمعرفة مخارجها وادراك صفاتهـا (٣) ،

---

(١) النشر : ١/٢١٠

(٢) سورة المزمل : ٤

(٣) انتقد المحدثون من علماء الأصوات اللغويين القدامى لاقتصارهم على أحد جانبى الأصوات (الصوامت) والاهتمام به ، مع عدم الاعتنـــاء بالجانب الآخر (الصوائت) سوى ماذكروه من حالات المد المختلفة . مما ترتب عليه اغفال دور الحركات الأساسى فى البناء الصرفى للكلمة ، وعزوا ذلك الخطأ فى المنهج الى : نظرية الأصول فى تكوين الكلمـات العربية مع التأثر الشديد بتطبيق المكتوب على المنطوق .

(نظرات فى اللغة : ١٧٣ ـ بتصرف)

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وكانت تلك البداية الطبيعية لدراسة الأصوات عند العرب ، ثم أضاف علمـــاء النحو والمعاجم ـ فيما بعد ـ دروسا جديدة الى هذا العلم خطت بـــه خطوات جادة الى الأمام .. غير أن معالجة القدماء للنواحى الصوتية اتسمت بعدم الاستقلال فقد ظلت مبثوته فى مقدمات المعاجم أو بين ثنايا الأبـــواب النحوية فى كتب النحو .

معالجة القدماء لها :

لم تخل الدراسة الصوتية القديمة من معالجة مستقلة لبعض الأصوات ، فكان أقدم من وصل الينا خبر تأليفه مستقلا : عبد الله بن أبى اسحـــاق الحضرمى (ت : ١١٧هـ) ، الذى نص العلماء على أنه أول من عمل مما أملاه كتاب فى "الهمز"[1] ، أما الخليل (ت : ١٧٥هـ) وسيبويه (ت : ١٨٠هـ) فلم يعالجاها علاجا مستقلا فى مؤلفات خاصة .

ثم ألف كل من : قطرب بن المستنير (ت : ٢٠٦هـ) والأصمعـــى (ت : ٢١٣هـ) كتابين فى الهمز ، وأما أبو زيد الأنصارى (ت : ٢١٥هـ) فقد

---

(١) المزهر : ٢/٢٠٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ألف فيه كتابين هما : كتاب تحقيق الهمز (١) ، وكتاب الهمز (٢) .

وظل التأليف في الهمز يعالجه العلماء مستقلا في كتبهم الى حين :—

* فأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) تحدث في ثلاثة أبواب من كتابه (الغريب المصنف) عن الهمز : عالج في الباب الأول : بعض ألفاظ مهموزة وفسرها بايجاز مع نسبة الاقوال الى أصحابها ، ولم يلتزم ترتيبا معينا ، وفي الباب الثاني : خصه بالألفاظ التي تهمز ولا تهمز وسردها في ستة أسطر ولم يشرح معظمها لوضوحه . وفي الباب الثالث : ذكر الألفاظ التي لا تهمز وأصلها الهمز في خمسة أسطر تقريبا واستشهد ببعض الأقوال معزوة الى أصحابها (٣) .

---

(١) لم يصل من هذا الكتاب سوى بضعة أسطر ألحقت بكتابه "الهمز" وتركها المحقق ، واكتفى بالاشارة اليها في مقدمة التحقيق (الهمز : مقدمة المحقق : ٣ ، المعجم العربي : ١/١١٧) .

(٢) وصل هذا الكتاب الينا وطبع بتحقيق الأب بولس شيخو في بيروت سنة ١٩١٠م .

(٣) الغريب المصنف : ٥٤٨ — ٥٥١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

* وختم ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) كتابه (الألفاظ) بباب تناول فيه ألفاظا مهموزة تكلم بها العرب غير مهموزة ، وذلك للاتباع ، ومثل لذلك بجمل من القرآن والحديث وأقوال العرب والشعر (١) .

* وخصص ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ثلاثة أبواب من كتابه (أدب الكاتب) للهمز ، عالج فيها بعضا مما عالجه ابن السكيت ، ولكن في ايجاز ، حتى انه لم يفسر كثيرا منها (٢) .

ولم تقتصر جهود العلماء على دراسة حرف (الهمز) فقط ، وان كانوا قد اختصوه بعناية كبرى ، بل تعدته الى سائر الحروف العربية ، فوضحوها ، وبينوا مخارجها ، ورتبوها صوتيا بحسب تلك المخارج ، وفصلوا الحديث عن مخارج الأصوات مصنفين كل صوت بحسب المكان الذي يتم فيه التحكم في الهواء الخارج من الرئتين ، وقسموا الأصوات ، بعد أن ذاقوها ، الى مجهورة ومهموسة ، وشديدة ورخوة بحسب جريان الصوت في مجرى النفس ، والى صحيحة ومعتلة بحسب اتساع المخرج وعدمه ، واهتدوا الى سمات خاصة تميز بعض الحروف عما عداها ، وتحدثوا عن ائتلاف الحروف وكيفية بناء الحروف العربية ، وعن الانسجام الصوتي في بعض الكلمات ذات الحروف

---

(١) تهذيب الألفاظ : ٦٧٢

(٢) أدب الكاتب : ٢٨١ — ٢٨٦ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المتتابعة والمختلفة فى الصفات نحو (يزدق) فى بعض اللغات — بدلا من (يصدق) — وذلك ليكون عمل اللسان من جهة واحدة (١) ، لكنهم لم يفردوها بالتأليف بل جاءت دراستهم تلك ضمن كتب النحو والمعاجم وأهم من قام بذلك الخليل بن أحمد الفراهيدى ، وأبو بشر عمرو بن عثمان الملقب (سيبويه) .

أولا : الخليل والأصوات :

تناول الخليل (ت ١٧٥) النواحى الصوتية فى مقدمة كتابه (العين) وفى ثنايا مادته اللغوية ، ونستخلص من عمله الآتى :

أ — حصر الحروف العربية ، ووضح مخارجها ، ورتبها صوتيا بحسب مخرجها من الحلق فقال : " فى العربية تسعة وعشرون حرفا : منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أجواز ومخارج ، وأربعة هوائية (٢) " .

فالحروف الصحيحة حسب ترتيبه الصوتى هى : ع ح هـ خ غ — ق ك — ج ش ض — ص س ز — ط د ت — ظ ذ ث — ر ل ن — ف ب م .

---

(١) الأصوات اللغوية : ١٠٤ — ١٥٣ ، البحث اللغوى : ٧٢ — ٨٥

(٢) العين : ١/ ٦٤

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

والحروف الهوائية هى : و ا ى ء .

وقد حدد كل مخرج كل حرف ، وسمى كل مجموعة صوتية تخرج من حيز واحد باسم خاص " مدرجة " ظل متعارفا عليه الى عصرنا الحديث ، بل قلده فيه كل من جاء بعده (١) — واليك ما قال : فالعين والحاء والخاء والغين (حلقية) لأن مبدأها من الحلق . والقاف والكاف (لهويتان) ، لأن مبدأهما من اللهاة .

والجيم والشين والضاد (شجرية) لأن مبدأها من شجر الفم : أى مفرج الفم . والصاد والسين والزاى (أسلية) : لأن مبدأها من أسلة اللسان : وهى ما تستدق طرفه . والطاء والدال والتاء (نطعية) (٢) : لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى . والظاء والذال والثاء (لثوية) : لأن مبدأها من اللثة .

والراء واللام والنون (ذلقية) : لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفى ذلق اللسان . والفاء والباء والميم (شفوية) وقال مرة (شفهية) لأن مبدأها من الشفة . والواو والياء والألف والهمزة (هوائية) لأنها لا يتعلق بها شىء (٣) .

---

(١) الأصوات اللغوية : ١٠٢

(٢) جاء فى القاموس : " النطع كمنبر : ما ظهر من الغار الأعلى فيه آثار كالتحزيز " . (مادة : ن ط ع) .

(٣) العين : ٦٥/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ب — تحدث عن صفات الحروف (ل ر ل ن ، ف ب م) :

ثلاثة الأحرف الأولى : حروف الذلق أو الذلاقة :
لأنها تخرج من ذلق اللسان اى بطرف أسلته (١).

والحق بها الثلاثة الباقية : وسماها بالحروف "الشفوية" :
لأن مخرجها من بين الشفتين خاصة ، وبين أن الشفتين لا تعمل فى شىء من الحروف الصحاح الا فى هذه الثلاثة فقط (٢).

جـ — نبه على أن حروف الذلاقة الستة أسهل الحروف فى النطق فكثرت فى أبنية الكلام ، ولذلك لا يخلو أى بناء رباعى أو خماسى منها أو من بعضها ، فان جاء بخلاف ذلك فهو كلمة محدثه مبتدعة ليست فى كلام العرب (٣) ، واستثنى من البناء الرباعى عشر كلمات شذت عن هذه القاعدة (٤) وسوغ خلوهن من حروف الذلاقة اشتمالهن على حرفى (العين والقاف) أو أحدهما ، لأن هذين الحرفين "لا يدخلان فى بناء الا حسناه ، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرسا" (٥) ، وكذلك يفتقر فى الرباعى أيضا ، خلوه من حروف الذلاقة اذا كان حكاية

---

(١) العين : ٥٧/١
(٢) نفسه : ٥٧/١
(٣) نفسه : ٥٨/١
(٤) نفسه : ٥٩/١
(٥) العين : ٦٠/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

للصوت ، سواء كان مضاعفا بتكرار المقطع نحو (دقدق) ، أو كـــان مؤلفا من غير تكرار نحو (دهداق) .(١)

أما ما نسب للخليل من مؤلف مستقل تحت عنوان (الحـــروف) فهو أبعد ما يكون عن الخليل ، نظرا لمادته الخيالية وبعدها عـــن عقلية الخليل المبتكرة حيث تقوم على تصور لا أساس له لمعانـــــى الحروف ، فيستعرض الحروف العربية على الترتيب الأبجدى ، ويذكـر معنى لكل حرف ، فالألف : الرجل الحقير ، والباء : الرجل الكثـير الجماع ... وهكذا ، حتى تنتهى صفحات الكتاب الخمس ، وهـذا ما دفع محقق الكتاب الدكتور رمضان عبد التواب الى الشك فى نسبتـه للخليل ، ولأنه لم يرد له ذكر فى المصادر القديمة .(٢)

ثانيا : سيبويه والأصوات :

تلا سيبويه استاذه الخليل ، فلخص فى آخر (الكتاب) جملة مـــن الآراء الصوتية المستقاة من الخليل ، وأضاف اليها جديدا نعرض له الآن ، بايجاز ، دون الخوض فى الشرح أو المقارنة بالآراء الصوتية الحديثـــة لأن ذلك سيخرجنا عن منهجنا الوصفى ، ولأن من شرحها ، من شراح الكتاب ،

---

(١) العين : ٦١/١

(٢) الدراسات اللغوية : ١٩٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

كالسيرافى والرمانى ، لم يزيدوا شيئا بل اكتفوا بتزويد عبارات سيبويه بألفاظه ومصطلحاته (١) :

أولا : قسم سيبويه الأصوات الحلقية الى ثلاثة مخارج ، وعين حرفى كل مخرج : فمن أقصى الحلق : الهمزة والهاء ، ومن وسط الحلق : العين والحاء ، ومن أدنى الحلق : الغين والخاء (٢).

ثانيا : قسم أصوات الفم الى ثلاث مناطق ، وحدد لكل منطقة مجموعة صوتية ذات مخرج معين وصفه وصفا دقيقا (٣) :

* فحروف أقصى الفم : القاف ثم الكاف .

* وحروف أدنى الفم : الفاء والباء والميم والواو .

* وحروف وسط الفم : الحروف الأخرى عدا المتقدمة ، وتسمى بالوصف ثلاث مناطق أيضا :

أ - أصوات تتكون من التقاء طرف اللسان بأول الحنك الأعلى
مثل : ض ر ل ن .

ب - أصوات تتكون من التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا
مثل : ت د ط

---

(١) الأصوات اللغوية : ١٠٥
(٢) الكتاب : ٤/ ٤٣٣
(٣) نفسه : ٤/ ٤٣٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ج — أصوات تتكون من التقاء طرف اللسان بالثنايا من الداخـــل

مثل : س ص ز ث ذ ظ

ثالثا : وصف بحصر الأصوات بصفات اختصت بها وأطلق عليهـــا (صفات الحروف) :(١)

* فوصف (اللام) بأنها حرف منحرف : جرى فيه الصوت بانحراف اللسان معه ، ووصف (الراء) بأنها حرف مكرر ، ووصف (الشين) بالتفشي ، ووصف حروف (الصاد والضاد والطاء والظاء) بأنها : مطبقة .

رابعا : قسم الحروف (الأصوات) جميعا الى : مجهورة ومهموسة ، ثم قسمها مرة أخرى الى : شديدة ورخوة ، وحدد حروف كل قسم منها :(٢)

* فالمجهورة : " حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه ، ومنـــع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت "(٣) ، وحروفـه مجموعة في قولهم : " عظم وزن قارئ ذي جد طلب " .

والمهموس : " حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفـــس معه "(٤) ، وحروفه يجمعها قولهم : " فحثه شخص سكت " .

---

(١) الكتاب : ٤/٤٣٥

(٢) نفسه : ٤/٤٣٤

(٣) الكتاب: ٤/٤٣٤

(٤) الأصوات اللغوية : ١٣٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ومع وضوح هذه الدراسة من عالمين فذين فى مجال الأصوات ، لكنها لم تستقل بمؤلف وانما جاءت تبعا للنحو أو المعاجم .. ولذا فاننا نستطيع القول بأن " علم الأصوات قد استقل دراسة ضمن الكتب ذات الصلة الوثيقة به فى القرن الثالث ، لكنه لم يستقل تأليفا الا فى القرن الرابع على يد ابن جنى (ت٣٩٢هـ) فى كتابه الصوتى الفريد :(سر صناعة الاعراب) اذ هو أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل"(١).

على أن ابن النديم زعم(٢) أن هناك مؤلفات مستقلة فى الأصوات قبل ابن جنى كانت تحمل اسم (الأصوات) ككتاب :قطرب(ت٢٠٦هـ) والأخفش (ت٢١١هـ) والأصمعى (ت٢١٣هـ) وابن السكيت(ت٢٤٤هـ) وابن ابى الدنيا (ت٢٨١هـ) .. ولما كانت هذه كتب مفقودة لم تصل الينا فاننا لا نستطيع القطع بمادتها اللغوية ، فمن المحتمل أن تكون حكاية لأصوات الطبيعة والحيوانات أو مايطلق عليه فى لغة العرب " محاكاة الأصوات " وهو مما لا تعنى به الدراسة الصوتية .

---

(١) البحث اللغوى : ٧٧

(٢) الفهرست : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ١٠٨

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: الدراسة النحوية ::

مقدمـــــة :

قام علماء اللغة ، حفاظا على لغة التنزيل ، بوضع أسس عامة وقواعـــد منضبطة لأساليب العرب ومجارى كلامهم ، بعد أن تم لهم جمع اللغة وتدوينها وتعنى بضبط أواخر الكلمات العربية وتصحيح بنائها .

وأطلق على هذا اللون من الدراسة مصطلح "النحو والصرف" بعـد أن أصبحا علمين مميزين لهما ضوابط وقواعد ، وأول ما ورد ذلك على لســـان الخليل بن أحمد (ت : ١٧٥هـ) ويونس بن حبيب (ت : ١٨٢هـ) ، أما مـــن قبل فكانت تعرف بعلم "العربية" أو "الاعراب" [١] .

ولارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم فى النشأة والتطور ، نتحدث عنهـــا فيما يلى نشأة وتطورا وأثرا فى ضبط اللغة وصونها من الخطأ ..

الدافع اليها :

لم يقتصر الزيغ الذى طرأ على ألسنة العرب عند حدود الكـــلام العادى بل تجاوزه الى القرآن الكريم ، الأمر الذى أفزع العلماء والـــولاة وجعلهم يخشون من تحريف قد يزداد مع توالى العصور فلا يستطيعـــون رده

---

(١) أخبار النحويين : ١٣ ، طبقات ابن سلام : ١٢/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فيلحقهم بذلك اثم كبير لاهمالهم فى صيانة كتاب الله ، وقد أشرنا من قبل الى نموذج للحن فى تلاوة القرآن[١] نضيف اليه مايلى :

* روى أن اعرابيا سمع أبا الحسن يقرأ قوله تعالى :(ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا)[٢] " ولا تنكحوا ... " بفتح التاء بدل ضمها ، فقال الاعرابى : سبحان الله ! هذا قبل الاسلام قبيح ، فكيف بعده ؟ قيل : انه لحن ، والقراءة "ولا تنكحوا " بالضم ، فقال : قبحه الله ، لا تعجلوه بعدها اماما فانه يحل ماحرم الله ، وقيل ان ابن جابان علق على ذلك فقال : "وان آمنوا أيضا لم ننكحهم "[٣].

* وروى أن أعرابيا قدم فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : من يقرئنى شيئا مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل سورة "براءة "فقال : (ان الله برئ من المشركين ورسوله)[٤] بالجر ، فقال الأعرابى : أو قد برئ الله من رسوله ؟ ان يكن الله برئ من رسوله فانا أبرأ منه . فبلغ عمر مقالة الأعرابى فدعاه . فقال : ياأعرابى ، أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياأمير المؤمنين ، انى قدمت المدينة ، ولا علم لى بالقرآن ، فسألت من يقرئنى ، فأقرأنى هذا سورة " براءة " فقال : ان الله برئ من المشركين ورسوله (بالجر) ، فقلت : أو قد برئ الله الله من رسوله ؟ ان يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه .

---

(١) انظر ص ٧٨ من الرسالة .
(٢) سورة البقرة ، آية ٢٢١ .
(٣) البيان والتبيين : ٢/٢١٩ .
(٤) سورة التوبة : ٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فقال عمر رضى الله عنه : ليس هكذا ياأعرابى • فقال : كيف هى ياأمير المؤمنين ؟ فقال : " ان الله برئ من المشركين ورسوله " بالضم • فقال الأعرابى : وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم ، فأمر عمر رضى الله عنه أن لايقرئ القرآن الا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود الدؤلى أن يضع النحو "•[١] وأورد هذه القصة ابن جنى فى الخصائص،[٢] ولكنها وقعت مع الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذ هو الآمر بالوضع لا عمر كما فى رواية ابن الأنبارى •

* وروى الأصمعى قال : " سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : جاء أعرابى الى على عليه السلام فقال : السلام عليك ياأمير المؤمنين ، كيف تقرأ هذه الحروف : " لايأكله الا الخاطون " ، كلنا والله يخطو ، فتبسم امير المؤمنين عليه السلام وقال : ياأعرابى :(لايأكله الا الخاطئون)[٣] قال : صدقت والله ياأمير المؤمنين ، ماكان الله ليظلم عباده ، ثم التفت أمير المؤمنين الى ابى الأسود الدؤلى ، فقال : ان الأعاجم قد دخلت فى الدين كافة • فضع للناس شيئا يستدلون به على صلاح ألسنتهم ، ورسم له الرفع والنصب والخفض "•[٤]

---

(١) نزهة الألباء : ٨ ، ٩

(٢) الخصائص : ٢/٩

(٣) سورة الحاقة : ٣٧

(٤) الزينة : ٧٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

* وروى الجاحظ أن الحسن البصرى لحن فى القرآن فى موضعين :

فقرأ خطأ : (ص ، والقرآن — بضم النون — ، ولتنزلتهم الشياطـون — بالواو بدلا من الياء)[١] .

وضعها وواضعها :

هذا اللحن المتفشى فى الألسنة العربية والخوف منه على لغـــــة القرآن ، دفع العلماء الى أن يفكروا فى وضع ضوابط لسانية تعصم الأفواه من الوقوع فى الخطأ ، فهداهم تفكيرهم الى وضع علم "العربية" .

ويختلف العلماء اختلافا شديدا فى السابق الى هذا الوضع ، نظرا لوجود روايات متعددة عن القدماء تختلف فيما بينها فى تحديد واضع هـــذا العلم ، فيقول بعضها : انه أبو الأسود الدؤلى (ت ٦٩هـ)[٢] ، وتقـــــول أخرى : انه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت : ١١٧ هـ)[٣] ، وتقول ثالثة : انه نصر بن عاصم (ت : ٨٩ هـ)[٤] .. والى كل رواية يصير قوم ، والذيـــــن

---

(١) البيان والتبيين : ٢١٩/٢

(٢) طبقات النحويين : ١٣ ، مراتب النحويين : ٢٤ ، انباه الـــرواة : ٧/١ ، الفهرست : ٦٠ .

(٣) نزهة الألباء : ١٠ ، الفهرست : ٥٩

(٤) الفهرست : ٥٩ ، نزهة الألباء : ١٠ ، انباه الرواه : ٣٤٣/٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

يقولون : بأنه أبو الأسود ، يتقسمون على أنفسهم .. فمنهم من يرى أنه استقل بوضعه ومنهم من يرى أنه أتم وضعه باشارة من الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه (١) . وآخرون يقولون : بل الذى أشار به على أبي الأسود الخليفة عمر بن الخطاب (٢) . ويعتمد كل منهم على رواية أو أكثر تعزز مذهبه .

ولورود هذا التناقض بين الروايات وعدم امكانية الجمع بينها ، ذهب بعض المستشرقين ووافقهم بعض المحدثين الى أن النحو العربى من وضع غير العرب : من الآراميين والفرس والسريان واليونان ثم نقل الى بلاد العرب .

وممن قال بذلك : ليتمان ، فون كريمر ، وجورجى زيدان ، ومصطفى نظيف (٣) . وتوسط الاستاذ أحمد أمين بين الفريقين فقال : لا ننكر أن نسبة النحو الى أبى الأسود لها أساس صحيح اذ أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط وأنه ابتكر شكل المصحف بالنقط ، لكنه

---

(١) طبقات النحويين واللغويين : ١٣ ، الاصابة : ٢٤١/٢

(٢) نزهة الألباء : ٨

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية : ١١٥/٢ ، محاضر جلسات المجمع اللغوى بالقاهرة : ٢٤٨/٧ لعام ١٩٤٩/٤٨م .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

لم يصدق بما روى عن أوليات هذا الوضع : من أن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) دفع الى أبى الأسود رقعة مكتوبا فيها : " الكلام كله اسم وفعل وحرف ... وأن الأسماء ثلاثة ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر .. " ثم استكمل أبو الأسود وضع " أبواب : العطف ، النعت ، التعجب ، والاستفهام ، ان وأخواتها ما خلا لكن " ، فلما عرضه على "على" أمره بضم " لكن " اليها ، وكلما انتهى من شئ عرضه عليه حتى اكتملت أبوابه ، وعلل ذلك بأن طبيعة زمن على وأبى الأسود تأبى هذه التعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية ، وأن الاصطلاحات النحوية لم تظهر الا فى وقت متأخر عن ابى الأسود وعلى ، ورأى أن أبا الأسود الدؤلى هو الواضع الأول للنحو بطريقة بدائية خالية من الموضوعات المبوبة ، والتقسيمات الفلسفية .(١)

والذى يهمنا — فى هذا المبحث — هو اثبات العلاقة الوثيقة بين القرآن الكريم ونشأة هذا العلم ، وأنه بسبب الخوف على القرآن من اللحن برأت أولى الخطوات فى وضعه ثم استكملت — بعد — قواعده ، بطريقة علمية منظمة ، توافر عليها عدد غير قليل من العلماء الذين عنوا بالدراسة النحوية حتى أثمرت لنا كتبا قيمة يسطع فى سمائها كتاب العربية الخالد "كتاب سيبويه " .

---

(١) ضحى الاسلام : ٢٨٥/٢ ومابعدها .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ترجيـــح :

بالرغم من أن موضوع الدراسة لا يتأثر كثيرا بتحقيق واضع العلم والجـزم به على سبيل القطع واليقين ، فاننا لن نمر على هذه المعركة الخلافيـة دون أن ندلى برأى فيها نعتقد أنه صواب .

والواقع أننا حين رجعنا الى كتب التراجم القديمة والقريبة من عصـر أبى الأسود ،وجدنا أنها تكاد تجمع على أنه الواضع الأول والمؤسس لهـذا العلم ، ولكن أصحابها يختلفون فيما بينهم هل استقل وحده بالوضـع ؟أم شاركه الامام على (كرم الله وجهه) فى ذلك ، ونسوق فيما يلى أقوالهم :

١ — محمد بن سلام الجمحى (ت : ٢٣٢هـ) قـال : " وأول مـن أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسـود الدؤلى "(١) .

٢ — أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت : ٢٨٥هـ)قال : " أول مـن وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود ، وسئل عمن أرشده الـى الوضع فى النحو فقال : تلقيته عن على "(٢) .

---

(١) طبقات الشعراء : ١٢

(٢) طبقات النحويين واللغويين : ١٣ ، الاصابه : ٢٤١/٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

٣ — أبو الطيب اللغوى (ت : ٣٥١) قال : " كان أول من رسم النحو أبو الأسود الدؤلى .. أخذ ذلك عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب .. وكان أعلم الناس بكلام العرب ، وأبو الأسود أول من نقط المصاحف واختلف الناس اليه يتعلمون العربية وفرع لهم ما كان أصله "(١).

٤ — أبو سعيد السيرافى (ت : ٣٦٨) قال : " أول من وضع العربية أبو الأسود الديلى "(٢).

٥ — محمد بن أسحاق النديم (ت : ٣٨٠هـ) قال : " زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبى الأسود الدؤلى ، وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب "(٣).

٦ — القفطى (ت : ٦٤٦) قال : " ان أبا الأسود هو أول من استنبط النحو وأخرجه من العدم الى الوجود ، وأنه رؤى بخطه ، فاستخرجه ولم يعزه الى أحد ممن قبله "(٤).

---

(١) مراتب النحويين : ٢٤

(٢) أخبار النحويين البصريين : ١٣ ، والد يلى لغة أهل الحجاز فى النسبة الى "الدئل" . (نفسه : ٦١) .

(٣) الفهرست : ٥٩

(٤) انباه الرواه : ٧/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فهؤلاء ستة من الاعلام يؤكدون صحة ثبوت هذه النسبة الى أبى الأسود فى عدة روايات ، وان كان بعضهم يميل الى استقلال أبى الأسود بالوضع ، بينما يرى الآخرون مشاركة الامام على (كرم الله وجهه) له فى البدء أو الايحاز .

ولست أجد فى الروايات مايرجح أحدهما على الآخر ، غير أنى اذا أمعنت النظر فى الموضوع وملابساته ، وجدتنى أميل الى ترجيح وضع أبى الأسود للنحو وحده ، ولم تكن ثمة حاجة الى اشارة من أمير المؤمنين على بن أبى طالب (رضى الله عنه) وتحديد موضوعات معينة له .

لأن أبا الأسود رجل موهوب يمتاز بغزارة علمه الى جانب تقواه وصلاحه ، وغيرته على المحافظة على كتاب الله عز وجل ، حتى ولو كانت هناك اشارة من أمير المؤمنين على، فانها لا تكون بتوجيهات تتصل بعلمه وعمله .

واستثنى من الروايات ماقيه خلاف صريح لما سجله التاريخ واعتبره خطأ تاريخيا يجب تصحيحه وعدم الثقة به .. كرواية صاحب نزهة الألباء[1] التى تقول : ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى أمر أبا الأسود وليس على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ووجه الخطأ فى هذه الرواية : ان

---

(١) نزهة الألباء : ٨

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

عمر بن الخطاب لم يفد الى العراق زمن الاسلام ، والنحو انما نشأ فـــــى العراق بعد الفتح الاسلامى باجماع المؤرخين (١) .

هذا من جهة النقل ، أما العقل ، فما الذى يمنع عالما فذا ذا عقلية مبتكرة عرف بحرصه الشديد على القرآن ولغته (٢) من أن يقوم بضبط المصحـــف الشريف عن طريق النقط — كما أشرنا — ثم لايؤسس قواعد عامة — ولـــو ابتدائية — فى الأساس الذى ضبط القرآن به ؟ ولم لايكون عمله ذلك هو أساس تفكيره فى وضع الجذور الأولى للنحو العربى .

نشأتها وتطورها :

لم يتوقف الأثر القرآنى بظهور بوادر هذا العلم على يدى أبى الأسود بل استمر مع العلماء يحثهم على درء الخطر بمتابعة استكمال قواعده وتحديد ضوابطه .. يقول ابن خلدون " وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلـــك الملكة رأسا ويطول العهد بما يتعلق به القرآن والحديث على الفهـــوم ، فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة الكليات والقواعـــد

---

(١) القرآن الكريم والدراسات النحوية : ٥٧

(٢) أبو الأسود الدؤلى : ٧٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

يقيسون عليها سائر الكلام .. "[١] وهكذا ظل تأثير القرآن ملازما للنحو وعلمائه في جميع مراحله التي مر بها ، يوحي اليهم باتخاذ القرآن منارا يهتدون به في صناعة قواعدهم وضبط آرائهم ، وميزانا يحكمون به على صحة نظرياتهم ، الى أن تم نضجه واستوى على سوقه[٢] .

ولم يكد أبو الأسود الدؤلي ينتهي من وضع القواعد الأولى لهذا العلم حتى قام تلاميذه : نصر بن عاصم (ت : ٨٩ هـ)وعبسةالفيل (ت : ١٠٠ هـ تقريبا)وميمون الأقرن (ت : ٩٩ هـ) ،وعبد الرحمن بن هرمز : (ت:١١٧ هـ) ويحيى بن يعمر (ت : ١٢٩هـ) بمدارسة هذه القواعد من بعده ، والاضافة اليها بطريق الاستنباط ، توسيع المسائل ، ونشرها بين الناس خدمة للعربية لغة التنزيل ، ووظفوا ماتعلموه من قواعد بسيطة في خدمة الكتاب العزيز ، والرد بها على من يلحن فيه .. فهذا أحدهم : " يحيى بن يعمر " يراقب الحجاج بن يوسف في صحة نطقه ثم ينتقده ، فلما علم الحجاج بذلك سأله : " أتسمعني ألحن ؟ فقال له يحيى : نعم ، فس

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ٥٤٦

(٢) أثر القرآن في النحو العربي : ٦٧

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

حرف واحد . قال : فى أى ؟ قال : فى القرآن الكريم ، قال الحجاج : ذلك أشنع ، ثم قال له : ماهو ؟ قال : تقول : (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كساد ها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله ..)[١] فتقرأ (أحب) بالرفع قال الحجاج : لا جرم انك لاتسمع لى لحنا بعد هذا ، ثم ألحقه بخراسان[٢].

وواضح من هذا أن العمل النحوى فى هذه الفترة قد اقتصر على تناقل آراء أبى الأسود وأذاعتها بين الناس عن طريق الحفظ فى الصدور والرواية على الألسنة ، والاكتفاء بتهجين اللحن وذم اللحانين واعتباره هجنة للشريف ومانعا له من بعض حقوقه[٣] .. ولقرب عهد القوم بسلامة السليقة لم يؤثر أن أحدا منهم ألف كتابا فى هذا الفن سوى ماتسب الى أبى الأسود من وضعه " مختصرا فى النحو "[٤]. فلما جاء عبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى (ت : ١٢٩ هـ) " أول من بعج ، النحو ود القياس ، وشرح العلل "[٥] وزميلاه : عيسى بن عمر الثقفى (ت : ١٤٩ هـ) ، وأبو عمرو بن العلاء

---

(١) سورة التوبة : ٢٤

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١٣ ، أخبار النحويين والبصريين : ١٨

(٣) البيان والتبين : ٢/٢١٦

(٤) الشعر والشعراء : ٢/٧٣٣ ، نزهة الألباء : ٩

(٥) طبقات فحول الشعراء : ١٤

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

(ت : ١٥٤ هـ) نشط البحث في المجال النحوي ، وقامت على أيديهم أولى حركات التحليل والقياس ، لكنها لم تتسع كثيرا بل ظلت متداخلة مع علوم الأدب واللغة ، ممتزجة بهما ، موافقة لروح العصر العباسي الأول الذي نمت فيه أكثر العلوم العربية .(١)

أما التأليف في "النحو" فقد تم لأول مرة على يد عيسى بن عمر الثقفي في كتابيه (الجامع والاكمال) .. وقد وصل الينا ذكرهما على لسان الخليل حين قال :

ذهب النحو جميعا كله * غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك "اكمال" وهذا "جامع" * فهما للناس شمس وقمر (٢)

ولا نعلم شيئا عن حالهما لفقدانهما منذ زمن طويل (٣) ، ولم يتعرض لهما أحد من القدماء بالوصف أو النقل سوى هذا الثناء من تلميذه الخليل .

وينبوغ الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) في البصرة ، وظهور الرؤاسي في الكوفة ، وثب النحو وثبة قوية الى الأمام دخل بها مرحلة جديدة من

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ١٨

(٢) المزهر : ٢/٣٩٨ ، وسمى الأول منها : " المكمل " .

(٣) الفهرست : ٦٣ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

مراحل تطوره ثم فيها ، ولأول مرة ، اشتراك المصرين (البصرة والكوفة) فـــى النهوض به .. فقام العلماء باستقراء المأثور من العرب ، يقعدون القواعـــد ويسببون العلل ، واشتد بينهم التنافس الذى أدى الى ظهور حركة التأليـــف الواسعة (١) .

وكان السبق للبصرة ، اذ أخذت بزعامة الدراسات النحوية على يـــد ى أستاذ ها الكبير : الخليل بن أحمد الفراهيد ى الذ ى ساح فى الجزيـــــــرة العربية وشافه الأعراب ثم عاد الى البصرة ليستخرج مسائل النحو فبلغ الغاية فيها ، وصفه الزبيد ى بقوله : " وهو الذ ى بسط النحو ، وقد أطنا بـــــه ، وسبب علله ، وفتق معانيه ، وأوضح الحجاج فيه ، حتى بلغ أقصى حدوده ، وانتهى الى أبعد غاياته .." (٢) لكنه لم يترك لنا كتابا فى النحو ، واكتفـــى بتلقين آرائه النحوية لتلميذه النابه : " سيبويه " ، الذ ى بز أقرانه وبرع فى النحو وأوتى ملكة التصنيف فألف "الكتاب" على مثال لم يسبق اليه منتفعا فيه بآراء الخليل ، وكان الكتاب خيرا لا عجاب العلماء ، مستأثرا باهتمام القـــراء فلم يؤلف فى عصره غيره واكتفى العلماء والدارسون بالطواف حوله شرحـــــا وتعليقا واختصارا .

---

(١) نشأة النحو : ٤٠ .

(٢) المزهر : ١/ ٨٠ (نقلا عن كتابه استدراك الغلط المفقود) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

أما الكوفة : فقد تأخرت عن البصرة نحوا من مائة عام كانت مشغولة فيها برواية أشعار العرب وأيامهم ، حتى جاء أبو جعفر الرؤاسي (ت : ١٧٣هـ تقريبا) الى الكوفة قادما من البصرة — بعد أن شارك الخليل ويونس في التلقي عن شيوخهم — فأنشأ مدرسة جديدة في "النحو" وألف كتاب "الفيصل" فيه فكان أول مؤلف تداولوه بينهم (١) . وقد اطلع الخليل عليه كما انتفع به سيبويه ، روى ابن النديم وغيره : " وقال الرؤاسي : بعث الخليل الى يطلب كتابي ، فبعثت به اليه فقرأه ، وكل ما في كتاب سيبويه (وقال الكوفي كذا) فانما يعني الرؤاسي " (٢) .. وقام عنه : معاذ بن مسلم الهراء (ت : ١٨٧هـ) بوضع النواة الأولى للصرف في صورة أبحاث متميزة عن النحو ولكنها معه في كتبه ، ثم استكمل الكسائي (ت : ١٨٩هـ) والفراء (ت : ٢٠٧هـ) منهجه فعدهم المؤرخون واضعي علم الصرف (٣) .

---

(١) المدارس النحوية : ١٥٣

(٢) بغية الوعاة : ٥٥٨/١ ، معجم الأدباء : ١١٦/٥

(٣) المزهر : ٤٠٠/٢ ، نشأة النحو : ٤٣

ويرى د . ضيف : ان الصرف والنحو الكوفي بدأ حقيقيا بالكسائي وتلميذه الفراء ، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أصوله بصورة متميزة يستقل بها عن النحو البصري .

(المدارس النحوية : ١٥٤) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

شعرت الكوفة حينئذ باستقلالها فبدأت تناظر البصرة ، وكان الخلاف أول مابدأ هادئا بين الرؤاسى والخليل ، ثم اشتد التنافس واحتدم أواره بين الكسائى (فى الكوفة) وسيبويه (فى البصرة) ، وأصبح لكل مدرسة علـــم يحاز اليه أهلها ويلتفون حوله ويتعصبون له ، فصار كل فريق يسعـــى جاهدا لاحراز السبق على الآخر ، بما يتوفر له من شواهد وأدلة ، فكـــان من جراء ذلك أن انتشر هذا العلم وتفرعت أصوله ، وكثرت المؤلفات فيه غير أن الصرف لم يستقل فى كتاب الا على يد أبى عثمان المازنى (ت : ٢٤٩ هـ) فى كتابه :"التصريف " .

وبانتهاء القرن الثالث نضج البحث النحوى ، وارتقى التأليف فيـــه لدرجة لم تسمح بعدها بجديد ، حتى سماه المؤرخون طور (النضج والكمال) لتمام أصوله ، واستكمال قواعده ، وانتهاء الاجتهاد فيه بين الفريقين علـى يد الامامين : المبرد (ت : ٢٨٥ هـ) خاتم البصريين ، وثعلب (ت : ٢٩١ هـ) خاتم الكوفيين اللذين كانا آية فى العلم فى عصرهما ، قال أبو عمر الزاهـد : " سألت أبا بكر بن السراج (ت : ٣١٦ هـ) فقلت : أى الرجلين أعلـــم أثعلب أم المبرد ؟ فقال : ماأقول فى رجلين العالم بينهما "[1] ثم التقـــى العلماء فى (بغداد) فانحسر الخلاف وتلاشت النعرة الحزبية القديمة فتـــم

---

(١) معجم الأدباء : ٥/١٣٨ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

خلط المذهبين ونقدهما ثم الانتخاب منهما وكان أول من فعل ذلك ابن قتيبة (١) (ت : ٢٧٦هـ) .

وهكذا يتبين لنا أن القرآن الكريم لم يكن بمنأى عن هذه الحركة النحوية الصاعدة ، بل كان الوجه لسيرها قدما ، كما كان الدافع اليها ابتداء ، فحفز هم العلماء لخوض مسائل هذا العلم . وقد شجع من نشاطهم فى استمرار البحث والتقعيد مايرونه كل يوم من ازدياد لشيوع اللحن فى الألسنة ، فبقدر هذا الشيوع يزداد الخوف على القرآن ، فيزداد اقبال العلماء على دراسته والتأليف فيه .

ولا أدل على ذلك من أن المتتبع لآراء أولئك العلماء يجد أن أغلب شواهدهم وقواعدهم كانت تقوم على آيات القرآن الكريم ، اذ هى محور الحديث والمناقشة والمناظرة ، كما أنها أيضا الدليل القاطع الذى يدعمون به آراءهم .

---

(١) الفهرست : ٧٧

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: الكتـــــاب ::

لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر " الملقب سيبويـــه "

ت : ١٨٠ هـ

مقدمـــــة :

ظهر التأثير القرآني واضحا في دراسة النحو، فاتجهت اليه الأنظار، وانبعثت نحوه الهمم ، واشتدت به حركة التأليف فأنتجت للناس كتبا نحوية قيمـة ، تميزت بالسعة والدقة في قواعد اللغة وضوابط الصرف ، وكان في طليعة هـذه المؤلفات النحوية "كتاب سيبويه " الذي سماه بعض العلماء " قرآن النحو"

وقد آثرت أن أخصه بدراسة وافية باعتباره نموذجا لدرس النحو فـي عصـره .

توثيقـــه :

لقي هذا الكتاب عناية تامة منذ أن ألفه سيبويه ، وعرضه على أبـــي الحسن الأخفش،(١) ووكل أمر قراءته اليه ولم يطلع أحدا عليه غيره ، حتى خشـي الجرمي والمازني ، رفيقا الأخفش ، أن يستأثر بالكتاب ويدعيه لنفسه، فرغبا

---

(١) انباه الرواه : ٢/ ٣٥٠ ، مراتب النحويين : ١١٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

اليه نشره ، واستجاب لذلك[١] ، وبظهور الكتاب توافر على قراءته طائفة كبيرة من علماء عصره حملوه الى من بعدهم حتى وصل الينا موثقا[٢] .. وكان من أولئك : أبو الحسن الكسائى (ت١٨٣هـ) أقدم من اطلع عليه[٣] ، وأبو نواس (ت١٩٥هـ) ، والفراء (ت٢٠٧هـ) ، وأبو زيد الأنصارى (ت٢١٥) ، ومحمد ابن هارون التوزى (ت ٢٣٣هـ) ، وأبو حاتم السجستانى (ت ٢٥٥هـ) والجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، والمبرد (ت٢٨٥) وآخرون عدا ماذكرنا[٤] .

وقد طبع أول مرة فى باريس سنة ١٨٨١م باعتناء المستشرق "هرتويغ درنبرغ" فى مجلدين ، معتمدا فيه على سبع نسخ للكتاب .. ثم طبع مرة أخرى فى "كلكتا" سنة ١٨٨٧م بتصحيح : كبير الدين أحمد ، ثم طبع ثالثة فى "بولاق" بين عامى (١٣١٦ — ١٣١٨هـ) باشراف : محمود مصطفى ، مع شرح أبيات الكتاب للأعلم الشنتمرى ، ثم طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب بتحقيق وشرح : الاستاذ عبد السلام هارون فى خمس

---

(١) نزهة الألباء : ١٨٥ .
(٢) نفسه : ١٨٦ ، وتلقى أسانيد الكتاب لدى الأخفش بنسخ عديدة .
(٣) مراتب النحويين : ١٢٠
(٤) لمعرفة المزيد من هؤلاء : انظر (مقدمة عبد السلام هارون "المحقق للكتاب" ٢٦ — ٣٠) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

مجلدات سنة ١٩٦٦ هـ معتمدا فيه على نسخ الكتاب الأحدى عشرة[١]، وذيلـه بالكشافات والفهارس المنوعة لما يحتويه فاستغرقت المجلد الأخير منها .

اسمه ومكانته :

يبدو أن سيبويه لم يسم كتابه باسم معين لأنه عجل قبل معاودة النظر فيه واستكمال مقدمته وخاتمته واختيار اسم له على غرار مايفعله من سبقه أو عاصره ، ككتابي (الاكمال ، والجامع) لعيسى بن عمر الثقفي و (العين) للخليل . لكنه اشتهر بكتاب سيبويه أو "الكتاب" حتى أصبح اطلاق هذا اللفظ ينصرف اليه عند علماء النحو قديما وحديثا "فكان يقال بالبصرة (قرأ فلان الكتاب) فيعلم أنه كتاب سيبويه (وقرأ نصف الكتاب) ولا يشك في أنه كتاب سيبويه"[٢] وأعجب العلماء به حتى دعاه بعضهم (قرآن النحو)[٣] ، وبلغ من قيمته لديهم أن القراء كان يجعله تحت وسادته[٤] وأن القاضي أبا الحسن السعيدي الأندلسي (ت : ٥٣٦) كان يحفظه عن ظهر قلب[٥]، والفقيه عبد الله بن محمد بن وليد النحوي (ت : ٤٣٠ هـ)

---

(١) مقدمة الكتاب : ٥٤ - ٥٨ .
(٢) نزهة الألباء : ٧٥ .
(٣) مراتب النحويين : ١٠٦ .
(٤) خزانة الأدب : ١/٧٩
(٥) الصلة لابن بشكوال : ٥٥٤

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

كان يختمه في منتصف كل شهر كما يختم القرآن (١) .

مادتـــه :

انتفع سيبويه بالجهود الأصيلة التي سبقته ورسمت كثيرا من أصـــول النحو وسائله وعلله ، وكان على رأس أولئك أستاذه الخليل الذي تأثر بـه ونقل عنه كثيرا في كتابه حتى قال السيرافي : " وعامة الحكاية في كتـــاب سيبويه عن الخليل ، وكلما قال سيبويه : " وسألته " أو "قال " من غـير أن يذكر قائله فهو الخليل "(٢) ، لكنه لم يكن عالة عليه يكتفي بحشـــو آراء الخليل دون نظر ، بل لقد درس لغة العرب دراسة موسعة مفرداتهـــا وتراكيبها ، ووقف على سنن العرب ومجاري كلامهم ، فأقام المعالم ، ووضـح السبل ، وطور القياس ، وعلل المسموع ، بذهن حاد ونظر ثاقب وشخصيـــة متميزة لا تعرف المصانعة . يقول مثلا : " وزعم الخليل : أنه يجوز أن يقـول الرجل : هذا رجل أخو زيد ، اذا أردت أن تشبهه بأخي زيد ، وهـــذا قبيح ضعيف لا يجوز الا في موضع الاضطرار .."(٣) وربما انتقد المسموع أيضا

---

(١) الصلة لابن بشكوال : ٢٥٣ .

(٢) شرح السيرافي : ٤٠ ، وأحصى الاستاذ علي النجدي ناصف عـــدد مرات النقل عنه فوجدها (٥٢٢) في كتابه : " سيبويه امام النحاة "

(٣) الكتاب : ١/٣٦١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

اذا ورد بخلاف المشهور .. فيقول : " ومن العرب من يقول في ناب : نويب فيجيء بالواو ، لأن هذه الألف مبدلة من الواو أكثر ، وهو غلط منهم "[١] أو يقيد السماع بلفظ ونحوه .. فيقول : " ويكون فعلا في الاسم نحو : ابل ، وهو قليل ، لا نعلم في الأسماء والصفات غيره "[٢] ولكنه مع ذلك لا يدعي السماع لنفسه ، بل يعترف به لشيوخه ويثني عليهم فيقول : " أعلم أن كل شيء ابتدأناه في هذين البابين أولا فهو القياس . وجميع ماوصفناه من هذه اللغات سمعناه من الخليل رحمه الله ويونس عن العرب "[٣] . وبهذا وغيره نعلم أن مادة كتابه ، في جملتها دراسة لما سمع من العرب يضيف اليها عبارات من عنده يسوقها لتوضيح وجه الرأي حسنا وقبحا ، أو صحة وفسادا . كقوله : " كان عبدالله أبوه منطلق ، زيدا ضربت وعمرا مررت به ، ورأيت بني عمك ناسا منهم "[٤] ، وقد تكون عباراته مسائل افتراضية يسوقها عند الدرس أو التحليل ، من ذلك قوله " وسألته عن رجل سمى : بأولى من قوله :نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ، أو بذوى .. فقال : أقول : هذا ذوون ،وهذا أولون ، لأني لم أضف وانما ذهبت النون في الاضافة "[٥] لكنه لا يخرج عن لغة

---

(١) الكتاب : ٤٦٢/٣
(٢) الكتاب : ٢٤٤/٤
(٣) الكتاب : ٢١٤/٢
(٤) الكتاب : ١٤٨/١ ، ١٤٩ ، ١٥٠
(٥) نفسه : ٢٨٢/٣ ، ٣٦٦

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

العرب ومجارى كلامهم ، الا نادرا ، وحين يعرض له مايتطلبه ينبه على أعجميته ، أو يعقد له بابا يشير فيه الى ذلك ويكتفى به . ومن ذلك قوله : " وأما ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وهرمز وفيروز وقارون وفرعون وأشباه هذه الأسماء فانها لم تقع فى كلامهم الا معرفة على حد ماكانت فى كلام العجم ، ولم تمكن فى كلامهم كما تمكن الأول .. "(١) وكقوله أيضا تحت عنوان : " باب اطراد الابدال فى الفارسية .. ومثل ذلك تغييرهم الحركة التى فى زور وآشوب ، فيقولون : زور وأشوب وهو التخليط لأن هذا ليس من كلامهم .. "(٢)

شواهده :

لا تخرج مجالات الاستشهاد فى كتاب سيبويه عن القرآن الكريم والشعر العربى ، الى الحديث الا نادرا ،(٣) وترد فى صيغة لا تشعر بأنه حديث ، ولعل ذلك يعود الى عدم اجازته الاحتجاج بالحديث ، وعليه درج البصريون ، توهما منهم بأن الراوى قد يتصرف فى اللفظ فيخرجه عن

---

(١) الكتاب : ٣/٢٣٥ .

(٢) نفسه : ٤/٣٠٦

(٣) ورد فى الكتاب كله سبعة أحاديث فقط : انظر ١/٧٤، ٣٢٧ و ٢/٣٢ ، ٨٠، ٣٩٣ و ٣/٢٦٨ و ٤/١١٦ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

عربيته لاسيما وقد أجاز النبى صلى الله عليه وسلم رواية الحديث بالمعنى (١) .

أما القرآن الكريم فقد استشهد به كثيرا ، ولكن لايصل الى درجة الاستشهاد بالشعر .. حيث بلغت الشواهد القرآنية : ٣٧٣ شاهدا ، والشواهد الشعرية : ١٠٥٠ بيتا بما فى ذلك الأرجاز .. ألف منها عرفت نسبته الى قائله والخمسون الأخرى لم تعرف من قبل (٢) ، وقام المحدثون باستدراك بعض ذلك (٣) لكن عدم معرفة هذه القلة من الشواهد لا يضير فى صحة بناء القاعدة لأنها جاءت عن ثقة كسيبويه "والشاهد المجهول قائله وتتمته : ان صدر من ثقة يعتمد عليه قبل ، والا فلا ، ولهذا كانت أبيات سيبويه أصح الشواهد، اعتمد عليها خلف بعد سلف مع أن فيها أبياتا عديدة جهل قائلوها ، وما عيب بها ناقلوها" (٤) ويبدو أنه لجأ الى عدم النسبة فى تلك الأبيات مخافة أن يخطئ فينسب الشاهد الى غير قائله لأن بعض الشعر

---

(١) خزانة الأدب : ١/٥ و ٢٠٠ ، انظر لبسط الرأى ودليله: دراسات فى العربية ١٦٨ — ١٧٧ .

(٢) خزانة الأدب : ١/٨ ، وعزى فضل نسبة الأبيات الى أبى عمر الجرمى

(٣) انظر الكتاب : ١/٢٧، ٥٦، ١١٥، ١٢٩، ١٥١، ١٥٨، ١٦٤، ١٧١، ٣٠٨ (بتحقيق عبد السلام هارون) وقارن بالمقدمة : ٥٨

(٤) خزانة الأدب : ١/٨ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

يروى لشاعرين ، أو لانه لم يرد أن يصرح باسم الشاعر فى كتابه ، كما فى بيت بشار :

..... * وماكل مؤت نصحه بلبيب (١)

ولا يخلو الكتاب من استشهاد ببعض أمثال العرب من نحو : " تسمع بالمعيدى لا أن تراه " و "استنوق الجمل " و "أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك" و " شر أهر ذا ناب" (٢) وغير ذلك الا أنه بالنسبة الى الشعر قليل .

أسلوبـــه :

للكتاب أسلوب متميز يدركه من له ألف بالنظر فيه ، فسيبويه يصـــوغ عباراته من مفردات لا تجهل غالبا ، لكنها تخرج غامضة ، فى أكثر الأحيان . ولقد اعترف العلماء من قبل بذلك الغموض وعزوه الى طبيعة التأليف فى ذلك الزمن .. قال ابن كيسان : " نظرنا فى كتاب سيبويه فوجدناه فى الموضـع الذى يستحقه ، ووجدنا ألفاظه تحتاج الى عبارة وايضاح ، لأنه ألف فـــى زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ .." (٣) ولكن ذلك الغموض لا يصـــل

---

(١) الكتاب : ٤/٤٤١ . وانظر خزانة الأدب : ١/٤ .

(٢) الكتاب : ٤/٤٤ ، ٧١ ، ١/٢٥٦ ، ٣٢٩ . ولا تزيد أمثال الكتـــاب على الأربعين الا قليلا .

(٣) خزانة الأدب : ١/١٧٩ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الى تهويل المبرد له ، وتشبيهه بركوب البحر تعظيما له واستصعابا لما فيه[١] فقد تجد أبوابا كاملة لا تتوقف فيها ، كل لفظة تسبق الى فهم معناها[٢] ، وتجد الباب دون ذلك أو فوقه ، درجات في الوضوح أو الغموض . وثمة سبب آخر يعقد أسلوبه ، وهو اختياره مصطلحات خاصة اندثرت بزمنه ولم يكتب لهـا البقاء : كالحشو والتحقير[٣] بدلا من الصلة والتصغير . أو عدم التزامـه المصطلح وتحرره من قيوده : فمرة يعبر بالتنوين وأخرى بالنون[٤] ، ومـرة يقول : حروف القسم وأخرى : حروف الجر[٥] .. بل ربما اختار لبعض أبوابـه عنوانات طويلة لا يستدل منها على المعنى المراد الا بعد طول تأمل ونظر .. فيسمي باب "التنازع" : " باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحـد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به[٦] " ، ويترجم لباب " الاشتغـال " بقوله : " هذا باب مايكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدم أو اخر ، ومايكـون الفعل فيه مبنيا على الاسم[٧] " ، ومثله : " باب ماينتصب من المصادر لأنـه حال صار فيه المذكور[٨] " . وغيرها .

---

(١) نزهة الألباء : ٦٣ .
(٢) للمثال انظر الكتاب : ١/٨ ، ١/١٧٦ .
(٣) الكتاب : ٢/١٠٧ ، ٣/٤٥٥
(٤) نفسه : ١/١٧ ، ٩٣
(٥) نفسه : ٣/٤٩٦
(٦) نفسه : ١/٧٣
(٧) نفسه : ١/٨٠
(٨) نفسه : ١/٣٨٤

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

منهجـــه :

نظر سيبويه في أساليب العرب، ومأثور كلامهم ، فدرسه وصنفه الـى جزئيات تتشابه في الأحكام ، وطبق عليها مقاييس النحو التي تلقاها عـــن شيوخه ، فخرج بقواعد مضبطة هي غالب ما يحكم السليقة العربية ، وما جـــاء بخلافه فهو اما لغة قوم خاصة أو كان له وجه من التعليل يؤذن بشـذوذه ، فأصبحت تلك الدراسة المنهج الصافي لطالب النحو أو الصرف .

وقد بدأ سيبويه كتابه مباشرة بعلم "النحو" وثنى من بعده بعلـم "الصرف" وميزهما ، غير أنه لم يستهله بمقدمة أو ينهيه بخاتمة كمـــا جرت بذلك عادة المؤلفين ، لما ذكرنا من قبل بأنه عوجل عنه قبل أن يعيـد النظر في مسودته ويستكمل مقدمته وخاتمته . فبدأ كتابه بقوله "هذا بـاب علم ما الكلم من العربيه " تكلم فيه من أقسام الكلمة ومثل لها ثم تتابعت أبوابه لتشمل : علامات الاعراب والبناء ، والمعرب والمبنى ، والمسند والمسند اليه، وأحوال اللفظ مع معناه اتفاقا واختلافا ، والأعراض التي تصيب اللفـــظ من الحذف والاستغناء والتعويض ، وعلاقة المعنى في استقامته واحالتـــه وفي حسنه وقبحه بتأليف الكلام ونظمه ، وعما يحتمل الشعر من الضرائـــر، ممهدا بذلك للدخول في موضوعات الكتاب الرئيسية ، وقبل أن يتناولهـــا

. . . . . .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

يضع فهرسا عاما فى مقدمتها يوضح ما سيتناوله بالدراسة ويحدد مكانه فيقول فى فهرسه الأول : " هذا باب الفاعل الذى لم يتعده فعله الى مفعول ، والمفعول الذى لم يتعد اليه فعل فاعل ولا يتعدى فعله الى مفعول آخر ، ومايحمل من أسماء الفاعلين والمفعولين عمل الفعل الذى يتعدى الى مفعول ، ومايحمل من المصادر ذلك العمل ، ومايجرى من الصفات التى لم تبلغ أن تكون فى القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين التى تجرى مجرى الفعل المتعدى الى مفعول مجراها ، وما أجرى مجرى الفعل وليس بفعل ولم يقو قوته ، وما جرى من الأسماء التى ليست بأسماء الفاعلين التى ذكرت لك ولا الصفات التى هى فى لفظ أحداث الأسماء وتكون لأحداثها أمثله لما مضى ولما لم يمض ، وهى التى لم تبلغ أن تكون فى القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين ، التى تريد بها ماتريد بالفعل المتعدى الى مفعول مجراه وليست لها قوة أسماء الفاعلين التى ذكرت لك ولا هذه الصفات ، كما أنه لا يقوى قوة الفعل ما جرى مجراه وليس بفعل " .(١)

---

(١) انتقده بعض القدماء لهذه الطريقة فى توزيع الأبواب ، ورأى أنها مع تعقيدها متداخلة ليس لها نسق تجرى عليه (انظر : كشف الظنون ٢/٢٨١) ، وقد تكفل بالرد عليه الأستاذ : على النجدى ناصف ووضح صلة الارتباط بين جميع أبواب الكتاب . (سيبويه امام النحاة : ١٧٨ — ١٨٥) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ثم يعود فيتحدث عنها مفصلا أحكامها فى أبواب مستقلة تدخل أيضا تحت فهارس جزئية : ففهرس للفعل ومايشبهه : تكلم فيه عن الأفعال فى لزومها وتعديها ، وفى بنائها للفاعل أو المفعول ، وفى تنازعها واشتغالها ، وفى تعليقها والغائها ، وفى تمامها ونقصها ، وفى حذفها وذكرها ، وعن اعمال المصدر والمشتقات واسماء الأفعال •

وفهرس آخر للمنصوبات : تكلم فيه عن التحذير والاغراء ، وأنواع المفعول ، والحال •

وفهرس ثالث للتوابع : مهد له بالحديث عن المعرفة ، ثم تكلم فيه عن التوابع وجريانها على المتبوعات •

وفهرس رابع للضمائر : تكلم فيه عن مواقعها من الاعراب ، وأحوالها فى الاتصال والانفصال والتتابع والتوكيد ، ومتى تكون فصلا ومتى لاتكون •••

وهكذا حتى ينهى الكتاب بأبواب الصرف مجتمعة ، وان كان قد تناول بعض مسائله فى الكلام على ما مضى ، حينما يدعو المقام اليه استطرادا. والاستطراد منهج غالب عليه يسير معه لأدنى مناسبة ويتوسع فيه •• ولعل ذلك من سمات العصر الذى يعيش فيه ويجنح الى ربط العلوم المختلفة بعضها حينما تدعو اليها المناسبة • نمثل لذلك بقوله فى الكلام عن (كان

.....

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وأخواتها) : " ومثل قولهم ماجاءت حاجتك اذ صارت تقع على مؤنث ، قراءة بعض القراء : (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا) و (تلتقطه بعض السيارة) وربما قالوا فى بعض الكلام : ذهبت بعض أصابعه ، وانما أنث البعض لأنه أضافه الى مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يؤنثه ، لأنه لو قال : ذهبت عبد أمك لم يحسن . ومما جاء مثله فى الشعر قول الأعشى :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر القناة مؤنث "(١) .

فتراه قد انتقل من الكلام على كان وأخواتها الى اكتساب المضاف التأنيث من المضاف اليه لهذه المناسبة اليسيرة ثم مضى يتابع الكلام ويتوسع فى الاستشهاد .. ومن منهجه أيضا التعليل للمسائل التى يعرضها فى النحو أو الصرف .. مستمدا تعليلاته من مقتضى المشابهة وغلبة الكثرة وحال المخاطب ومراعاة الأصل ودفع اللبس بعيدا عن النواحى الفلسفية المعقدة التى دخلت النحو فيما بعد .. فيقول معللا امتناع اضمار فعل الغائب : " وكذلك لايجوز : زيدا ، وأنت تريد أن أبلغه أنا عنك أن يضرب زيدا ، لأنك اذا أضمرت فعل الغائب ظن السامع الشاهد اذا قلت : زيدا ، أنك تأمره هو بزيد .. فكرهوا الالتباس هاهنا .. "(٢) .

---

(١) الكتاب : ١/٥٢

(٢) الكتاب : ١/٢٥٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ويعلل لمنع الأسد ونحوه أن يكون له علم شخص كالانسان تعليلا منطقيا بسيطا فيقول : " وانما منع الأسد وماأشبهه أن يكون له اسم معناه معنى زيد : أن الأسد وماأشبهها ليست بأشياء ثابتة مقيمة مع الناس فيحتاجوا الى أسماء يعرفون بها بعضها من بعض ، ولا تحفظ حلاها كحفظ مايثبت مع الناس ويقتنونه ويتخذونه ، ألا تراهم قد اختصوا الخيل والابل والغنم والكلاب ، وماثبت معهم واتخذوه بأسماء كزيد وعمرو ؟ "(١) .

كما يعلل للممنوع من العرب في حذف (رب) وهي من الحروف الجارة التي لا تضمر ، فيقول : " ولا يجوز أن تضمر الجار ، ولكنهم لما ذكروه في أول كلامهم شبهوه بغيره من الفعل ، وكان هذا عندهم أقوى اذا أضمرت (ربما ونحوها في قولهم :

وبلدة ليس بها أنيس (٢) *

وبعد .. فهذه نظرة عجلى في كتاب النحو الأول والأوحد ، الذي طبقت شهرته الآفاق قديما وحديثا ، وعكف على خدمته نيف وخمسون عالما فذا من أهل الاختصاص ، مابين شارح له أو معلق عليه ، أو مختصر له ، أو معترض عليه ، أو مانح عنه ، أو مفسر لشواهده (٣) .

---

(١) الكتاب : ٢/ ٩٤

(٢) نفسه : ١/ ٢٣٣ ، والبيت لجران العود (انظر : خزانة الأدب : ٤/ ١٩٧) .

(٣) انظر في تفصيل هؤلاء مقدمة عبد السلام هارون للكتاب : ٣٦ — ٤١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

التفسير اللغوي

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: التفسير اللغوى ::

معنـــاه :

نريد به شرح ألفاظ القرآن الكريم التى لم يرد نص شرعى بتحديـــد المراد منها ، وفهم الأسلوب القرآنى فهما عاما بمقتضى لغة العرب الـــتى أنزل بها ، تيسيرا لاستجلاء معانى الكتاب العزيز ، ووقوفا عند حدود هـذا الدين العظيم فى عباداته ومعاملاته وشرائعه .

ويعد التفسير اللغوى لآيات القرآن الكريم أثرا من آثار القرآن فـــى دراسة اللغة العربية ، اتجهت اليه أنظار العلماء مبكرة ، فواكب الحركـــة التفسيرية منذ فجر نهضتها ، وكان له الأثر البارز فى فهم النص القرآنـــى والوقوف على معانيه واستنباط دلالاته وأحكامه ، لأن جهود العلمـــاء المبذولة لدراسة القرآن الكريم ولغته لم تكن فى جملتها الا من أجل الوصـول الى المعانى التى يتضمنها هذا الذكر الحكيم ، لكى تتضح للمسلمين أوامـــر الدين الحنيف ونواهيه .

وان جمهور الباحثين (١) ليعدون التفسير اللغوى النواة الأولى لعلـــم "التفسير" كما يعدونه ، فى الوقت نفسه ، باكورة المؤلفات الشاملة فى علـــوم اللغة .

---

(١) لمحات فى علوم القرآن : ١٤٤ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

دواعيـــه :

أنزل الله تعالى القرآن الكريم باللسان العربى المبين ، لأن المخاطبين به فى وقت نزوله قوم عرب ، جاء لدعوتهم للاسلام فلابد أن يكون بلغتهم الـتى يفهمونها ، ويدركون سرها وبلاغتها ، قال تعالى : (وماأرسلنا من رسـول الا بلسان قومه ليبين لهم)[١] ، أى ليتأتى لهم فهم لفظه ، والعمل بشرعه .

لذلك لم يكن لوجود التفسير الشامل حاجة وقت نزول كتاب الله ، سـوى ماكان يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه من توضيح لمجمل ، أو تعريف بسبب نزول ، أو بيان لناسخ أو منسوخ ، مما يتصل بالعقائد والأحكام .

أما الأمور اللفظية من مفردات وتراكيب فالقوم يدركون شأنها ، وقل مـا يتوقفون فى فهم المراد منها ، لأنهم عرب خلص جاء التنزيل بلسانهم .

يقول ابن خلدون : " ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليـب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه "[٢] .

وأما ماورد من استفسارات يسيرة من بعض الصحابة رضوان الله عليهـم عن معانى بعض المفردات فى القرآن الكريم واجابة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة ابراهيم : ٤

(٢) المقدمـــة : ٤٣٨ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

عنها بنحو : (١)

* تفسيره "الظلم" بالشرك في قول الله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)" (٢) .

* وتفسيره "الحساب اليسير" بالعرض على الله يوم القيامة في قوله تعالى : (وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) (٣) .

* وتفسيره "القوة" بالرمي في قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (٤) .

فهذا مرده الى وجود ألفاظ خاصة ذات معنى لغوي متعارف عليه عندهم ، لكن القرآن نقلها الى معنى اصطلاحي آخر دل عليه السياق ، وهو ما أطلق عليه العلماء من بعد اصطلاحا " الحقيقة الشرعية " .

وربما تكون السبب أيضا نزول القرآن ببعض ألفاظ لم تشع على نطاق الجزيرة العربية ، فتتوقف بعض القبائل في فهم المراد منها ، يؤكد لنا ذلك استشكال بعضهم لغة الرسول صلى الله عليه وسلم أحيانا فيقول أحدهم :

---

(١) الاتقان : ١٧٤/٢

(٢) سورة الأنعام : ٨٢

(٣) سورة الانشقاق ٨

(٤) سورة الأنفال ٦٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

" يارسول الله : انك لتأتينا بالكلام من كلام العرب وما نعرفه ، وانا لنحسن العرب حقا ؟ قال : ان ربى علمنى فتعلمت "(١).

ومن المسلم به أن العرب لا يستوون جميعا فى فهم القرآن ، بل يتفاوتون فى مقدرة فهمه ، واستيعاب معانيه "لأن فهم أى كتاب لا يتطلب اللغة وحدها وانما يتطلب درجة عقلية خاصة ، تتفق ودرجة الكتاب فى رقيه ، وهكذا كان شأن العرب أمام القرآن "(٢).

ثم تأكدت الحاجة لتفسير القرآن بعد أن اتسعت الرقعة الاسلامية ، وجدت فى المجتمع أمور جديدة أفسدت السلائق العربية ، وزعزعت الثقة فى الملكات اللغوية ، فكان لابد للمسلمين من فهم مراد الله بما جاء فى كتابه الكريم ليصلوا حياتهم بآدابه وأحكامه ، ولا سبيل الى ذلك ، وقد انقطع الوحى ، الا بالنقل والاجتهاد اللذين عادهما التفسير اللغوى .

نشأته وتطوره :

يعد بيان الرسول صلى الله عليه وسلم لما غمض ، وتوضيحه لما خفى من ألفاظ القرآن ومعانيه وأحكامه أول خطوة لتفسير القرآن الكريم ، يقول

---

(١) المسائل (لابن قتيبة) : ٤

(٢) فجر الاسلام : ١٩٦

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ابن تيمية رحمه الله : " يجب أن يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه ، فقوله تعالى : (لتبين للناس مانزل اليهم)[١] يتناول هذا وهذا .. "[٢] .

وهذا موضع اتفاق بين العلماء جميعا ، اذ أن المفسر الأول للقرآن هو من أنزل عليه القرآن ، لكنهم يختلفون فى القدر الذى فسره : أهو جميعه ؟ أم بعضه ؟ والمتتبع للسنة المروية عنه صلى الله عليه وسلم يلحظ بوضوح أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يستعرض آى القرآن تفسيرا كما استعرضها تلاوة ، بل كان يتوقف عند اللفظ المشكل فى أمور العقائد والغيبيات، أو الحكم الذى يحتاج الى بيان فى قضايا العبادات والمعاملات ، وذلك وفق الترتيب النزولى عليه صلى الله عليه وسلم ، ولا يجاوز ذلك حتى يعلمه أصحابه ويتدارسونه بينهم .

أما المعانى العامة للقرآن فقد ترك الأمر لمن هو أهل ليفهم من القرآن مايشاء على حسب وسعه وبمقدار ماآتاه الله من الفهم والادراك ، شريطة أن تتكامل لديه أدوات المفسر المشروعة .

---

(١) سورة النحل : آية ٤٤ ، وصدر الآية (وأنزلنا اليك الذكر ...) .

(٢) مقدمة فى أصول التفسير : ٣٤ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ولذلك صح للمفسرين أن يقدموا على خدمة كتاب الله بتفسير ألفاظه ، وحل معانيه واستنباط أحكامه بطرق مختلفة وأساليب متباينة ، ومناهج متعددة ، ولكنها جميعا تلتقى فى مصب واحد ، لأنها محاولة لفهم هذا الكتاب العزيز .

وبعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى توقف التفسير القطعى لآى القرآن لانقطاع الوحى ، ولم يبق الا التفسير المنقول عنه صلى الله عليه وسلم أو تفسير القرآن ببعضه ، أما ماعدا ذلك فقد انقسم الصحابة ، رضوان الله عليهم، حياله فريقين :

أ — فريق آثر السلامة واكتفى بالنقل عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من التفسير ، والتوقف فى حدود المسموع عنه ، وتحرج من الخوض فى كتاب الله تورعا وزهدا ، خشية الوقوع فى غير المراد ومن ثم يلحقه الاثم ، وعملا بقاعدة الاحتياط فى أمور الدين .

ومن هؤلاء : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وآخرون من كبار الصحابة رض الله عنهم أجمعين .

يروى عن أبى بكر قوله ، حينما سئل عن قوله تعالى : "وكان الله على كل شىء مقيتا "[1] . أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، ان

---

(١) سورة النساء : آية ٨٥ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

قلت في كتاب الله ما لا أعلم "[١].

وروى أنس بن مالك : " أن رجلا سأل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى : (وفاكهة وأبا)[٢] : ما الأب ؟ فقال عمر : نهينا عن التكلف والتعمق "[٣].

ب — وفريق آخر أضاف الى المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محاولة فهم القرآن بمقتضى لغة العرب لأنه عربي نزل بلغتهم ، فلاشك أن آداب العرب ومألف منهم في طريقة الكلام تساعد على فهم المراد من القرآن ، وهؤلاء جماعة من كبار الصحابة وعلى رأسهم : علي ابن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي ابن كعب ، وزيد بن ثابت .. وغيرهم[٤].

وأكثر من نقل عنه في الاستعانة بهذا المنهج : حبر الأمة وترجمان القرآن : عبد الله بن عباس رضي الله عنه الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالفقه في الدين وعلم التأويل . ويبدو — مما نقل عنه — أنه

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن : ١٨٣

(٢) سورة عبس : آية ٣١

(٣) الموافقات : ٦١/٢

(٤) ضحى الاسلام : ٢٠٢/٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

حاول تفسير القرآن جميعه ، ولذلك كثرت الروايات عنه حتى جمعهـــــا الفيروزآبادى فألف كتابا أسماه " المقباس من تفسير ابن عباس " .

غيرأنه لايمكن التسليم بكل ماورد فى هذا الكتاب وبكل ماجاء به مـــن روايات اذ أن الوضاعين قد استغلوا شهرته فى هذا الفن فزادوا عليـــــه ماشاءوا ، يقول الشافعى رحمه الله : " لم يثبت عن ابن عباس فى التفســير الا شيىء بمائة حديث [1] .. ولا أدل على ذلك مما تجده فى الكتاب مـــن روايات يناقض بعضها بعضا [2] .

وبالاجمال : نستطيع القول بأن التفسير فى عهد الصحابة كـــــان معتمدا على أمور ثلاثة :

١ ـ النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مافسره بنفسه أو وضحـــه بآيات أخر .

٢ ـ رواية الوقائع والحوادث التى شاهدوها ، ويعتمد عليها فى تفســـــير الآية .

٣ ـ الاجتهاد فى فهم القرآن بالاعتماد على ماسمع من لغة العـــــرب وأساليبهم .

---

(١) الاتقان : ٢/٢٢٥ .

(٢) ضحى الاسلام : ٢/٢٠٣ ، للفائدة انظر : التفسير والمفســرون : ١/١٥٧ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وجاءت الخطوة الثالثة فى تفسير القرآن على يد ى كبار التابعيـــن :

أمثال : مجاهد وعطاء بن أبى رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وسعيد بـــن جبير وغيرهم (١) . فاقتصر جل عمل هؤلاء على ماسمعوه ممن أدركوه من الصحابة من تفسير بالنقل أو الاجتهاد وبعضهم توقف واكتفى بالرواية فقط ، وقـــــد تضخم التفسير — فى عصرهم — بالاسرائيليات والنصرانيات لكثرة من دخل فـــى الاسلام من هؤلاء ، ولشغف النفوس بسماع تفاصيل حوادث جاءت الاشـــارة اليها فى القرآن : كبدء الخليقة وقصة أصحاب الكهف وقصص بعض الأنبيـــاء السابقين .

وتساهل المسلمون فى تحقيق ذلك لأنه لا يترتب عليه حكم شرعى ، ولما جاءت به السنة من جواز الحديث عن بنى اسرائيل بلا حرج ، وأنهم لا يكذبون ولا يصدقون .. وكثرت هذه الروايات كثرة فائقة ، فجاء عصر التدوين وسجـــل معظمها على علاتها ولكن بطريق مسند فى الغالب يعرف المتخصص عـوره ، ولم تكن القيمة كبيرة للغة نفسها ، اذ اقتصرت هذه الآثار على توضيح المعنى اللغوى باللفظ الموجز دون تأسيس القواعد أو استباط الأحكام .

لذلك كله رأينا أن التفسير لم يدون على نحو جامع الا بعد مضـــى النصف الأول من القرن الثانى ، وأول من قام بذلك عبد الملك بن جريـــــج

---

(١) ضحى الاسلام : ٢/٢٠٤ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

(ت : ١٤٩هـ) لكنه لم يصل الينا الا ذكره ، وكان أقدم مؤلف وصل تفسيره كاملا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) المسمى : " جامع البيان في تفسير القرآن "والذي استوفى خصائص التفسير الشامل ، واحتوى على منهج متكامل حاز اعجاب الدارسين ، وعول عليه من جاء بعده من المفسرين ، وبه ختم القرن الثالث .

مصادره :

يتضح لنا مما سبق أن مصادر التفسير اللغوي تعود في جملتها الى أمرين أساسيين :

١ — التفسير بالنقل : ونعني به كل ماثقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، من روايات صحيحة كانت أو منسوبة ، والذي صح منها أكثر مما لا يصح ، وان كان المنسوب كثيرا أيضا حتى قال الامام أحمد : " ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي "(١) وقد وضح مراد الامام بعض تلاميذه فقالوا : يقصد أنه ليس لها — في الغالب — أسانيد صحاح متصلة .(٢) ولذلك رأينا كثيرا من المفسرين لم يثق بما روى فاتبعه

---

(١) البرهان : ١٥٦/٢

(٢) الاتقان : ٢١١/٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

باجتهاده ، وماذاك الا لأنه لايعتقد صحته فى نفسه والا لتوقف عند النص ولم يجاوزه .

ويلحق به قول الصحابى أيضا لأنه فى منزلة المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم كما يقول الحاكم[1] ، ذلك لأن الصحابى استمع الى الرسول وشافهه وشاهد ملابسات الوحى واطلع على كثير منها ، يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : " والذى لااله الا هو ماانزلت آية من كتاب الله الا وأنا اعلم فيمن نزلت وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته "[2].

كما يلحق به أيضا أقوال التابعين ، على القول الراجح ، كسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم والحسن البصرى ومجاهد وقتادة ومقاتل بن سليمان وعطاء بن أبى سلمة ومحمد بن كعب وعكرمة وغيرهم ، لأن أقوالهم ، فى حقيقة أمرها ، مستقاة من أقوال الصحابة الأجلاء واستنباطاتهم .

---

(١) البرهان : ١٥٧/٢

(٢) نفسه : ١٥٧/٢ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

٢ — التفسير بالرأى (الاجتهاد) : وهو الذى يعتمد فيه المفسر على اعمال فكرة وتقليب نظره فى الآيات مفردة ومركبة ليعرف مدلولاتها ومراميها ، كما يقضى بذلك مطلق اللغة وسنن كلام العرب ومناحيهم فى القول ، مستعينا فيه بأسباب النزول والملابسات الأخرى التى تتصل بفهم الآية وتعين على استنباط أحكامها .. وهذا منهج شرعى سار فيه بعض أجلاء الصحابة ، كما ذكرنا ، واعتمدوا عليه فى فهم النص القرآنى ، بل أشاد به بعضهم ، ورأى أنه منحة ربانية يؤتاها البعض دون غيره : " روى البخارى فى صحيحه عن على رضى الله عنه أنه سئل : هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ ؟ فقال : ماعندنا غير ما فى هذه الصحيفة أو فهم يؤتاه الرجل " .(١)

ولعل أول من اشتهر بذلك وعرف به بين الناس : عبد الله ابن عباس ، الذى اعتبر بحق رائد هذا المنهج فى التفسير وصاحب مدرسته الأولى ، ولا غرو فانما هى استجابة من الله لدعوة خليله لابن عباس .

وعن طريق هذا المنهج نستطيع أن نفهم الخلاف الذى وجد بين الصحابة فى تفسير بعض الآيات ، اذ أنه فهم يؤتاه الرجل وقد أخذ كل بما ظهر له .

---

(١) فتح البارى : ٦/١٦٧ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وقد لقى هذا المسلك قبولا ونال استحسانا من عامة السلف وخاصتهم حتى اعتبر ركيزة هامة لا يمكن تفسير القرآن بدونها ، روى البيهقى فى (شعب الايمان) عن مالك بن أنس أنه قال : " لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر القرآن الا جعلته نكالا "(١).

ارتباطه باللغة :

ثمة ارتباط وثيق بين التفسير واللغة ، اذ أن الهداية تكاد تكون مشتركة فيهما ، فهدف كل منهما ايضاح آى القرآن وتجلية معانيه ، فالتفسير كان ولا يزال مهتما بهذا الغرض ، وان تعددت فيما بعد بحوثه وتفرعت أغصانه ، وكذلك الحال فى علم اللغة ، فقد بدأ بجمع المفردات وشرحها وتفسيرها " وكانت الغاية الأولى من ذلك فهم القرآن وشرح ألفاظه ، فظهرت مؤلفات كثيرة تجمع المفردات اللغوية ... نجد الى جانبها كتبا فى غريب القرآن وغريب الحديث "(٢).

فالعلاقة بين العلمين وثيقة والرابطة متينة لا تنفك بحال ، اذ أن لحمتها فهم القرآن على الوجه الصحيح ، وسداها معرفة خصائص لغة العرب التى

---

(١) الجامع لشعب الايمان : ١١٩/١ ، البرهان : ١٦٠/٢

(٢) فقه اللغة وخصائص العربية : ٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

بها نزل القرآن • ولذلك حق لبدر الدين الزركشى أن يوجب على المفسر معرفة علم اللغة ، حيث قال : " ومعرفة هذا الفن ، وهو علم اللغة ، للمفسر ضرورى ، والا فلا يحل له الاقدام على كتاب الله تعالى ، قال يحيى بن فضلة المدينى : سمعت مالك بن أنس يقول : لا أوتى برجل يفسر كتاب الله عز وجل غير عالم بلغات العرب الا جعلته نكالا • وقال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله اذا لم يكن عالما بلغات العرب • وروى عكرمة عن ابن عباس قال : اذا سألتمونى عن غريب اللغة فالتمسوه فى الشعر ، فان الشعر ديوان العرب ، (١) وقد أحسن الأصوليون صنعا اذ جعلوا معرفة العربية والتمكن منها شرطا أساسيا من شروط الاجتهاد فى الفقه الاسلامى • (٢)

أقسامه :

تنقسم التفاسير المتأثرة بالجوانب اللغوية حتى نهاية القرن الثالث قسمين :

---

(١) البرهان فى علوم القرآن : ٢٩٢/١ •

(٢) الموافقات للشاطبى ١١٥/٤ ، الاجتهاد : ١٦٨ •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الأول : مايتعلق بمفردات اللغة وشرح ألفاظها ، وتعرف بكتـــــب " غريب القرآن ولغاته " .

الثانى : مايتعلق بالتراكيب ومسائل الاعراب ، واصطلحوا علـــــى تسميته يكتب " معانى القرآن " .

ولصلتهما الوثيقة بعلم اللغة ، وتأثرهما الشديد بالقرآن ، آثـــــرت أن أخصهما فيما يلى بالتوضيح والبيان .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

أولا : ((غريب القرآن))

المراد بالغريب :

الغريب فى اللغة : الغامض الذى يخفى معناه على سامعـــــه ، بخلاف الواضح الفصيح .. قال الزمخشرى فى أساس البلاغة : " وتقـــول : فلان يغرب كلامه ويغرب فيه ، وفى كلامه غرابة ، وغرب كلامه ، وقد غربـــت هذه الكلمة : أى غضت ، فهى غريبة ".(١)

ولكن هل يعقل أن يكون فى الكتاب الذى جاء للاعجاز والتشريع غموض وخفاء على من أنزل عليهم ؟ لا يتصور ذلك ولا يمكن أن يكون ! ومع هذا فهـو استشكال وارد على البعض وخير من أجاب عنه اجابة شافية المرحوم مصطفـى صادق الرافعى حين قال : " فى القرآن الكريم ألفاظ اصطلح العلماء علـى تسميتها بالغرائب ، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة ، أو نافرة ، أو شاذة ، فان القرآن منزه عن هذا جميعه ، وانما اللفظة الغريبة هاهنا هى الـــتى تكون حسنة مستغربة فى التأويل بحيث لا يتساوى فى العلم بها أهلها وسائـر الناس "(٢) .. وسبب وجوده ، كما قدمنا ، اما لأنه لغة قبيلة فيخفى معنـــاه

---

(١) أساس البلاغة (غ ر ب) .

(٢) اعجاز القرآن للرافعى : ٧١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

على أفراد القبائل الأخرى ، أو لورود هذه اللفظة على وجه من الاستعمال يخرجها مخرج الغريب كالظلم والكفر والايمان والصلاة ونحو ذلك مما نقل عن مدلوله في لغة العرب الى المعاني الاسلامية المحدثة .

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم منه :

لم يكن الغريب مستحدثا في عهد التابعين أو العهود التي جاءت بعدهم ، بل منذ نزل القرآن وفيه كلمات تحتاج الى بيان فكان الرسول صلى الله عليه وسلم — بما علمه ربه — يقوم بتفسيرها وتوضيحها ، اذ هو المفسر الأول لكتاب الله والموضح لأحكامه ، بل لقد ورد عنه الاهتمام بغريب القرآن والاعتناء به والحض على فهمه .. أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه "[1] ، ومن الواضح أن اعراب القرآن هنا غير مراد به الاصطلاح النحوي — اذ لم يكن معروفا انذاك — ، ولكن المراد منه : معرفة ألفاظ القرآن وفهم معانيه .

---

(١) الاتقان : ١١٥/٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

مدرسة ابن عباس :

لم يكتف الصحابة بما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم بـــل أعملوا أفكارهم فى تفهم ألفاظ القرآن والاستعانة بالشعر العربى على توضيـح الغريب منه ، وكان رائد الصحابة فى هذا المنهج الصحابى الجليل عبد الله ابن عباس ، رضى الله عنهما ، ولم يكن مبتدعا فى ذلك بل متأسيا بالمنهـاج الذى قرره الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر به .

روى ابن عباس أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أى علم القرآن أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : عربيته . فالتمسوها فـــى الشعر " .(١)

يدلنا على تأسيه بهذا الحديث ، صنيعه فيما نقل عنه ، واجابته لمن سأله عن غريب القرآن فقال : " التمسوه فى الشعر ، فان الشعر ديـــوان العرب " .(٢)

ونقلت عنه روايات متعددة تدل على أنه كان يستعين بكلام العرب — المنثور منه والموزون — على فهم غريب القرآن فلم يقتصر على الشعر وحـــده من ذلك :(٣)

---

(١) مقدمتان فى علوم القرآن : ٢٦١

(٢) البرهان فى علوم القرآن : ٢/ ٢٩٣

(٣) للمزيد انظر البرهان : ٢/ ٢٩٣ ، والاتقان : ٢/ ١٥٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

قوله رضى الله عنه : " ماكنت أدرى ما قوله تعالى : (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)[1] ، حتى سمعت ابنة ذى يزن الحميرى وهى تقول أفاتحك ، تعنى أقاضيك .

وقوله أيضا : ما كنت أدرى ما فاطر السموات والأرض ، حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، يعنى أبتدأتها .

وجاءه رجل من هذيل فقال له ابن عباس : مافعل فلان ؟ قال : مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء . فقال ابن عباس : (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب)[2] الوراء : ولد الولد .

وقد أثار هذا المسلك من ابن عباس رضى الله عنه تساؤلا بين العلماء هل يصح الاستشهاد بالشعر على القرآن ، وقد ذم الله الشعر فيه ؟ وألا يفسر هذا الصنيع بأن من يقوم به يجعل الشعر أصلا للقرآن فيحتج به عليه ؟!

للاجابة عن هذا التساؤل نكتفى برواية الحقيقة الناصعة التى تفضل بها أبو بكر الأنبارى فى الرد على من فهم هذا الفهم الخاطئ — قال : " قد

---

(١) سورة الاعراف : ٨٩

(٢) سورة هود : ٧١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

جاء عن الصحابة والتابعين ، كثيرا ، الاحتجاج على غريب القرآن ومشكلـــــه بالشعر ، وأنكر جماعة ، لا علم لهم ، على النحويين ذلك ، وقالوا : اذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن • قالوا : وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم فى القرآن والحديث •

قال : وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن ، بـل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر ، لأن الله تعالى قـــال : (انا جعلناه قرآنا عربيا)(١) وقال : (بلسان عربى مبين)(٢) وقال ابن عباس : الشعر ديوان العرب • فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله اللـــه بلغة العرب رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه ••(٣) "

وقد أشرنا من قبل ، فى فصل الرواية اللغوية(٤) ، الى أن الاسلام حـول الهدف من رواية الشعر الجاهلى الى وجهة حسنة تتفق وتعاليم الاســـلام السمحة ، فليس المراد منه اذا مجرد الاشباع الفنى ، كما كان فى الجاهلية، بل الاستعانة به على فهم القرآن فقط • ثم ان الشعر ليس كله مذمومـــا ، بل ماكان فيه عداء للاسلام أو مخالفة صريحة لآدابه وقواعده العامة فهـــو

---

(١) سورة الزخرف : آية ٣
(٢) سورة الشعراء : آية ١٩٥
(٣) معجم غريب القرآن : ٢٣٤
(٤) انظر ص .. من الرسالة •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المذموم ، وأما ماعدا ذلك فلا ضير فيه ، وبذلك نفهم الاستثناء الوارد في آية الشعراء : (... الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا) . الآية .(١)

علاوة على ماذكر فان صاحب هذا المنهج صحابي جليل لايصح لنا أن نخطيء فعله بل نحاكيه ونقلده فهو من الصحابة الذين أمرنا باتباع نهجهم والاقتداء بأفعالهم وأقوالهم ، فكيف اذا ماعلمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد خصه بدعوة الفقه في الدين وحسن التأويل ، لاشك أن ذلك مما يطمئننا كثيرا على سلامة هذا المنهج السديد . ونروي هنا قصة وقعت لابن عباس في أطهر بقعة ، في المسجد الحرام ، وكيف كان تصرفه ؟ .

نقل السيوطي عن ابن الانباري في كتاب "الوقف" بسنده المتصل الى عبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال : " بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة ، قد اكتنفه الناس ، يسألونه تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا الى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به .

---

(١) سورة الشعراء : آية ٢٢٧

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فقاما اليه فقالا : انا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بصادقة من كلام العرب ، فان الله تعالى انما أنزل القرآن بلسان عربى مبين • فقال ابن عباس : سلانى عما بدا لكما •

فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين)(١)

قال : حلق الرفاق • قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم • أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون اليه حتى * يكونوا حول منبره عزينا

قال : أخبرنى عن قوله (وابتغوا اليه الوسيلة)(٢) •

قال : الوسيلة الحاجة • قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم أما سمعت عنترة وهو يقول :

ان الرجال لهم اليك وسيلة * أن يأخذوك تكحلى وتخضبى

ثم ساق بقية المسائل على هذا المنوال ، وختمها بقوله : " وهى اسئلة مشهورة أخرج الأئمة أفرادا منها بأسانيد مختلفة الى ابن عباس "(٣) •

---

(١) سورة المعارج : ٣٧

(٢) سورة المائدة : ٣٥

(٣) الاتقان فى علوم القرآن : ٢/١٢١ — ١٣٤ •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المؤلفات في غريب القرآن :

اذا تجاوزنا ما نسب الى ابن عباس من روايات متناثرة تفسر غريب القرآن ، ولم نعتد بكتاب (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) الذي استخرجه الفيروزآبادي وقال عنه ابن النديم انه أول كتاب ألف في تفسير القرآن نجد (١) :

١ — أن أقدم من نصت المصادر على تأليفه كتابا في غريب القرآن هو : أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت : ١٤١هـ) وصفه ياقوت الحموي بقوله : " وصنف — أي أبان البكري — كتاب " الغريب في القرآن " وذكر شواهده من الشعر ، فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي فجمع من كتاب أبان ومحمد بن السائب وأبي روق عطية بن الحارث ، فجعله كتابا فيما اختلفوا فيه وما اتفقوا عليه . فتارة يجيء كتاب أبان مفردا ، وتارة يجيء مشتركا على ما عمله عبد الرحمن " (٢) .

غير أنه فقد فلم يصل الينا .

---

(١) الفهرست : ٥٠

(٢) معجم الأدباء : ١٠٨/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ أن أبا فيد مؤرج السدوسى (ت ١٩٥هـ) ألف فى غريب القرآن، وذكر الخطيب أن أهل مرو قد رووه عنه (١) .

٣ـ٨ ـ أنه فى القرن الثالث ألف فى الموضوع نفسه كل من : أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى (ت ٢٠٢هـ) ، والنضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ) وأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت : ٢١٠هـ) والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت : ٢١١هـ) ونسب السيوطى للأصمعى (ت ٢١٣هـ) كتابا فى غريب القرآن ، ولكن لما عرف عنه من التحرج الشديد من التعرض لألفاظ القرآن يبدو أن النسبة لا تصح (٢) ، وأبى عبيد القاسم بن سلام (ت : ٢٢٤هـ) وقال ياقوت من كتاب القاسم انه " منتزع من كتاب أبى عبيدة (٣) " ، ومحمد بن سلام الجمحى (ت ٢٣١هـ) وأبى عبد الرحمن عبد الله بن محمد ـ المعروف بابن اليزيدى (تلميذ الفراء) ، وأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، وفى ختام القرن الثالث ألف ثعلب (ت ٢٩١هـ) كتابا فى الموضوع نفسه وصفه ابن النديم بأنه " لطيف (٤) " ، ولا تزال كتبهم جميعا فى عداد المفقود الى الآن (٥) ، اذ لم يصل الينا الا كتابا أبى عبيدة وابن قتيبة ، ولذا سنفرد هما بالحديث .

---

(١) تاريخ بغداد : ١٣ : ٢٥٨

(٢) المعجم العربى : ١/ ٤٠ (٣) معجم الادباء : ١٦/ ٢٥٥

(٤) الفهرست : ٧٤ (٥) المعجم العربى : ١/ ٤٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: مجاز القــرآن ::

لأبى عبيدة معمر بن المثنى " ت : ٢١٠ هـ "

الدافع الى تأليفه :

ألفه أبو عبيدة فى سنة (١١٨هـ) بعد عودته الى "البصرة" مــن مجلس الوزير الفضل بن الربيع (ت ٢٠٨هـ) متأثرا فيه بسؤال أحد كتابه فى المجلس (١).

ولأهمية هذا الدافع فى بروز الكتاب الى حيز الوجود ، أروى القصــة كاملة على لسان أبى عبيدة نفسه .. قال : " أرسل الى الفضل بن الربيــع بالبصرة فى الخروج اليه فقدمت عليه ، وكنت أخبر عن تجبره ، فأذن لــى ، فدخلت عليه وهو فى مجلس طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه ، وفــى صدره فرش عالية لا يرتقى اليها الا بكرسى ، وهو جالس على الفرش ، فسلمت عليه بالوزارة ، فرد وضحك الى واستدنانى حتى جلست معه على فرشه .

ثم سألنى وبسطنى وتلطف بى وقال : أنشدنى ، فأنشدته من عيون أشعار أحفظها جاهلية ، فقال : قد عرفت أكثر هذه وأريد من ملح الشعر ، فانشدته ، فطرب وضحك وزاد نشاطا .

---

(١) معجم الأدباء : ١٩/١٥٨ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ثم دخل رجل فى زى الكتاب وله هيئة حسنة ، فأجلسه الـــى جانبى ، وقال له : أتعرف هذا ؟ قال : لا . فقال : هذا أبو عبيـدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه ، فدعا له الرجل وقرظه لفعلـه هذا .

ثم التفت الى وقال : كنت اليك مشتاقا ، وقد سئلت عن مسألـــة ، أفتأذن لى أن أعرفك اياها . قلت : هات . فقال : قال الله تعالـى : "طلعها كأنه رؤوس الشياطين"(١) ، وانما يقع الوعد والايعاد بما عرف مثله ، وهذا لم يعرف . قال : فقلت انما كلم الله العرب على قدر كلامهم ، أمـا سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا بـه .. فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل ، وأزمعت منذ ذلك اليـوم أن أضع كتابا فى القرآن لمثل هذا وأشباهه ، ولما يحتاج اليه من علمه ، ولمـا رجعت الى البصرة عملت كتابى الذى سميته " المجاز " وسألت عن الرجـل فقيل لى : هو من كتاب الوزير وجلسائه "(٢) .

---

(١) سورة الصافات : ٦٥

(٢) وفيات الأعيان : ٦/٥ ٢٣ ، وسماه (فى معجم الأدباء ١٩/١٥٩) بابراهيم بن اسماعيل الكاتب .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

والواضح من هذه القصة أن سؤال الكاتب كان دافعا مباشرا لتأليف الكتاب الذى عقد أبو عبيدة الحزم على الشروع فيه ، وأنه سيختار من القرآن مايشكل على أغلب الناس فهمه مما له تعلق بأسلوب العرب وطريقة كلامهم .. وأنه سيسميه "المجاز"، غير أن الكتاب الذى بين أيدينا يحمل هذا الاسم، لا نلحظ فيه ذلك الاتجاه الذى اختطه أبو عبيدة وعقد الحزم على تنفيذه ، اذ لا يعدو أن يكون كتابا للغريب فى أخص خصائصه .

من هنا يساورنى الشك فى حقيقة اسم هذا الكتاب : أهو "مجاز القرآن" كما يرجح المحقق ؟ (١) وأن المؤلف قد خالف عند التنفيذ ماكان قد عزم عليه ، فاستعرض آى القرآن على ترتيبها فى المصحف وانتخب من الآيات مايشكل فهم معناه ففسره بلغة العرب واستشهد عليه من مأثور شعرهم ، ولم يحفل بالصور البيانية ، والاستعمالات البلاغية ، فاتسعت بذلك دائرة "المجاز" (٢) لتشمل التقدير والتأويل والتفسير بأوسع معانيه ؟ أم أن هذا هو "غريب القرآن" الذى ألفه ، ونقله عنه ابن النديم ومن جاء بعده (٣) ، وأن كتاب

---

(١) المقدمة : ١٨

(٢) لم يكن أبو عبيدة يعنى بهذه الكلمة المعنى المتعارف عليه عند البلاغيين ، فيما بعد ، وهو مايقابل الحقيقة . ولذلك فقد وقع فى هذا الخطأ بعض الباحثين المعاصرين فعدوه أول مؤلف فى المجاز الاصطلاحى ، اعتمادا على اسمه دون الاطلاع عليه .

(انظر الدراسات النحوية : ٢٤٥ ، ومقدمة المحقق : ١٩)

(٣) الفهرست : ٧٩ ، وفيات الاعيان : ٣٣٨/٥ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

"المجاز" قد فقد من بين عشرات كتبه التى لم تصل الينا ؟! اذ أن الصورة البيانية التى رأيناها فى جوابه عن سؤال السائل لاتعرض كثيرا فى هـــذا الكتاب ان لم نقل بفقدانها ٠

حتى ان الآية الخامسة والستين من سورة الصافات ، والتى كانت الدافـع المباشر لتأليف أبى عبيدة كتاب "المجاز" لم ترد فى النسخة المطبوعة ، وقد اتفقت نسخ الكتاب الأربع المخطوطة على ذلك ، اذ لم يشر المحقق الـــى اختلاف بينها فى موضعه ، (١) وهذا مايرجح جانب الشك لدى فى حقيقة اسم هذا الكتاب ٠٠ والى ان يفصح لنا الزمن بأدلة قاطعة تؤكد هذا الزعم أو تنفيه نظل على القول السائد المشهور ٠

روايتـــه :

لقد وصل الينا الكتاب ، برواية أبى الحسن على بن المغيرة الأثـــرم (ت : ٢٣٢ هـ) عن طريق ابى الحسن على بن عبد العزيز ، وأبى محمد ثابت ابن ابى ثابت عبد العزيز ، ومن نسخ هاتين الروايتين طبع الكتاب محققا فى جزأين ، (٢) أما الروايات الأخرى وهى رواية ثعلب عن الأثرم ، ورواية ابى سعيد

---

(١) المجاز : ٢/١٧٠ (من آية ٦٣ الى ٦٧) مباشرة ٠

(٢) قام بتحقيقه ومعارضة أصوله ـ الدكتور فؤاد سزكين ، ونشرته مكتبـــة الخانجى ودار الفكر بالقاهرة : ١٩٥٤ ، ١٩٦٢م ٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

السكرى عن أبى حاتم السجستانى ، ورواية رفيع بن سلمة وأبى عبد الله بن محمد التوزى فلا نعرفها الا عن طريق ماروى عنها من الكتب والمصادر القديمة (١)

مادتـــه :

الكتاب فى جملته يسير على مبدأ الانتخاب من الآيات الكريمات مرتبة داخل السور وفق ترتيبها فى المصحف الشريف ، وما اختل من ذلك عنى المحقق باعادته الى موضعه الطبيعى ، فبدأ بسورة الفاتحة واختتم بالناس ..وانتقى من الآيات بعض الكلمات التى يرى فيها غرابة أو اشكالا فيفسره ، وغالبا ما يقدم لفظ " ومجازه كذا " غير أنه لايلتزمه ، فيعدل عنه الى " وتفسيره كذا .. وتأويله كذا " أو يقول مثلا : " هدى للمتقين أى بيانا للمتقين " وربما أعقب اللفظ المراد شرحه بما يرادفه غير مسبوق بشئ .. كقولـــه : " لا ريب فيه ، لاشك فيه "(٢) ، ويتسم منهجه بالاختصار فى الشرح غالبا ، فقد يتفق ألا يزيد تعليقه على كلمة واحدة(٣) تساوى الكلمة المشروحة فى معناها ، وكثيرا مايستشهد للمعنى الجديد بشعر محتج به ، ولا تكاد تخلو كلمة من غـــير

---

(١) فهرست ابن خير : ٥٩ .

(٢) مجاز القـــرآن : ١/٢٩

(٣) انظر للمثال : ١/٢٢٥ ، ٢٧٥ ، ٣٣٠ وغيرها .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

شاهد ، وربما عدل عنه الى ضرب المثل (١) ، أو أردفه به ، وقد يستدل للمراد من الآية بآية أخرى من القرآن أو بحديث نبوى شريف (٢) ، وقد يستطرد فيشرح الشاهد أو المثل فيذكر المعانى المتعددة له ويستشهد لها بالشعر أيضا (٣) . ومن ذلك تفسيره لكلمة "المفلحون" فذكر معناها اللغوى واستشهد لها بشعر لبيد بن ربيعة وعبيد بن الأبرص ثم استمر يشرح معانى "الفلاح" المتعددة ومشتقاتها واستدل على تلك المعانى بأبيات شعرية (٤) .

ويبدو أنه لا مانع لديه من تكرار الشاهد فى مواضع متفرقة اذا دعت المناسبة ووجد وجها للاستشهاد ، فقد استشهد ببيت خفاف بن ندبة الآتى :

فان تك خيلى قد أصيب صميمها * فعمدا على عين تيممت مالكا

اقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انى أنا ذلكا

على طريقة العرب فى مخاطبة الشاهد بلفظ الغائب ، ثم أعاد الاستشهاد بالبيت الأول عند آية "ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون" (٥) للدلالة على أن معنى التيمم : العمد .. وغيره كثير (٦) واذا كانت هناك لغة عربية أو غير عربية (٧)

---

(١) مجاز القرآن : ١/ ٢٣ ، ٣٠٣، ٢/ ١٢٠، ٢٧٦ .
(٢) نفسه : ١/ ٧٧، ١٠٠/ ٢/ ٦٥ ، ٩١، ٢٠٨ وغيرها .
(٣) نفسه : ١/ ٥٢، ٥٣ .
(٤) المجاز: ١/ ٢٩ — ٣١
(٥) البقرة : آية ٢٦٧
(٦) مجاز القرآن : ١/ ٢٨ ، ٨٢
(٧) مجاز القرآن : ١/ ٢٠، ٢١، ٣٤

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

يشير اليها ، فهو يقول مثلا : " ولم يصرف ابليس لأنه أعجمي "[١] لكنه لا يعترف بوجود المعرب في القرآن بل وينكر على من يقول ذلك — كما نقل عنه ابن فارس والزركشي والسيوطي انكاره وقوع المعرب في القرآن[٢] .. يؤيد ذلك قوله في صدر هذا الكتاب : " نزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، ومن زعم أن "طه" بالنبطية فقد أكبر "[٣] ، ثم نبه الى أن ما جاء من نحو استبرق ، وسجيل ، ونحوهما فهو مما وافقت لغة العرب لغة غيرهم[٤] .

ولم يخل حديثه في المقدمة من نظرات لغوية وبيانية عارضة اكتفى بالاشارة اليها دون الخوض في قواعدها وجزئياتها فهو يقول بصفة عامة : " فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن ، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه ، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الاعراب ، ومن الغريب ، والمعاني "[٥] ، ثم ذكر نماذج[٦] لأساليب العرب وطريقة كلامهم وشواهد هذا

---

(١) مجاز القرآن : ١/٣٨

(٢) البرهان : ١/٢٨٧ ، والاتقان : ١/١٣٧ ، المزهر : ١/٢٦٦ ، المعرب من الكلام الأعجمي (مقدمة المحقق) : ٤

(٣) مجاز القرآن : ١/١٧

(٤) نفسه : ١/١٨

(٥) نفسه : ١/٨

(٦) نفسه : ١/٨ — ١٦

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

من القرآن الكريم ، ونمثل لها بما يلى :

* مجاز ما اختصر وفيه مضمر ، قوله تعالى : " وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا "(١).

* مجاز ما حذف وفيه مضمر ، قوله تعالى : " وسل القرية التى كنا فيها " الآية (٢).

* مجاز ما عبر بلفظ المفرد عن الجمع ، قوله تعالى "ثم يخرجكم طفلا "(٣).

وعكسه قوله تعالى : " والملائكة بعد ذلك ظهير "(٤) وقوله تعالى : " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم "(٥).

* مجاز ما جاء لفظه لفظ الجمع الذى له مفرد ، ووقع معنى الجمع على المثنى ، قوله تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما "(٦).

---

(١) سورة ص : آية ٦ .. والمعنى : (وتواصوا أو تنادوا أن امشوا ..)

(٢) سورة يوسف : آية ٨٢ .. والقراءة السمحية باثبات الهمزة (واسأل) والمعنى : أى أهل القرية .

(٣) سورة الحج : آية ٥ .. أى أطفالا .

(٤) سورة التحريم : آية ٤ .. أى ظهراء .

(٥) سورة آل عمران : آية ١٧٣ .. والمتكلم رجل واحد هو : نعيم بن مسعود .

(٦) سورة المائدة : آية ٣٨ .. والمعنى : يديهما .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

* ومن مجاز ماجاء لا جماع (أى : جمع) له من لفظه ، فلفـــــظ الواحد منه ولفظ الجميع سواء .. قوله تعالى : " حتى اذا كنتم فى الفلـك وجرين بهم بريح طيبة "(١) .

* ومن مجاز ماجاء من لفظ الاثنين ثم جاء خبرهما على لفظ خـــــبر الجميع ، قوله تعالى : " ائتيا طوعا أو كرها قلنا أتينا طائعين "(٢) .

* ومن مجاز ماجاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس ، قوله تعالى : " رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين "(٣) .

* ومن مجاز ماجاءت مخاطبته مخاطبة الغائب والمراد الشاهـــد ، قوله تعالى : " ذلك الكتاب "(٤) .

* ومن مجاز ماجاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ، ثم عدل عنه الـــى مخاطبة الغائب قوله تعالى : " حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم "(٥) .

---

(١) سورة يونس : آية ٢٢ .. فالفلك مفرد وجمع (ولا واحد له مـــن لفظه) .

(٢) سورة فصلت : آية ١١ .

(٣) سورة يوسف : آية ٤ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢ .. والمعنى : هذا الكتاب .

(٥) سورة يونس : آية ٢٢ .. والمراد : بكم .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

* ومن مجاز المكرر للتوكيد قوله تعالى : " تبت يدا أبى لهب وتب "(١)

* ومن مجاز المقدم والمؤخر ، قوله تعالى : " فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت "(٢) .

* ومن مجاز مايحول خبره الى شئ من سببه ويترك خبره قوله تعالى : " فظلت اعناقهم لها خاضعين "(٣) .

* ومن مجاز المصدر الذى فى موضع الاسم أو الصفة .. قوله تعالى : " ولكن البر من آمن بالله "(٤) .

* ومن مجاز تناوب الأدوات عن بعضها .. قوله تعالى : "ولأصلبنكم فى جذوع النخل "(٥) .وقوله تعالى : " اذا اكتالوا على الناس يستوفون "(٦) .

---

(١) سورة المسد : آية ١

(٢) سورة الحج : آية ٥ .. ورب النبات : زاد وعلا ، واهتز : تحرك لنضارته (المفردات : ١٨٧) .

(٣) سورة الشعراء : آية ٤ .. والمراد : فظلت اعناقهم خاضعة لها .

(٤) سورة البقرة : آية ١٨٩ .. والمراد : البار .

(٥) سورة طه : آية ٧١ .. والمراد على جذوع النخل .

(٦) سورة المطففين : آية ٢ .. والمراد : من الناس .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

* ومن مجاز ماأظهر من لفظ المؤنث ثم جعل بدلا من المذكر فوصف بصفة المذكر بغير الهاء قوله تعالى : " والسماء منفطر به "(١) .

* ومن مجاز التنبيه بتغليب أحدهما على الآخر ، قوله تعالى : " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان "(٢) .

* ومن مجاز مايحتمل وجوه الاعراب قوله تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما "(٣) . ثم يعيد القول فيها مرة أخرى اذا دعت المناسبة ويفصل بعض التفصيل(٤) .

كما أنه يشير الى الاستئناف والقطع اذا ترتب عليه معنى(٥) ، والى الكناية والتشبيه بمعناهما العام ، ومن ذلك قوله : " نساؤكم حرث لكم(٦) : كناية وتشبيه "(٧) .

---

(١) سورة المزمل : آية ١٨ ، والمعنى — عنده — جعلت السماء بدلا من السقف بمنزله تذكير البيت .

(٢) سورة الرحمن : آية ٢٢ ، واللؤلؤ والمرجان انما يخرجان من البحر دون الفرات العذب .

(٣) سورة النور : آية ١ ، فتحتمل الرفع والنصب .

(٤) للمثال انظر : المجاز ١ / ٢٣ ، ٣١ ، وغيرها .

(٥) المجاز : ١ / ٣٢

(٦) سورة البقرة : ٢٢٣

(٧) المجاز : ١ / ٧٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وهو يقول بالترادف والتضاد والاشتراك اللفظى فى مجال الألفـــاظ ولا يرى بذلك بأسا ، طالما أن لغة العرب جاءت به ، فيقول مثلا : "مهـاد أى فراش وبساط" و "بسيماهم" أى بعلاماتهم"[١] ، ولم يلحظ فروقا دقيقة بين المعانى كما يتصوره المانعون[٢] ويقول عن التضاد : " فما فوقها : فما دونها فى الصغر"[٣] " وبقرة صفراء : أى : سوداء "[٤] " ولباس لكم : أى فراش " ويستشهد لذلك بقول الجعدى رضى الله عنه :

تثنت عليه فكانت لباســا[٥]

وغير ذلك كثير[٦] .

ويقول بالاشتراك اللفظى ، ويؤوله بتأويل لطيف يجمع بين معـــنى اللفظين فى معنى عام ، انظر اليه وهو يفسر معنى القرء : اذ يقـــول " فجعله بعضهم الحيضة ، وجعله بعضهم الطهر ... ثم قـال : وكل قد أصاب ، لأنه خروج من شىء الى شىء ، فخرجت من الطهر الى الحيض

---

(١) المجاز : ١/ ٢١٤ ، ٢١٥ وغير ذلك كثير .

(٢) مانعو الترادف : يلتمسون فروقا دقيقة بين الكلمات التى يعدها غيرهم من المترادفات . (اللهجات العربية : ١٧٤) .

(٣) المجاز : ١/ ٣٥

(٤) نفسه : ١/ ٤٤

(٥) نفسه : ١/ ٦٧

(٦) نفسه : ١/ ٣٩ ، ٧١ ، ٧٤ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ومن قال : بل هو الطهر فخرجت من الحيض الى الطهر[١] فهو يشير الى المعنى الذى يدل عليه القرء حيث كان فى الأصل عاما غير محدد وهو الخروج من حالة الى أخرى وبذلك يصدق كلا التفسيرين عليه ، ويبقى للسياق النص على المراد .

وربما لا تخرج موضوعات الكتاب عن هذه النقاط التى أثرناها فيما سبق، ومما يجدر ذكره أن لأبى عبيدة — فى كتابه — تعبيرات وآراء خاصة ربما يكون قد انفرد بها — فهو مثلا : يسمى "الضمير : كناية " على طريقة الكوفيين فيقول عن قوله تعالى : (اياك نعبد[٢]) " اذا بدئ بكناية المفعول قبل الفعل جاز الكلام فان بدأت بالفعل لم يجز ، كقولك : نعبد اياك .. ثم يقول — ولو بدأت بالفعل لم يجز كقولك : أدعو اياك ، محال — فان زدت الكناية فى آخر الفعل (ويعنى به الجملة) جاز الكلام : أدعوك اياك[٣]". ويصف "اذ " الظرفية فى قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم[٤]) ، بأنها من حروف الزوائد ، وقد خطأه بعض النحويين والمفسرين .. فقال

---

(١) المجاز : ١ / ٧٣ ، ٧٤

(٢) سورة الفاتحة : ٤

(٣) المجاز : ١ / ٢٤

(٤) سورة البقرة : ٣٦

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

النحاس : هذا خطأ لأن "اذ " اسم وهى ظرف زمان وليس مما يـزاد ،

وقال الزجاج : هذا اجترام من أبى عبيدة (١) وقال الطبرى نحوا من ذلـــك

ونحته ـ لأجل هذا الخطأ ـ بأنه من المنسوبين الى العلم بلغات العـرب (٢)

أوهمه تعريفه الآية من القرآن : بأنها كلام متصل الى انقطاعه وهذا خـــلاف

ماجاء بالمصحف الشريف ونص عليه علماء الرسم والضبط القرآنى من أن الآية :

" طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة فى سورة من القرآن ... ولاسبيل الى معرفة

آيات القرآن الا بتوقيف من الشارع لأنه ليس للقياس والرأى مجال فيهـــا (٣)"،

ولا يستلزم استقلال الآية بمعنى واحد ، فقد تشتمل الآية على أكثر من جملـــة

تامة ، وقد لايتم معناها الا مع الآية التى تليها الى غير ذلك مما يلحـــظه (٤)

الناظر فى كتابه من تعبيرات خاصة انفرد بها ان لم نقل ابتكرها .

وننوه الى أن الكتاب لم يبدأ مباشرة بتفسير المختار من آيات القرآن بل

قدم لذلك بمقدمة هامة قسمها قسمين ، تناول فى القسم الأول منها ثلاثـــة

ألفاظ تتردد كثيرا فى محيط المصحف الشريف وهى (القرآن ، والسورة ، والآية)

---

(١) تفسير القرطبى : ١/٢٦٢ ، ولعلها مصحفة عن (اجتراء) .

(٢) تفسير الطبرى : ١/١٠٥

(٣) مناهل العرفان : ١/٣٤٠

(٤) انظر البرهـان : ١/٩٨

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ثم عرف اللفظ الثالث (الآية) بما سبق ذكره من أنها كلام متصل الـــــــى انقطاعه • ثم أشار الى تعدد أسماء بعض السور وتسمية بعض مجموعات منها " كالسبع الطوال والمئين والمثانى " • واستشهد لذلك بالشعر والرجـــــز والنص على اللغات العربية • (١)

وخص القسم الثانى من المقدمة بالكلام على الظواهر اللغوية العامة فى القرآن ومثل لكل منها بنماذج — ماعدا المجمل المستغنى به عن التكرير اذ لم ترد له أمثلة فى النسخ التى وصلت — وقد ذكرنا بعضا منها فيما سبق ، ثـم ختم ذلك بالكلام على "بسم الله " فتناول معناها وبين أن الاسم — عنده — هو المسمى •• والمعنى " انما هو بالله ، لأن اسم الشىء هو الشئ بعينه" (٢) واستشهد لذلك ببيت لبيد :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

أى ثم السلام عليكما ، وقد خطأه المبرد فى ذلك ، ورد عليه فـــــى أن الاستشهاد ببيت لبيد غير صحيح ، وأن "السلام " اسم من اسماء الله وهـو المقصود بالبيت ، وليست لفظة (اسم) صلة ، كما زعم ابو عبيدة ومن تابعه ،

---

(١) المجاز : ١/١ — ٧

(٢) المجاز : ١٦/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

٦ — ظاهرة الاستطراد ، فى تفسير القرآن بالقرآن أو شرح الشواهد الشعرية ثم الاستشهاد على الشرح نفسه .

وبعد ، فمما تقدم ، استطيع أن أقرر مطمئنا أن كتاب مجاز القرآن ، الموجود بأيدينا ، كتاب لغة فى الدرجة الأولى ، كشف النقاب عن غريب القرآن بأسلوب لغوى بارع ، وأنه قد جمع الى جانب الموضوعات اللغوية موضوعات أخرى متنوعة تقف ، جميعا ، على رؤوسها مخدمة لكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: تفسير غريب القـرآن ::

لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة "ت : ٢٧٦هـ"

يعد هذا الكتاب من أقدم المصادر اللغوية لتفسير الغريب ، بعـــد مجاز القرآن ، وقد ألفه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، تتمة لكتابه (تأويل مشكل القرآن) .. لأنه يعد اللفظ الغريب من المشكـــل الذى رام توضيحه ، وخشية أن يطول كتابه " تأويل المشكل " أفرد للغريـــــب كتابا مستقلا هو هذا الكتاب .

والكتاب مطبوع فى مجلد واحد قام بتحقيقه السيد أحمد صقر معتمـدا فيه على صورة شمسية للمخطوط كانت فى حوزة الشيخ / أحمد محمد شاكـر ، وقامت بطبعه دار احياء الكتب العربية .

غرضـــه :

وقد وضح ابن قتيبة غرضه الذى امتثله عند تأليفه هذا الكتاب وهـو أن يختصر المطول ويكمل الناقص ، وأن يوضح المبهم ويجمل المطنب ، ويبيـن أن من منهجه عدم حشو الكتاب بآراء النحاة وأهل الحديث ، وترك الأسانيد لئلا يكون مجرد ناقل فيأتى كتابه كسائر الكتب المؤلفة قبله .(١)

---

(١) تفسير غريب القرآن : ٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وجاء كتاب ابن قتيبة هذا ممثلا للمنهج العلمى الناضج بالرغم من كونه فى باكورة الانتاج اللغوى ٠٠ فقد بدأه بمقدمة وضح فيها غرضه من تأليف الكتاب ، وأشار الى أن كتابه مستنبط من كتب المفسرين وعلماء اللغة المتقدمين ، وأنه لم يخرج فيه عن مذاهبهم ، ولم يتكلف فى شىء منه برأى غير معانيهم ، وأن عمله لا يعدو أن يكون ترجيحا للأولى الموافق للغة العرب والمناسب لسياق الآية الشريفة ٠

ثم نعى فى ختام مقدمته ، على بعض المفسرين تفسيراتهم الخاطئة لمعانى القرآن الكريم ، وضرب لذلك أمثلة ذكر أنها من منكر التأويل ، وألزم نفسه بالبعد عنها والحذر منها ، لكنه تردد فى الجزم بمنشأ الغلط فيها وقال : " لا ندرى أوقع الغلط من جهة المفسرين أم من جهة النقلة "(١) ٠

هذه الأغراض الثلاثة هى كل ماتناولته مقدمة الكتاب ، وقد التزم ابن قتيبة بما قطعه على نفسه فى هذه المقدمة وسار عليه سيرا حسنا ٠

منهجه :

قسم المؤلف كتابه ثلاثة أقسام :

الأول : لتأويل اسماء الله الحسنى وصفاته واشتقاقهما ٠

---

(١) الكتاب نفسه : ٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الثانى : لتفسير المفردات التى تكررت فى القرآن •

الثالث : لتفسير الغريب •

وفيما يلى عرض لأقسامه الثلاثة :

القسم الأول : جعله تحت عنوان (اشتقاق اسماء الله وصفاته واظهار معانيها) وذكر فيه ستة عشر اسما من أسماء الله الحسنى وعشرا من صفاته فوضح دلالتها اللغوية ، وكيفية اشتقاقها ، مستشهدا لذلك بالشعر والنثر العربى ، أو ببعض الآيات والأحاديث •(١)

ويلاحظ أن المؤلف لم يعمد الى ترتيب معين عند ذكر الاسماء والصفات ، فقد رتبها هكذا "الرحمن ، الرحيم ، السلام ، القيوم ، القيام ، سبّوح ••• الخ " وهذا الوضع لا يتمشى مع أى نوع من الترتيب الذى جاء قبله أو بعده •

القسم الثانى : بعنوان (باب تأويل حروف كثرت فى هذا الكتاب) •(٢) ويعنى بالحروف ألفاظا خاصة ذات دلالات قرآنية يتردد ذكرها فى القرآن الكريم ،

---

(١) الكتاب نفسه : ٦ — ٢٠

(٢) الكتاب نفسه : ٢١ — ٣٧

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ولم يرأن بعض السور أولى بها من بعضها الأخرى ، مثل : الجن ، الانس ، الثقلين ، الملائكة ، الشيطان وغيرها .. وتعداد ها أربعون حرفا لم يلتزم فيها أيضا ترتيبا معينا سوى التناسب العام عند الذكر .. ولم تختلف طريقته عن سابقه ، فقد عنى باشتقاق اللفظ لغويا ثم تفسيره بحسب سياقه في القرآن ، وقد يستشهد لذلك بالشعر (١) أو يدعمها بآراء العلماء (٢) أو بتفسير القرآن نفسه (٣) ، وربما ترك ذلك كله وانصرف الى ذكر سبب نزول الآية ومايتعلق بها (٤) .

القسم الثالث : (٥)

وهو صلب الكتاب وعمدته وقد أفرده لتفسير غريب القرآن وفيه انتقى ألفاظا غريبة — كما يراها — مرتبة ترتيبها الطبيعي داخل السور ، مبتدئا بسورة الفاتحة فالبقرة ومختتما بسورة الناس ، ثم يشرحها شرحا موجزا يبين معناها ، وقد يردها الى أصلها ويوضح اشتقاقها وقد يورد آية أخرى توضحها ، وفي الغالب لا يستطرد في الشرح والتعليق بل التزم بما قطعه على نفسه — في مقدمته — من ايثار الاختصار ، حتى أن تفسيره في بعض

---

(١) نفسه : ٣٠

(٢) نفسه : ٣٤

(٣) نفسه : ٣٩

(٤) نفسه : ٣٥

(٥) نفسه : ٣٨ — ٤٤

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الأحيان لا يزيد على كلمة واحدة كما فى قوله تعالى : (يلقى الروح من أمره)[١] أى : الوحى[٢] . وقد يتجاوز تعليقه الصفحة الواحدة ، كما فى شرحه لقول الله عز وجل (وأرسلنا الرياح لواقح)[٣] واستطان بالشعر كثيرا لتوضيح معانى الألفاظ وعزاه فى الغالب الى قائليه ، كما استشهد بستين حديثا وأكثر من خمسين قولا مأثورا للغرض نفسه .. لكن ما استشهد به يعد قليلا بالنسبة الى الألفاظ الغريبة التى فسرها فى كتابه .

وكثيرا ما يشير ابن قتيبة الى كتابه " تأويل مشكل القرآن " ويحيل عليه حتى بلغت احالاته أكثر من مائة مرة ، مما لا يدع مجالا للشك فى ارتباط الكتابين بعضهما ببعض ارتباطا وثيقا ، وأنه يوجد بينهما تشابه كبير فى معالجة بعض الآيات[٤] .

التأثير والتأثر فيه :

لقد انتفع ابن قتيبة بكتب الغريب المؤلفة قبله انتفاعا عظيما وبخاصة كتابى (مجاز القرآن) لأبى عبيدة (٢١٠هـ) و (معانى القرآن) للفراء

---

(١) سورة المؤمن : ١٥

(٢) غريب القرآن : ٣٨٦

(٣) سورة الحجر : ٢٢ ، وانظر الكتاب نفسه : ٢٣٦

(٤) انظر غريب القرآن : ٣٠٥ وتأويل مشكل القرآن : ٢٥٢ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

(٢٠٧هـ) حتى انه ينقل كلامهما بنصه دون أن يتصرف فيه [١] ، وتأثر غـــى قضايا الاشتقاق بالأصمعى (٢١٣هـ) واستشهد بأقواله [٢] ، كما نقل أقوالا لابـن عباس ومجاهد والكلبى فى التفسير وعزا الأقوال الى أصحابها ، وربما اكتفـــى بقوله : " قال بعض المفسرين " [٣] .

ولم يكن ابن قتيبة مجرد ناقل بل كثيرا مايوازن ويرجح ويختار الـــرأى الأمثل الذى يطمئن اليه ، وربما تعدى ذلك الى النقد الجرىء اللاذع .. لكنه مع ذلك لم يخل من الخطأ فى تفسير بعض الغريب على وجه لا يحتملـــه سياق الآية ، وقد أحسن محقق الكتاب صنعا حينما تدارك أمثال ذلك ونبـــه عليه وأيده بأقوال الثقات [٤] .

ولم يقلل ذلك من أهمية الكتاب فلسبقه ولحسن منهجه اعتبر مصـــدرا هاما فى مجال غريب القرآن تأثر به من جاء بعده ، ويكفى أن نشير الـــى أن ابن جرير الطبرى — وهو من هو فى سعة العلم والاطلاع — قد اعتمده كثيرا ، على تفسير ابن قتيبة وانتفع بآرائه وضمنها تفسيره العظيم (جامع البيان) .

غير أنه (رحمه الله) لم يشر الى ابن قتيبة بأية اشارة واضحة أومبهمة كما يقول المحقق ، مثل مافعل مع الفراء وأبى عبيدة [٥] .

---

(١) تفسير غريب القرآن (مقدمة المحقق) .
(٢) نفسه : ٢١٥ (٣) نفسه : ٣٥٢
(٤) انظر على سبيل المثال ص٦٧ من المصدر نفسه والهامش أيضا .
(٥) ص(د) من (مقدمة المحقق) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : لغـات القـرآن

المراد بلغات القرآن :

هو اصطلاح قديم ورد فى مؤلفات القدامى منذ بداية التأليـف ..

ويعنون به : "ماورد بكتاب الله عزوجل من الألفاظ التى اختصت بها القبائل قبل أن تدخل فى تأليف اللغة الموحدة التى نزل بها الكتاب العزيز " .

يدلنا على ذلك صنيعهم فى الكتب التى وصلت الينا ، أو نقل بعض منها لنا ، وتحمل هذا الاسم أو مايشابهه .. وتقصر الحديث على الألفاظ الغريبة بسبب أخذها من قبائل عربية فتشير اليها بعد أن تبين معناهـا .. تقول مثلا : " السفيه : الجاهل بلغة كنانة ... والمسافحة : الزنا بلغة قريش ... والدسر : المسامير بلغة هذيل "[1] وهكذا .

الدافع اليها :

حينما دعت الحاجة الى معرفة غريب القرآن واستعصى فهم بعض ألفاظه تتبع العلماء هذا الغريب ونظروا فيه فوجدوا أن غرابته تعود - فى الغالب - الى اختلاف القبائل العربية وتباين لهجاتها ، فقد يؤخذ اللفظ

---

(١) اللغات فى القرآن : ١٧ ، ٢١ ، ٤٥ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

من لغة هذيل مثلا فيكون غريبا على قبيلة كنانة فلا تفهم معناه .. لذلك أدركوا أن مفتاح هذا الاستغلاق يكمن فى رد كل لفظة الى قبيلتها فهى أعلم من غيرها بتفسيرها، فقوى الدافع — عند القدماء — الى تأليف كتب من هذا النوع يوضح فيها اللفظ الغريب المشكل فى القرآن وينص على معناه فى قبيلته التى أخذ منها .

أول من صنف فيه :

أول من عزى اليه كتاب فى لغات القرآن الصحابى الجليل : عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما (ت : ٦٨هـ) فى رسالة نسبت اليه تحت عنوان " كتاب اللغات فى القرآن " رواها عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرئ (ت : ٣٨٦هـ) باسناده الى ابن عباس ، وأخبر بها أبو محمد اسماعيل بن عمرو (ت : ٤٢٩) ، ثم قام الدكتور صلاح الدين المنجد بتحقيقها ونشرها

ويرى بعض الباحثين[1] أن الكتاب من عمل أحد الرواه المذكورة اسماؤهم فى صدر الكتاب وليس من عمل ابن عباس نفسه ، وقد جمع فيه روايات أتى بها ابن عباس فى تفسير ألفاظ القرآن المعزوة الى قبائلها ، ثم انتقلت الى الراوى الأخير بسند موثق .

---

(١) د / حسين نصار فى المعجم العربى : ١ / ٧٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

والدليل على ذلك أن أحدا من مترجمى ابن عباس لم ينسب له مثل هذا الكتاب ، وانما نسبوا له الأقوال الكثيرة فى التفسير وحده مرويـــــة لا مدونة (١) .

وصف الكتاب :

الكتاب ، فى جملته ، يجمع بعض الروايات المعزوة الى ابن عباس فى نسبة بعض الألفاظ القرآنية الى قبائلها العربية ، وقد يتجاوز ذلك فينسـب ألفاظا محدودة الى لغات أخرى غير عربية كالفارسية والنبطية والحبشيـــة والرومية وغيرها (٢) .

وقد روعى فى ترتيبه ترتيب المصحف الشريف ، فيستخرج ما فيه مـن لغات على ترتيب السور الكريمة : البقرة فآل عمران فالنساء ... وهكذا ثـم يتوقف عند سورة الحاديات لأنه لا يرى لغات قبيلته فيما بعدها من سـور ، ولكنه لم يراع ترتيب الآيات فى داخل السور فقام المحقق بهذا العمل ونبـه عليه فى المقدمة (٣) .

---

(١) نفسه : ٣٩/١

(٢) كتاب اللغات فى القرآن : ١٧ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٥٤ وغيرها .

(٣) مقدمة المحقق : ١٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

طريقتـــه :

أما طريقته فيذكر الآية التى فيها اللفظ ثم يفسره بالمعنى المراد فى الآية ، ثم ينبه على اللغة (القبيلة) التى أخذ منها اللفظ • ويستطـــرد ، أحيانا ، الى مواضع أخرى ذكر فيها اللفظ وورد فيها بالمعنى نفسه • وليس فى الكتاب أى شاهد من الشعر أو النثر على هذه اللغات وتفسير ألفاظها •

ونمثل لهذه الطريقة المطردة باحدى السور فى الكتاب ، قال[1] : "ومن سورة الفرقان : (قوما بورا) ((١٨)) يعنى : هلكى ، بلغة عمان

(حجرا محجورا) ((٢٢)) يعنى : حراما محرما ، بلغـــــة قريش •

(أصحاب الرس) ((٣٨)) يعنى : أصحاب البنات ، وأزدشنوءه يسمون البنات الرس" •

ويبدو أن الكتاب قد بذلت محاولة قديمة لتهذيبه فى القرنين الخامـــــس والسادس الهجريين ، اذ أن الصورة التى رأيناه عليها كانت فى أيام اسماعيل ابن عمرو الحداد (ت: ٤٢٩هـ) أحد رواته ، ثم وصلت الينا رواية أخـــرى متأخرة عن هذا الطريق نفسه عن شرف الدين أبى الحسن على بن المفضـــل المقدسى ، عن أبى طاهر أحمد بن محمد السلفى (ت : ٥٧٦هـ) طبعتهـا

---

(١) كتاب اللغات فى القرآن : ٣٧

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الا اشارات عابرة أو نصوص منقولة .[١]

٤ — ونسب الى الأصمعى (٢١٣هـ) كتاب فى لغات القرآن ،[٢] ولكن يساورنى الشك فى صحة هذه النسبة اليه ، وذلك أن كتب الطبقات والتراجم لم تعز له كتابا بهذا الاسم[٣] ، وكذلك ابن النديم حين ترجم له لم يذكر له هذا الكتاب وانما نسب اليه "كتاب اللغات " فقط ،[٤] وحينما دون الكتب المؤلفة فى غريب القرآن عد للأصمعى كتابا بهذا الاسم ، فالدليل واه فى نسبة هذا الكتاب الى الأصمعى ، ولعله قد التبس عليه بكتاب "اللغات" .

ثم ان مما يؤكد ذلك ماشتهر عنه (رحمه الله) من توقيه الكلام فى الألفاظ القرآنية ، " فقد كان لا يفسر شيئا من القرآن ، ولا شيئا من اللغة له نظير واشتقاق فى القرآن ، وكذلك الحديث ، تحرجا "[٥] سئل عن قوله تعالى (قد شغفها حبا)[٦] فسكت ، وقال هذا فى القرآن[٧] ، " وكذلك لم يتكلم فى

---

(١) البحر المحيط لابى حيان : ٣/ ١٩٣ ، والتصريح : ١/ ١٢٨ ، ١٣٨

(٢) الفهرست : ٥٣

(٣) بغية الوعاة : ٣١٤ ، انباه الرواة : ٢/ ٢٠٣ ، الوفيات : ٢/ ٣٤٩

(٤) الفهرست : ٨٢

(٥) المزهر : ٢/ ٤٠٤

(٦) سورة يوسف : ٣٠

(٧) اعجاز القرآن (الخطابى) : ٣١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

عصفت وأعصفت لأن فى القرآن (ريح عاصف) "[١].

كما كان (رحمه الله) يتحرج من السنة أيضا ، ومن ذلك أن تلميذه نصر بن على قال: حضرت الأصمعى وقد سأله سائل عن معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " جاءكم أهل اليمن وهم أبخع نفسا " ما معنى أبخع ؟ قال : يعنى أقتل ، ثم أقبل متعددا على نفسه كاللائم لها ، فقلت له : لا عليك ، فقد حدثنا سفيان بن عيينة عن أبى نجيح عن مجاهد ، فى قوله تعالى : (فلعلك باخع نفسك[٢]) أى قاتل نفسك ، فكأنه سرى عنه[٣].

فرجل كهذا لا نتوقع منه أن يؤلف كتابا يستعرض فيه ألفاظ القرآن بعد ما توحدت وأصبحت لغة العرب المشتركة ليرد كل لفظه الى قبيلتها الظنية التى ربما لم يعرف معها الا بضعة رجال ، ثم ان ابن النديم وحده تفرد بذلك ثم ناقضه فى موطن آخر[٤].

٥ — واقتفى أثره أبو زيد الأنصارى (ت: ٢١٥هـ) فألف كتابا فيه ، فقد أيضا[٥].

---

(١) المزهر : ٣٢٦/٢

(٢) سورة الكهف : ٦

(٣) الزهر : ٣٢٧/٢

(٤) الفهرست : ٥٣ ، ٨٢

(٥) بغية الوعاة : ٢٠٥ ، المعجم العربى : ٧٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

٦ — وختم القرن الثالث بمؤلف "لم يتم" في لغات القرآن لابن دريـــد (ت : ٣٢١هـ)[١] وصلتنا نقول منه في كتابه "جمهرة اللغة"[٢].

---

(١) الفهرست : ٥٣

(٢) الجمهـــرة : ٢/ ٤٠٠ ، ٣/ ٧٨ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا : معاني القـــرآن

ما المعانى ؟

المعنى : قصد الشئ وارادته • تقول : " عنيت بالكلام كـــذا " أى قصدت ذلك وأردته •

وهو مشتق من قول العرب : " عنت القربة " اذا أظهرت ماءها ولـــم تحفظه ، أو من قولهم : " عنت الأرض بنبات حسن " اذا أنبتت نباتـــا حسنا •[1] ثم انتقل من الحسى الى المعنوى لمناسبة الظهور فى الشئ عنـــد ارادته بالبحث عنه •

كتب معانى القرآن :

معانى القرآن : مصطلح قديم أطلقه علماء اللغة الأوائل علـــى مؤلفاتهم التى تحاول تفسير القرآن ببيان معانى بعض آياته وتفسير المشكل منها ، مستعينة باللغة وقضايا الاعراب ، بصورة أكبر ، لتوضيح المراد ، بعيدة عن الخوض فى قضاياه التشريعية أو الكلامية •

أتصور أن ذلك مراد هم من خلال اطلاعى على بعض ماوصل الينا مـــن كتب تحمل هذا المصطلح •

---

(١) ابن فارس : مقاييس اللغة (عنى) ، الصاحبى : ٢١٢ •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وكان أول من وصل الينا خبر تأليفه كتابا فى معانى القرآن :

واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ) ثم يونس بن حبيب (ت ١٨٥ هـ) ثم أبو جعفر الرؤاسى (ت ١٨٧ هـ) والكسائى (ت ١٨٩ هـ) ، وأبو فيد مؤرخ السدوسى (ت ١٩٥ هـ) وأبو محمد اليزيدى (ت : ٢٠٢ هـ) ، وقطرب : محمد ابن المستنير (ت : ٢٠٦ هـ) ويحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) [1] ، والأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١١ هـ) والمبرد (ت ٢٨٠ هـ) وثعلب (ت ٢٩١ هـ) وابن كيسان (ت ٢٩٩ هـ) ، والمفضل بن سلمة (ت ٣٠٠ هـ تقريبا) .

ولم يصل الينا من هذه المجموعة الا كتابا (الفراء والأخفش) ، أما الكتب الأخرى فقد امتدت اليها يد الضياع .

وتتحدث فيما يلى عن الكتاب الأول منهما :

---

(١) وهم الخطيب البغدادى فى عده أبا عبيدة أول من صنف فى معانى القرآن (تاريخ بغداد : ١٣/٢٥٢) .

وتابعه على رأيه محققا كتاب (معانى القرآن) للفراء : الاستاذان أحمد نجاتى ومحمد على النجار (المقدمة : ١٢) .

وكذلك محقق كتاب (معانى القرآن) للأخفش : د . فايز فارس (مقدمة المحقق : ٥٥) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: معاني القـرآن ::

((لأبي زكريا يحى بن زياد الفراء " ت : ٢٠٧ هـ "))

وصل هذا الكتاب الى الفراء برواية محمد بن الجهم بن هـــارون السمرى[١] (ت : ٢٧٧هـ) أحد تلاميذ الفراء النابهين ، وهو الذى حـــدد لنا فى صدر الكتاب زمن املاء الفراء له فقال : " هذا كتاب فيه معانـــى القرآن ، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (يرحمه الله) عن حفظـه من غير نسخة ، فى مجالسه أول النهار من أيام الثلاثاوات والجمع فى شهـــر رمضان ومابعده من سنة اثنتين ، وفى شهور سنة ثلاث ، وشهور من سنـــة أربع ومائتين[٢] " ، وذلك يعنى أن الفراء املاه فى أواخر حياته ، واستغـــرق املاؤه قرابة العشرين شهرا ، وقد طبع الكتاب محققا بهذه الرواية فى ثلاث مجلدات[٣] .

---

(١) بتشديد الميم . نسبة الى (سمر) بلدة بين البصرة وواسط .

(٢) معانى القرآن : ١/١

(٣) طبع الجزء الأول سنة ١٩٥٥ بتحقيق : أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار (دار الكتب) والجزء الثانى : بتحقيق : محمد علـــى النجار (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، والجزء الثالث : بتحقيق د . عبد الفتاح اسماعيل شلبى سنة ١٩٧٣م (الهيئة المصرية العامة للكتاب) وكلها بالقاهرة .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وللكتاب رواية أخرى لم تصل الينا ، هي رواية سلمة بن عاصم ، اعتمدها القدماء لاجازة الفراء لها بعد اطلاعه عليها (١) .

سبب تأليفه :

والسبب في املاء الكتاب المعاني ، كما يقول ثعلب ، أن عمر بن بكير من أصحاب الفراء وكان منقطعا الى الحسن بن سهل فكتب الى الفراء : "أن الأمير : الحسن بن سهل ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جواب فان رأيت أن تجمع لي أصولا أو تجعل لي من ذلك كتابا أرجع اليه فعلت . فقال الفراء لأصحابه : اجتمعوا حتى أملي عليكم كتابا في القرآن ، وجعل لهم يوما ، فلما حضروا خرج اليهم وكان في المسجد رجل يؤذن ويقرأ بالناس في الصلاة فالتفت اليه الفراء فقال له : اقرأ بفاتحة الكتاب نفسرها ثم نوفي الكتاب كله " (٢) .

وقد سماه رواية محمد بن الجهم "تفسير مشكل اعراب القرآن ومعانيه" (٣) وهي ألصق بموضوع الكتاب ومادته من عنوانه المشهور .

---

(١) تاريخ بغداد : ١٤/١٤٩ ، معجم الأدباء : ٢٠/١٢

(٢) الفهرست : ٩٩

(٣) معاني القرآن : ١/١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

قيمته العلميـــة :

بقدر ماللفراء من مكانة علمية سامية أضفاها عليه علماء عصره لاسيمـــا الكوفيون ، بقدر ماستوعى كتابه هذا أنظار طلاب العربية ، ونال اعجابهم ، فما ان شرع الفراء في املائه حتى اجتمع لاملائه خلق كثير لم يضبط عددهـــم كان من بينهم ثمانون قاضيا (١) ، ولذلك فلا نعجب اذا سمعنا ثعلبا يمتدحـــه بقوله : " لم يعمل أحد قبله مثله ، ولا أحسب أن أحدا يزيد عليه "(٢).

منهجـــه :

الكتاب ، في جملته ، تمثيل عملي لروح التداخل في العلوم الـــتي اتسم بها القرن الثاني ، وامتدت لتشمل أوائل القرن الثالث ، فأختلطت فيـــه المادة اللغوية بالنحوية والصرفية والبلاغية .. وهكذا ، ولكن المادة النحويـــة قد برزت أكثر من غيرها ، ذلك أن منهجه ، حسب مايبدو من قراءته ، يعتمد على الآتي :

أ ـ انتخاب بعض آيات القرآن الكريم المشكل معناها ، بحسب اللغة ،

---

(١) تاريخ بغداد : ١٤/١٥٠ ، معجم الأدباء : ٢٠/١٢

(٢) تاريخ بغداد : ١٤/١٥٠ ، طبقات اللغويين : ١٤٤

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ثم توضيحها بالطريقة التى يقتضيها نوع الاشكال . وفى الغالب يعرب الآية أو جزءا منها ، وان كان للعلماء فيها أقوال ذكرها (١) وقد لا يرتضى بعض الآراء فيرد أو يعلق عليها (٢) ويورد القراءات فى الآية ويعزوها حتى ولو كانت شاذة (٣) ، وقد يوجهها وفق لغة العرب ، ويعالج رسم الحروف (٤) ، ويتحدث عن مظاهر الاعجاز (٥) واسباب النزول وبعض الأحكام الشرعية المستفادة من الآية (٦) ، وقد يكتفى بالشرح العام للآية دون الخوض فى التفصيل ... ونضرب لذلك أمثلة :

— ففى مجال الرسم : بدأ كتابه باجماع القراء والكتاب على حذف ألف (اسم) من البسملة مع بقائها فى غيرها ، معللا ذلك بالتخفيف لأن من شأن العرب الايجاز بالحذف فيما يعرف معناه ، ووضح أن الحذف مشروط بوجود الباء داخلة على كلمة (اسم) مضافا اليها لفظ الجلالة (٧) .

---

(١) معانى القرآن : ١/٩ ، ١٣ ، ١٧ ، ٢١ وغيرها .
(٢) معانى القرآن : ١/٨ ، ٢٩ ، ٣٢ وغيرها .
(٣) معانى القرآن : ١/٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٦٥ وغيرها .
(٤) معانى القرآن : ١/١ ، ٢ ، ٣
(٥) معانى القرآن : ١/١٠ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٣
(٦) معانى القرآن : ١/٤٥٤ ، ٤٥٥
(٧) نفسه : ١/٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ـ وفى مجال القراءة وتوجيه ماسمعه من العرب : قوله تعالى (الحمد لله) فحكى اجتماع القراء على رفع (الحمد) ، وماسمعه من العرب من فتح الدال وكسرها ورفع الدال مع اللام هكذا :(الحمدَ لِله ، الحمدِ للهِ ، الحمدُ لله) فوجه النصب بأنه مصدر ناب من فعله ، واستشهد له من القرآن بقوله تعالى (معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده)(١) ، ووجه الخفض بالذوق اللغوى وأن العرب تستثقل الضمة بعدها كسرة ، ولكثرة دورانها على ألسنتهم أصبحت كالكلمة الواحدة فأشبهت (ابل) ، ووجه ضم الدال واللام بأنهم أرادوا المثال الأكثر من اسماء العرب الذى تتوالى فيه الضمتان كالحُلُم والعُقُب(٢) .

ـ وفى مجال الاعراب : لم تخل آية ، فى الغالب ، الا وتعرض لها بالاعراب حتى أن الكتاب ليشتبه الى حد كبير مع كتب "اعراب القرآن" ، ويبدو أن العلماء أخذوا آراءه النحوية من هذا الكتاب اذ لم يصلنا غيره .. وقد أطنب الفراء فى حديثه عن (الاستثناء)

---

(١) سورة يوسف : ٧٩

(٢) معانى القرآن : ١/ ٣ ـ ٤ ، وللمزيد انظر : ١/ ١٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٢٦٥ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المتصل والمنقطع وأحكامه عند تعرضه لقراءة الجمهور في قول الله عز وجل (فشربوا منه الا قليلا منهم)[١] . والقراءة الثانية بالرفع (الا قليل منهم) وهي قراءة ابن مسعود وأبي الاعمش[٢] وناقشها نقاشا نحويا قائما على تحليل الشواهد ، وضرب الأمثلة موضحا مواطن الرفع والنصب والاتباع[٣] .

وفي مجال الظواهر اللغوية : نجده يتحدث عن التذكير والتأنيث والافراد والجمع عند القبائل الفصيحة فيقول : " والفلك تؤنث وتذكر ، وتكون واحدة وتكون جمعا ... والعرب تقول : عاصف وعاصفة ، وقد أعصفت الريح وعصفت ، وبالألف لغة لبني أسد[٤] " ووقف على ظاهرة "الابدال" في قوله تعالى (وفومها وعدسها وبصلها) ونص على سماعه من بني أسد ابدالهم الفاء من الثاء كثيرا[٥] ، وتوقع أن (الرجس) مبدل من (الرجز) أو أنهما لغتان ، واستشهد لذلك بالسماع في الأَسْد والأَزْد[٦] .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٩٤ .
(٢) البحر المحيط : ٢٦٦/٢ .
(٣) معاني القرآن : ١٦٦/١ ـ ١٦٨
(٤) معاني القرآن : ٤٦٠/١
(٥) معاني القرآن : ٤١/١
(٦) معاني القرآن : ٤٨٠/١ ، وانظر أمثلة أخرى ٥/١ ، ٤٥ ، ٤٥٩ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ولا يلتزم تفسير كل كلمة بل الغامضة — في نظره — كالمن والسلوى ونحوهما (١). وربما شرح الآية شرحا عاما واكتفى به ، يقول شارحا قوله تعالى : (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد (٢))" اذا أدركتك الصلاة وأنت عند مسجد فصل فيه ، ولا تقولن : آتي مسجد قومي ، فان كان في غير وقت الصلاة صليت حيث شئت "(٣).

وثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام على هذا الجانب من منهجه وهي أنه تناول الآيات وفق ترتيبها في المصحف ، ولكنه لم يلتزمه أحيانا (٤) ، ونبه المحققان على ذلك دون أن يعيداه لمكانه الطبيعي.

وفي مجال البلاغة : فسر كثيرا من الآيات موضحا السر البلاغي فيها ، ومشيرا الى مظهر الاعجاز ، فذكر الحذف والايجاز ، والاستفهام ، والالتفات ، والنفي للتعجب والكناية والمجاز ونحو ذلك (٥).

---

(١) معاني القرآن : ١/٢٠، ٣٧.
(٢) سورة الاعراف : آية ٢٩
(٣) معاني القرآن : ١/٣٧٦، وللمزيد انظر : ١/١٩٠، ١٩١، ٢٢٢، ٣٧٨ وغيرها.
(٤) للمثال انظر معاني القرآن : ١/٣١، ٣٢، ٣٥
(٥) معاني القرآن : ١/١٠، ١٤، ٢٠، ٢٣، ٤٢٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ب — اعتماده على الرواية من الأعراب ، والنقل عن العلماء :

— فقد احتج لقراءة الحسن (ولا أدراكم به) بالهمز ، بقـــول امرأة من طيء سمعها تقول : " رثأت زوجي بأبيات "[1] وكان لا يأخذ الا عن قبائل فصيحة .

— ونقل كثيرا عن المفسرين والقراء : كابن عباس ومجاهد وغيرهما[2]

— ونقل عن أساتذته اللغويين ، وجلهم من الكوفيين منهـــم : الكسائي ، وقيس بن الربيع وغيرهما ، وقد يكتفي بالعزو اليهم[3] وربمـــا خالفهم فيناقشهم ويرد عليهم .. كقوله : "زعم الكسائي أن العـــرب نصبت الياء عند كل ألف مهموز سوى الألف واللام مثل قوله تعالـــى (ان أجري الا على الله)[4] ، و (اني أخاف الله)[5] ولم أر ذلك عنـــد العرب "[6] .

---

(١) نفس المصدر : ١/٤٥٩ ، ٤١

(٢) نفس المصدر : ١/٣٤٩

(٣) نفس المصدر : ١/٩ ، ١٣

(٤) سورة يونس : ٧٢

(٥) سورة الانفال : ٤٨

(٦) نفس المصدر : ١/٢٩ ، وانظر : ١/٢١ ، ٤٦ ، ٢٤٤ ، ٣٧٤ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

وشواهده متنوعة وكثيرة ، فكثيرا مايستشهد على الآية بآية أخرى، وقل أن تخلو صفحة من ذلك ،(١) وقد يحتج بالحديث ،(٢) أوبلغات العرب(٣) ويستشهد بالشعر الجاهلى والاسلامى كثيرا ، وقد ينسب البيت الى قائله ، وقد يغفله(٤) ، وربما اكتفى بالنص على قبيلته دون تعيينه للاشارة الى اللغة التى يستشهد بها(٥) ، ويستشهد بالقراءات وينسبها — غالبا — الى أصحابها(٦) وقد يغفلهم ، فقام المحققان بعزوها الى اصحابها ، وتحريج للأحكام الشرعية(٧) والكلام على أسباب نزول الآيات(٨).

ج — اعتماده على ذوقه وحسه البلاغى ، لا على الرواية والنقل فحسب:

فقد تجلى ذلك من خلال كتابه حينما نظر الى بعض أساليب العرب

---

(١) نفسه : ١/٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠

(٢) نفسه : ١/٤٦٨ ، ٤٧٠ .

(٣) نفسه : ١/٥ ، ٤٥ ، ٤٦٠

(٤) نفسه : ١/٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٦٨

(٥) نفسه : ١/٤٠ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ١٨٢ .

(٦) نفسه : ١/٣ ، ١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤٣ ، ٧٥

(٧) نفسه : ١/٣٧٦

(٨) نفسه : ١/٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فلم يقرها[١] ، ولم يرتض بعض الشواهد الشعرية المخالفة لقاعـــــدة قرآنية وأطلق عبارته الخالدة : " والكتاب أعرب وأقوى فى الحجة مـن الشعر[٢] " ، وتكون شخصيته أكثر بروزا عندما يفند بعض المذاهـــب فيكرر عبارته : " ولست أستحسنه ، أو ولست أشتهيه[٣] " ، فان وافقـت رأيه قال : " وهو أحبها الى ... أو والأول أحب الى " ونحـــو ذلك[٤] ، ثم فى براعته الفذة عند تعليله لما سمع عن العرب وتأييـده له ... ولكنه يتعصب كثيرا للمذهب الكوفى ، اذ هو رأس طبقتـه الثالثة ، ويكرر عبارات اختصوا بها مخالفة للبصريين ، فيعبر بالكنايـة والعماد والجارى والنعت وواو الصرف بدلا من : الضمير وضمـــير الفصل والمنون والتابع[٥] ... ولكن لا نعدم أن نرى له نقلا عن بعـض البصريين كيونس بن حبيب[٦] ، وكثيرا مايصطنع القراء أمثلة يشرح بهـا رأيه[٧] .

---

(١) نفسه : ١/٤٥٩ .

(٢) نفسه : ١/١٤

(٣) نفسه : ١١/٢٠ ، ٤٧٣

(٤) نفسه : ١/٢٢ ، ٤٦١

(٥) نفسه : ١/٢ ، ٣ ، ٦ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٥١ ، ٣٧١ .

(٦) نفسه : ١/١٢٧ .

(٧) نفسه : ١/٢ ، ٢٩ ، ٨٨

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

تعقيب :

ثمة أمر جدير بى ان أنوه به فى ختام هذا الفصل ، لما له من علاقة بالتأثير القرآنى فى العلوم اللغوية ، ولارتباطه الوثيق بكتب " معانى القرآن " .

ذلك أنه من خلال دراستى لهذا النوع من المؤلفات ، لاحظت أثرا خفيا أحدثه القرآن فى علوم اللغة قل مايفطن اليه ، فقد أوجد القرآن الكريم بين العلوم اللغوية نوعا من الترابط والتلاحم فى الدراسة قد يصل الى درجة التداخل والاختلاط .

ورأينا فى مؤلفات (معانى القرآن) صورة واضحة لهذا التداخل ربما لانجدها بهذا الوضوح فى الكتب اللغوية الأخرى كمؤلفات (غريب القرآن) و (اعراب القرآن) التى تعنى بجانب واحد من فنون اللغة وتقتصر عليه .

وسر ذلك أن الدراسات العربية المتنوعة انما قامت من أجل القرآن ، ونشأت خدمة له ، فعالجت نصه الشريف من جوانب مختلفة ، فتداخلت فيها المادة اللغوية بالنحوية والصرفية والتفسيرية والفقهية ، حتى صرنا نرى مفسرا لغويا ، وفقيها محدثا ، وقارئا نحويا ، وكلاميا صرفيا ، وربما وجدنا من يجمع بين أكثر هذه العلوم فى آن واحد .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

اللغة أو غيرها وهو غير مختص بأحدها وقد يبدع فى الفرع الذى ألف فيه •

وماذاك الا لوجود بون شاسع بين استقلال العلم وتخصص العالم ، اذ قد يستقل فرع من فروع الدرس اللغوى على يد دارس معين ، أهتم بهذا الفرع وغيره من الفروع ، حيث أولاه عناية خاصة فأبدع فيه ، وفى استقلال "المعاجم" على يد الخليل الموسوعة أكبر دليل على ماتقول •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

خاتمة

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

عشت مع رسالتى زمنا ليس بالقصير ، ألم شتاتها ، وأجمع أجزاءها ، وأخط بناءها ، حتى أقمت لها — بفضل الله — صرحا كاملا غير منقوص .

لقد صنفت هذه الرسالة بين مقدمة وخاتمة فى خمسة فصول :

الأول : (القرآن الكريم) ، وهو الأساس المتين ، ومركز الاشعـــاع والدفع لما جاء بعده من فصول ، تحدثت فيه عن : تاريخ القرآن وقراءاتـه موضحا المراحل التى اجتازها نصه الشريف حتى وصل الينا فى ذورة التحقيق والتوثيق ، ملتزما الدقة والايضاح ماستطعت الى ذلك سبيلا .

أما الفصول الأخرى ، فقد تناولت بها الحركة اللغوية الأولى ، الـتى حالفت الاسلام من يوم أن سطعت شمسه فى الآفاق ، ترافقه فى دعوتـــه وتهتدى برايته ، وتستضئ بنوره الذى ينبعث من كتابه الكريم ، فيدفعها الى الأمام مرفوعة الذرى خفاقة الأعلام .

لقد وصفت هذه الحركة فى دراسة وافية كافية ، فرسمت معالمهـا ، وسرت مع تطورها فى الحضارة والمعرفة ، حتى بلغت القمة — أو كادت — فى حوالى نهاية القرن الثالث الهجرى .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ففى الفصل الثانى (لغة القرآن) بينت أن هذه اللغة تنزل بهـــا القرآن بعد أن توحدت قبيل الاسلام ، وصارت بنزول القرآن صافية خالية مـن كل شائبة ، فقد سما بها ورفعها مكانة بين العرب ، ولا عجب فهو معجـــزة النبى صلى الله عليه وسلم .

وحديثى عن اللغة كان شاملا لنشأتها ، وتطورها وتأثرها بالقرآن ، مع تصحيح بعض المزاعم التى وجهت اليها من بعض المستشرقين ومن طـــى شاكلتهم .

وفى الفصل الثالث (جمع اللغة) كان حديثى منصبا على حـــــرص العلماء عليها ، خدمة لكتاب الله عزوجل ، مع بداية عصور الاسلام حيـــن كانت تنتقل بالرواية ثم بالأخذ والتلقى والتدوين ، الى أن تم جمعها فـــى معجمات شاملة جامعة ، شارحة للمعنى ضابطة للألفاظ .

وفى الفصل الرابع (ضبط اللغة) راقبت اللغة فى مفرداتها المنطوقة وتراكيبها المعبرة ، وماكان لظهور اللحن من دافع قوى حفز العلماء الـــى الوقوف فى وجهه ، ومحاربته بشتى الوسائل لئلا يمتد الى كتاب اللـــه ، فوضعوا لذلك ضابطين قويين حفظا اللغة واستصحبا ها — وسيظلان كذلك —

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الى ماشاء الله تعالى :—

أولهما : ضابط رمزى معبر يتمثل فى النقط والشكل والاعجام •

والآخر : ضابط منطوق معبر يتمثل فى النحو والصرف والأدوات •

وقد أتيت فى وصفهما على ماكان لهما فى القرون الثلاثة الأولـــــى للهجرة ، فشرحتهما نشأة وتطورا ، وصححت المسيرة وربطتها بالتأثير القرآنى فى طريقها الطويل ••

وفى الفصل الخامس (التفسير اللغوى) بينت المراد به ، ودواعيه ، وماظهر فيه من مؤلفات قيمة فى غريب القرآن ولغاته ومعانيه ، كانـــــت — ولا تزال — روافد أساسية لدرسنا اللغوى تمده بوعين لاينضب ، وعرضـــت بالدراسة لبعض منها فى كل مايتصل بالقضايا اللغوية •

ومما تقدم يتضح لنا تأثير القرآن فى دراسة اللغة العربية طيلة القـــرون الثلاثة الأولى للاسلام ، حيث دفعها الى ذروة العلا ، وجعلها واصفـــة للحياة العربية فى شتى مظاهرها ، الدينية والاجتماعية والثقافية ، فكانـــت لسان صدق للتأليف والتصنيف ، محفوظة بالقرآن ، ناهضة وثابة تقـــود الناطقين بها الى مايقصدون اليه من سعادة وتقدم فى ظل الدين الحنيف •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المصادر

والمراجع

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الابانة عن معانى القراءات ، أبو محمد مكى بن ابى طالب القيسى (ت : ٤٣٧هـ) ، تحقيق : محى الدين رمضان ، دار المأمون للتراث / دمشق الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ .

الأبدال ، أبو الطيب عبد الواحد على اللغوى (ت: ٣٥١هـ) ، تحقيق عز الدين التنوخى ، طبع المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٧٩/١٩٦٠ .

الأتقان فى علوم القرآن ، للامام جلال الدين السيوطى (ت : ٩١١) دار الفكر / بيروت (د . ط ، ت) .

أثر القراءات القرآنية فى تطور الدرس النحوى ، د . عفيف دمشقية ، معهد الانماء العربى ، الطبعة الأولى — بيروت ١٩٧٨م .

أخبار النحويين البصريين ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ، (ت : ٣٦٨هـ) تحقيق : طه الزينى وعبد المنعم خفاجى ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة البابى الحلبى ١٤٧٤هـ .

آدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت : ٢٧٦هـ) تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

ارشاد الفحول ، الى تحقيق الحق من علم الأصول ، لمحمد بن علي الشوكاني ، ط الأولى ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م ، مطبعة البابي الحلبي — القاهرة — مصر .

أساس البلاغة لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨ هـ) دار ومطابع الشعب — القاهرة ١٩٦٠م (د . ط) .

أسرار العربية ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري (ت : ٥٧٧ هـ) تحقيق : محمد بهجت البيطار ، طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .

اسس علم اللغة العربية ، د . محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة القاهرة /١٩٧٩م . (د . ط) .

الاشتقاق ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١ هـ) تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٨/١٩٥٨ .

الاصابة في تمييز الصحابة ، لشهاب الدين احمد بن علي العسقلاني "المعروف بابن حجر" (ت : ٨٥٢هـ) تحقيق : د . طه محمد الزيني الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، مكتبة الكليات الأزهرية — القاهرة .

الأصمعيات ، أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت : ٢١٣هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط : الرابعة — دار المعارف بمصر .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الأصنام ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، تحقيق : أحمد زكى ، طبعة دار الكتب بالقاهرة ١٣٤٣/١٩٢٤م .

اصلاح المنطق ، أبو يوسف يعقوب بن السكيت (ت : ٢٤٤هـ) الطبعة الأولى بطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية — الدكن ١٣٥٤هـ .

الأصوات اللغوية ، دكتور ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الخامسة ١٩٧٩ م .

الأضداد (فى ثلاثة كتب) ، للأصمعى (ت : ٢١٣) وللسجستانى (ت : ٢٥٥) ولابن السكيت (ت : ٢٤٤) ، نشرها : د . أوغست هفنر المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعين — بيروت : ١٩١٢م .

الأضداد فى كلام العرب ، أبو الطيب عبد الواحد بن على اللغوى (ت : ٣٥١هـ) تحقيق : د . عزه حسن ، طبع المجمع العلمى بدمشق ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .

اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعى ، دار الكتاب العربى / بيروت / لبنان ، الطبعة التاسعة ١٣٩٣ / ١٩٧٣ .

اعجاز القرآن للرمانى = ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن .

الاعلام ، خير الدين الزركلى ، المطبعة العربية / القاهرة ١٣٤٥ / ١٣٤٧ هـ ، و ط بيروت (د . ن) الطبعة الثالثة .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الأغانـــــى ، تأليف ابى الفرج الأصفهانى (ت : ٣٥٦) ، الطبعة الأولى ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م ، مطبعة دار الكتب المصرية ــ القاهرة .

الاقتراح فى علم أصول النحو ، للحافظ جلال الدين السيوطـــــى (ت : ٩١١) تحقيق : د . أحمد محمد قاسم ، ط الأولى ١٣٩٦/١٩٧٦ ، مطبعة السعادة .

انباه الرواه على أنباه النحاه ، تأليف / جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى (ت : ٦٤٦هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيـم مطبعة دار الكتب المصرية ــ القاهرة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

ايضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عزوجل ، تأليف / أبو بكر محمد ابن القاسم بن بشار الأنبارى (٣٢٨هـ) تحقيق : محى الدين عبد الرحمن رمضان ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .

البحث اللغوى عند العرب ، تأليف / د . أحمد مختار عمر ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، عالم الكتب ــ القاهرة .

بحوث فى تاريخ السنة المشرفة ، د . أكرم ضياء العمرى ، الطبعـــة الثالثة ، مؤسسة الرسالة / بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

البرهان فى علوم القرآن ، للامام بدر الدين محمد بن عبد اللـــــه الزركشى (ت : ٧٩٤هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعـــــة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧٢م ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه •

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت : ٩١١هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعـــــة الأولى : مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه — القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م

البيان والتبيين ، أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت : ٢٢٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى بمصر •

تاج اللغة وصحاح العربية ، لابى نصر اسماعيل بن حماد الجوهـــرى (ت : ٤٠٠ تقريبا) تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين نسخة مصورة عن الطبعة الثانية ١٣٩٩/١٩٧٦ بيروت — لبنان •

تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدى ، نسخـــة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية — بالقاهرة ١٣٠٦هـ •

تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ، دار الهـــــــلال (د • ط ، ت) •

تاريخ الأدب ، أو حياة اللغة ، تأليف : حفنى ناصف ، الطبعـــــة الثانية — القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٨م •

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ الأدب العربى ، كارل بروكلمان ، الطبعة الرابعة، دارالمعارف القاهرة ، (د ، ت) ،

تاريخ الأدب العربى (العصر الجاهلى) ، تأليف : د ، ريجيـــــس بلاشير ـــ تعريب : د ، ابراهيم كيلانى ، دار الفكر/ دمشق ١٩٥٦م ،

تاريخ الأدب العربى (السلسلة) د ، شوقى ضيف ، الطبعـــــة السابعة /١٩٧٦ ـــدار المعارف بمصر / القاهرة ،

تاريخ بغداد ، للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغـــدادى (ت : ٤٦٣ هـ) الناشر : دار الكتاب العربى ـــ بيروت / لبنان (د ، ت ، ط)

تأويل مشكل القرآن ، لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبـــــــة (ت : ٢٧٦هـ) تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار احياء الكتب العربيـــة القاهرة ١٩٥٤م ،

التعريف بالقرآن والحديث ، تأليف : محمد الزنزاف ، الطبعـــة الثانية ١٤٠٠هـ ، دار الكتب العلميه ـــ لبنان / بيروت ،

تفسير البحر المحيط ، لابى عبد الله محمد بن يوسف بن حيـــان الأندلسى (٧٥٤هـ) مطبعة السعادة بمصر ـــ الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ ،

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

تفسير غريب القرآن ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ) تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية — بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، تحقيق : د . البنا وآخرون ، ط دار الشعب بالقاهرة . (د . ت) .

تفسير القرطبى = الجامع لأحكام القرآن .

التفسير والمفسرون ، د . محمد حسين الذهبى ، دار الكتب الحديثة القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

التفقيه فى اللغة ، لأبى بشر اليمان بن اليمان البندنيجى (ت : ٢٨٤هـ) تحقيق : الدكتور خليل العطية ، مطبعة العانى ببغداد ١٩٧٦م .

تنوير المقباس فى تفسير ابن عباس ، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت : ٨١٧هـ) الطبعة الثانية ١٣٧٠/١٩٥١ ، مطبعة البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة .

تهذيب الاسماء واللغات ، لابى زكريا محيى الدين بن شرف النووى (٦٧٦هـ) دار الكتب العلمية — بيروت . (د . ت ، ط) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

تهذيب الألفاظ = كنز الحفاظ

تهذيب اللغة ، لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت : ٣٧٠هـ)
تحقيق : عبد السلام هارون ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ١٣٨٤ / ١٩٦٤
القاهرة .

ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر . (د . ت ، ط) .

جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت : ٣١٠هـ) الطبعة الثالثة ١٣٨٨ / ١٩٦٨ ، مطبعة البابى الحلبى بمصر ـ القاهرة .

الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت : ٦٧١ هـ) الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

الجامع لشعب الايمان ، لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى (ت : ٤٥٨هـ) تصحيح وعناية : عزيز بيك القادرى ، الطبعة الأولى مطبعة العزيزية / حيدر آباد / الهند ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى (ت: ٣٢١هـ)
الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر آباد /الدكن/الهند .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الحجة فى القراءات السبع ، للامام ابن خالويه (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق : الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق / بيروت / القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

حجة القراءات ، لأبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجله ، تحقيق : سعيد الافغانى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، الطبعة الثانية .

حياة اللغة = تاريخ الأدب

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح القافية ، الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادى (ت : ١٠٩٣هـ) نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق . (د . ت) .

الخصائص ، لأبى الفتح عثمان بن جنى (ت : ٣٩٢هـ) تحقيق : محمد على النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر — الطبعة الثانية . (د .ت)

دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت / لبنان . (د . ط ، ت) .

دراسات فى العربية وتاريخها ، محمد الخضر حسين ، المكتب الاسلامى — دمشق ، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

دراسات فى فقه اللغة ، تأليف الدكتور / صبحى الصالح ، الطبعة الثالثة ٨٨ ١٣هـ ، دار العلم للملايين — بيروت .

دراسات فى القاموس المحيط ، د . محمد مصطفى رضوان ، الطبعة الأولى ٩٣ ١٣هـ/ ١٩٧٣م ، مطبعة الشروق — بيروت / لبنان .

الدراسات اللغوية عند العرب ، تأليف / محمد حسين آل ياسين منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

ديوان الأدب ، لأبى ابراهيم اسحاق الفاراتى (ت : ٣٥٠هـ) ، تحقيق : د . احمد مختار عمر ، طبع مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٩٤ ١٣هـ/ ١٩٧٤م .

رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات ، د . عبد الفتاح اسماعيل شلبى ، مكتبة نهضة مصر — الطبعة الأولى ٨٠ ١٣هـ .

رواية اللغة ، د . عبد الحميد الشلقانى ، مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

الزينة فى الكلمات الاسلامية والعربية ، تأليف الشيخ أبى حاتم احمد ابن حمدان الرازى (ت : ٣٢٢هـ) تعليق : حسين بن فيض الله الهمدانى الطبعة الثانية ١٩٥٧ ، دار الكتاب العربى / القاهرة .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

سر صناعة الأعراب ، أبو الفتح عثمان بن جنى (ت : ٣٩٢هـ) تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، مكتبة البابى الحلبى - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ .

سيبويه امام النحاة ، تأليف / على النجدى ناصف ، الناشر / عالم الكتب - القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ .

شرح أبيات سيبويه ، يوسف بن أبى سعيد بن المرزبان السيرافى (ت : ٣٨٥هـ) تحقيق : د . محمد على الريح هاشم ، مكتبة الكليات الأزهرية دار الفكر بالقاهرة ١٣٩٥/١٩٧٥ .

شرح الأشمونى على ألفية بن مالك " المسمى : منهج السالك " تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ١٣٧٥/١٩٥٥ - دار الكتاب العربى - بيروت .

شرح التصريح على التوضيح ، خالد بن عبد الله الأزهرى .
(د . ت ، ط ، ن) .

شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة المخزومى ، تأليف : محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ١٣٨٠/١٩٦٠ ، مطبعة السعادة / القاهرة .

شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ، تأليف : ابى احمد الحسن بن عبد الله العسكرى (ت : ٣٨٢هـ) تحقيق : عبد العزيز أحمد ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولى ١٣٨٣/١٩٦٣ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٧ ٠ (د ٠ ن) ٠

شفاء الغليل فيما ورد فى كلام العرب من الدخيل ، لشهاب الدين أحمد الخفاجى (١٠٦٩هـ) تصحيح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجى الطبعة الأولى ١٣٧١/١٩٥٢ ، مكتبة الحرم الحسينى - القاهرة ٠

الصاحبى - لابى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥ هـ) الطبعة الأولى ، طبع المطبعة السلفية ، القاهرة ١٩١٠ م ٠

الصاحبى ، لابى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : السيد احمد جعفر ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه / القاهرة (د ٠ ت ، ط) ٠

صحيح الامام مسلم بن الحجاج بشرح ابى زكريا بن يحى بن شرف النووى (ت : ٦٧٦هـ) (بدون تحقيق) المطبعة المصرية ومكتبتها (د ٠ ط ، ت) ٠

الصلة فى تاريخ علماء الاندلس ، تأليف : أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (٥٧٨هـ) تصحيح : السيد عزت العطار الحسينى ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ومكتبة المثنى ببغداد ٠

ضحى الاسلام ، تأليف : احمد أمين ، الطبعة التاسعة ١٩٧٩ م ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة ٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

طبقات فحول الشعراء ، تأليف : محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ) بشرح : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ـ القاهرة ١٣٩٤ / ١٩٧٤ .

العربية ، (دراسات في اللغة واللهجات والاساليب) تأليف : يوهان فك ، ترجمة : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

العقد الفريد ، تأليف : أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، شرح وترتيب : أحمد أمين وآخرون ، الطبعة الثانية ١٣٧٥ / ١٩٥٦ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

علم اللغة ، تأليف : د . علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر / القاهرة ، الطبعة السابعة . (د . ت) .

علوم القرآن الكريم ، د . عبد المنعم النمر ، دار الكتاب المصري / القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩ / ١٩٧٩م .

العمدة في محاسن الشعر ونقده ، تأليف : الحسن بن رشيق القيرواني (ت : ٤٦٣هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، دار الجيل ـ بيروت / لبنان .

عوامل تنمية اللغة العربية ، د . توفيق محمد شاهين ، مكتبة وهبة / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ / ١٩٨٠ ، مطبعة الدعوة الاسلامية ـ القاهرة

كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق : الدكتور / عبد الله درويش ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ العراق ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م الطبعة الأولى .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى (ت ٨٢٧ هـ) تحقيق : ابراهيم على سالم ، مطبعة دار الشعب ١٩٧٥ م .

غريب القرآن = تفسير غريب القرآن .

كتاب الغريبين ، لأبى عبيد أحمد بن محمد الهروى (ت : ٤٠١هـ) تحقيق : محمود محمد الطناحى ، طبع : لجنة التراث الاسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية — القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

الفائق فى غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشرى (ت : ٥٣٨ هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى ، الطبعة الثانية ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه . (د . ت) .

فتح البارى — بشرح صحيح البخارى ، للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت : ٨٥٢هـ) تحقيق : الشيخ عبد العزيز بن باز ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٣٨٠هـ .

فجر الاسلام ، أحمد أمين ، الطبعة الثانية عشرة ١٩٧٨ ، مكتبة نهضة مصر / القاهرة .

الفروق فى اللغة ، لأبى هلال العسكرى (ت : ٣٨٢ هـ) دار الآفاق الجديدة / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م .

الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم الظاهرة ، مطبعة محمد على صبيح / القاهرة . (ت . ط ، ت) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

فصول فى فقه العربية ، تأليف الدكتور/ رمضان عبد التواب ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م ، مكتبة دار التراث ـ القاهرة .

فقه اللغة وأسرار العربية ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى (ت : ٤٣٠هـ) منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت . (د . ت ، ط) .

فقه اللغة ، الدكتور / على عبد الواحد وافى ، دار النهضة ـ مصر/ القاهرة ـ الطبعة السابعة . (د . ت) .

فقه اللغة وخصائص العربية ، الأستاذ محمد المبارك ، الطبعة الخامسة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، دار الفكر ـ بيروت .

الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، تأليف : جرجى زيدان ، مراجعة وتعليق : مراد كامل ، دار الهلال ـ مصر ١٩٦٩م .

الفهرست ، لمحمد بن اسحاق المعروف بابن النديم (ت : ٣٨٥هـ) الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت / لبنان . (د . ت ، ط) .

فهرسة ماروايه عن شيوخه من الدواوين المصنفة فى ضروب العلم وأنواع المعارف ، لأبى بكر محمد بن خير بن عمر الأموى الأشبيلى (ت : ٥٧٥ هـ) ، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م ، منشورات المكتب التجارى بيروت ، ومكتبة المثنى ببغداد ، ومؤسسة الخانجى بالقاهرة .

فى الأدب الجاهلى ، د . طه حسين ، الطبعة الثالثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٥٢هـ .

فى اللهجات العربية ، دكتور / ابراهيم أنيس ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

القاموس المحيط ، تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت : ٨١٧هـ) تقديم وتعليق : أبو الوفا نصر الهوريني ، الطبعة الثانية ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة .

القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، دكتور/ عبد الصبور شاهين ، الناشر/ دار الكاتب العربى ـ القاهرة ، ومطابع دار القلم بالقاهرة ١٩٦٧م . (د . ط) .

القرآن (نزوله وتدوينه ، ترجمته وتأثيره) ألفه : بلا شير ، ترجمة : رضا سعاد ، دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٧٤ م .

القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية ، تأليف : الدكتور/ عبد العال سالم مكرم ، الطبعة الثانية ١٩٧٨م ، الناشر : مؤسسة على جراح الصباح للطباعة والنشر ـ الكويت .

قصة النقط والشكل فى المصحف الشريف ، د . عبد الحى الفرماوى دار النهضة العربية وبمطبعة حسان / القاهرة ١٣٩٨هـ . (د . ط) .

الكامل فى اللغة والأدب ، لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد (ت : ٢٨٥هـ) باشراف مكتبة المعارف / بيروت .

الكتاب أو " كتاب سيبويه " ، لأبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت : ١٨٠هـ) تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م والطبعة الثانية .

كشف الظنون عن اسامى الكتب والظنون ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة ، منشورات مكتبة المثنى ـ بغداد . (د . ت ، ط) .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

كنز الحفاظ فى كتاب تهذيب الألفاظ ، لأبى يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت (٢٤٤هـ) هذبه : الشيخ أبو زكريا يحى بن على الخطيب التبريزى وضبطه : الأب لويس شيخو اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٨٩٥م .

كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى (ت : ٩٧٥هـ) تصحيح : الشيخ صفوة السقا وآخره نشر مكتبة التراث الاسلامى ، حلب / سوريا ، الطبعة الأولى ١٣٩١ / ١٩٧١

لسان العرب ، لابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى (ت : ٧١١هـ) طبعة مصورة من طبعة بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

كتاب اللغات فى القرآن ، لابن عباس (ت : ٦٨هـ) ، تحقيق : د . صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، الناشر : دار الكتاب الجديد بيروت ١٣٩٢هـ .

اللغة العربية عبر القرون ، د . محمود فهمى حجازى ، دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٨م .

لمحات فى علوم القرآن وأتجاهات التفسير ، تأليف : محمد الصباغ المكتب الاسلامى - بيروت ١٣٩٤ / ١٩٧٤ .

لهجة تميم وأثرها فى العربية ، غالب فاضل المطلبى ، دار الحرية للطباعة / بغداد ١٩٧٨م .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

مااتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ، لأبى العباس محمد ابن يزيد المبرد (ت : ٢٨٥هـ) تصحيح : عبد العزيز الميمنى الراجكوتى الأثرى ، المطبعة السلفية ومكتبتها — القاهرة ١٣٥٠هـ .

مباحث فى علوم القرآن ، د . صبحى الصالح ، دار العلم للملايين بيروت — الطبعة العاشرة / عام ١٩٧٧م .

مباحث فى علوم القرآن ، تأليف : مناع القطان ، مؤسسة الرسالة بيروت — الطبعة الخامسة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

متخير الألفاظ ، أحمد بن فارس (ت : ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : هلال ناجى ، مطبعة المعارف ببغداد ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

مجالس ثعلب ، لأبى العباس أحمد بن يحى بن ثعلب (ت: ٢٩١هـ) شرح وتحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ١٩٤٨ ، دار المعارف بمصر .

مجمع الأمثال ، أحمد بن محمد بن أحمد الميدانى (ت : ٥١٨ هـ) تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما من ١٩٣٢ — ١٩٦٢ (مجموعة القرارات العلمية من د ١ — د ٢٨) اخراج وتعليق : محمد خلف الله أحمد، محمد شوقى أمين ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧١ .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات ، أبو الفتح عثمان بن جنى (ت : ٣٩٢هـ) تحقيق : على النجدى ناصف وآخران ، طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

المحكم : فى نقط المصاحف ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت : ٤٤٤هـ) تحقيق : د / عزة حسن ، طبع وزارة الثقافة والارشاد القومى بسوريا / دمشق ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

المخصص ، لأبى الحسن على بن اسماعيل - الاندلسى المعروف بابن سيده ، (ت: ٤٥٨) المكتب التجارى للطباعة والنشر . (د . ت) .

المدارس النحوية : تأليف د . شوقى ضيف ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م ، دار المعارف بمصر .

مدخل الى علم اللغة : دكتور : محمود فهمى حجازى عام ١٩٧٨ م دار الثقافة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية (معدله) القاهرة .

المدخل لدراسة القرآن الكريم : د . محمد محمد أبو شهبه ، الطبعة الثانية / ١٩٧٣م ، القاهرة الحديثة للطباعة .

مراتب النحويين : عبد الواحد بن على أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية ١٣٩٤ / ١٩٧٤م ، دار النهضة مصر / القاهرة .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبى شامة : شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ، تحقيق : طيار آلتى قولا ج ، دار صادر ، ١٣٩٥ ، بيروت .

المزهر فى علوم اللغة وانواعها : تأليف عبد الرحمن جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ) تحقيق : محمد احمد جاد المولى ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلى محمد البيجاوى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة (د . ط ت) .

كتاب المصاحف : للحافظ ابى بكر عبد الله بن أبى داود سليمان الاشعث السجستانى (ت ٣١٦هـ) تصحيح : د . آرثر جفرى ، الطبعة الاولى — ١٩٣٦ م / ١٣٥٥هـ ، المطبعة الرحمانية بمصر .

المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد على الفيومى (ت ٧٧٠هـ) تحقيق : د . عبد العظيم على الشناوى ، دار المعارف بمصر ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

المعاجم العربية : تأليف : د . عبد الله عبد الفتاح درويش ، مكتبة الشباب / القاهرة .

المعاجم العربية (دراسة تحليلية) : تأليف د . عبد السميع محمد أحمد ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م ، مطبعة دار الفكر العربى .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

معانى القرآن : تأليف أبى زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت : ٢٠٧) المطبعة الثانية ، ١٩٨٠ عالم الكتب / بيروت .

معانى القرآن : لأبى الحسن سعيد بن مسعدة ، المعروف (بالأخفش الأوسط) (ت: ٢١١هـ) ، تحقيق : د . فايز فارس ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ١٩٨١م ، الكويت (د . ن ، م) .

معجم الأدباء : ياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ) ، مطبعة دار المأمون القاهرة (د . ت ، ط) .

معجم البلدان : ياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ) مطبعة دار السعادة القاهرة ١٩٠٦م .

المعجم العربى (نشأته وتطوره) د . حسين نصار ، دار مصر للطباعة ـ القاهرة (د . ط ، ت)

معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخارى ، وصفه : محمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الثانية (د . ت)

معجم قبائل العرب : تأليف : عمر رضا كحالة ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ / ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة / بيروت .

معجم متن اللغة : الشيخ أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت / ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، نشره : د ٠ أ ٠ ى ٠ ونسنك ، مكتبة بريل فى مدينة لندن ، ١٩٣٦م ٠

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه : محمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت / لبنان (د ٠ت ، ط)

معجم مقاييس اللغه : لأبى الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، طبع دار الكتب العلمية ، ايران رقم (د ٠ ت) ٠

معجم المؤلفين : تأليف : عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى ودار احياء التراث العربى بيروت :/ لبنان (د ٠ ت ، ط)

المعجم فى بقية الأشياء : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى (٤٠٠هـ تقريبا) ، تعليق : ابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، الطبعة الاولى : ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٤م ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٣ / ١٩٣٤ ٠

المعجم الوسيط : أخرجه : ابراهيم مصطفى وآخرون ، مطبعة مصر — ١٣٨١هـ / ١٩٦١ م ٠

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

معرفة القراء الكبار ، لشمس الدين أبى عبد الله الذهبى (ت ٧٤٨ هـ)
تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، طبعة أولى ، دار الكتب الحديثة
القاهرة (د . ت) .

مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، تأليف : أحمد
ابن مصطفى ـ الشهير بطاش كبرى زاده ، تحقيق : كامل كامل بكرى وعبد
الوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديث / القاهرة ١٩٦٨م .

المقتضب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق :
محمد عبد الخالق عظيمه ، طبعه مصورة عن طبعة دار الكتب ، عالم الكتب
بيروت (د . ت) .

المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، د . محمد سالم محيسن
الطبعة الأولى : ١٣٨٩هـ/١٩٧٨م ، مكتبة القاهرة / القاهرة .

المقنع فى رسم مصاحف الأوصار (مع كتاب النقط) تأليف : الأمام
ابى عمر عثمان بن سعيد الدانى (٤٤٤هـ) تحقيق : محمد الصادق
قمحاوى ـ مكتبة الكليات الأزهرية / القاهرة .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

المفردات فى غريب القرآن : تأليف ابى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق : محمد سيد كيلانى دار المعرفة / بيروت (د ٠ ت ، ط)

المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، د ٠ جواد على ، دار العلا للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة ، ببغداد ، ط الاولى — بيروت — عام ١٩٧٢م ٠

مقدمتان فى علوم القرآن ، نشر : أرثر جفرى تصحيح : عبد الله الصاوى ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ٠

مقدمة الصحاح ، تأليف : احمد عبد الغفور عطار ، طباعة ونشر دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ٠

مقدمة فى أصول التفسير ، تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨) تحقيق : د ٠ عدنان زرزور ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة (بيروت) ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ٠

مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٥٠هـ) الطبعة الرابعة ، دار احياء التراث العربى ، بيروت لبنان (د ٠ت)

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

من اسرار اللغة ، تأليف : ابراهيم أنيس ، الطبعة السادسة الناشر/ مكتبة الانجلو - القاهرة ١٩٧٨م .

مناهل العرفان في علوم القرآن ، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (د . ت ، ط)

من الدراسات القرآنية ، د . عبد العال سالم مكرم ، المطبعة العصرية - الكويت ، مؤسسة علي جراح الصباح ١٩٧٨م .

المهذب في القراءات العشر وتوجيهها عن طريق طيبة النشر ، تأليف دكتور محمد سالم محيسن ، الناشر / مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ١٣٨٩ هـ ط الثانية .

الموافقات في أصول الأحكام ، لأبي اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ) تحقيق : محسن محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني بالقاهرة (د . ت ، ط) .

النبأ العظيم ، د . محمد عبد الله دراز ، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤ م ، دار القلم - بالكويت .

نحو وعي لغوي ، تأليف الدكتور : مازن المبارك ، طباعة مؤسسة الرسالة / بيروت عام ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م (د . ت ، ط)

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

نزهة للألباء فى طبقات الأدباء ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنبارى (ت ٥٧٧هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى : ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ، دار نهضة مصر / القاهرة .

نشأه الخط العربى وتطوره ، للاستاذ : محمود شكر الجيورى ، منشورات مكتبة الشرق الجديد ، بغداد .

نشأة اللغة عند الانسان والطفل ، د . على عبد الواحد وافـــى مكتبة غريب / القاهرة (د . ط ، ت)

نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، الشيخ : محمد الطنطاوى دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

النشر فى القراءات العشر ، لمؤلفه : الحافظ ابى الخير محمد محمد الدمشقى (ت ٨٣٣هـ) الشهير بابن الجزرى ، تصحيح : على محمد الضبـاع مطبعة محمد مصطفى / القاهرة (د . ت ، ط)

نظرات فى اللغة ، الدكتور : محمد مصطفى رضوان ، منشورات جامعة قاريونس ، الطبعة الاولى عام ١٩٧٦م ، بنغازى - ليبيا .

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

النهاية فى غريب الحديث والأثر ، للامام مجد أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ، المعروف بابن الأثير : ٦٠٦ هـ ، تحقيق : محمود محمد الطناحى وطاهر أحمد الزاوى ، الناشر المكتبة الاسلامية - بيروت ، الطبعة الاولى : ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م .

الوساطة بين المتنبى وخصومه ، للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى (ت: ٣٦٦هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه / القاهرة .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت: ٦٨١هـ) تحقيق : د . احسان عباس ، طبع دار الثقافة بيروت (د . ت)

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

محتويات الرسالة

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

محتويات الرسالة

رقم الصفحة

مقدمـــــــــة ٥

:: الفصل الأول ::

((القـــرآن الكريـــــــم))

(١٠ — ٥٠)

معناه واشتقاقه ١١

توثيق نصه الشريف ١٦

١ــ تنزلاته ١٦

٢ــ توثيقه بالحفظ والاستظهار ٢٠

ــ شبهة مردودة ٢١

٣ــ توثيقه بالجمع والتدوين (٢٣ — ٣٦)

أ ــ في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم ٢٣

ب ــ في عهد ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) ٢٧

جـ في عهد عثمان (رضي الله عنه) ٣١

٤ ــ توثيقه بالرسم والضبط ٣٧

قراءاتـــــــــه (٤٠ — ٥٠)

ــ تعريف بها ٤٠

ــ تاريخهـــا ٤٤

ــ انواعهـــا ٤٧

ــ ضوابط القراءة الصحيحة ٤٩

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

:: الفصل الثانـــى ::

((لغـــة القـــرآن))

(٥١ — ٧٢)

رقم الصفحة

— معناهـا ٥٢

— نشأتهـا ٥٢

— اكتمالها ٥٥

— أصل الفصحى ٥٦

— أثر الاسلام فيها ٦٦

:: الفصل الثالـــث ::

((جمـــع اللغـــــة))

(٧٣ — ١٤٤)

— مقدمة ٧٤

— الدافع اليه ٧٥

— اللحن : ٧٦

— تعريفه به ٧٧

— ظهوره وانتشاره ٨٠

— أخذ اللغة : (٨٣ — ١٠٤)

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

	رقم الصفحة
أولا : الرواية	٨٤
ـ المراد بها	٨٤
ـ الراوية فى الجاهلية	٨٥
ـ الرواية فى الاسلام	٨٧
ـ الرواية اللغوية	٩٠
أ ـ رحلة العلماء إلى البادية	٩٢
ب ـ الأخذ عن فصحاء الأعراب	٩٦
جـ ـ الرواية عمن روى من الأعراب	١٠٠
ثانيا : تدوين اللغة	١٠٢
ـ التأليف اللغوى	(١٠٥ ـ ١٤٤)
ـ مراحله	١٠٥
ـ معنى كلمة معجم	١١١
ـ اول من استخدمها	١١٣
ـ أنواع المعاجم	١١٦
الأول : معاجم المعانى	١١٦
كتاب الألفاظ	
روايته	١١٧
تحليله	١١٨
قيمته	١٢٢
الثانى : معاجم الألفاظ	١٢٣

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

	رقم الصفحة
كتاب العيـــن	(١٢٥ - ١٤٥)
ـ آراء في مؤلف العين	١٢٥
ـ توثيق العيـــن	١٣١
ـ منهجـــــه	١٣٤
ـ مادتـــــه	١٤٠
ـ تأثره بالقرآن	١٤٣

:: الفصل الرابـع ::

((ضبـــط اللغـــــة))

(١٤٥ ـ ٢٠٧)

مقدمـــة	١٤٦
النقط والشكل	(١٤٨ ـ ١٦٤)
أولا : النقط	١٤٨
أ ـ نقط الاعراب	١٤٩
ب ـ نقط الاعجام	١٥٣
ثانيا : الشكـــل	١٥٩
ـ المؤلفات فيهما	١٦٣
الدراسة الصوتية	(١٦٥ ـ ١٧٦)
ـ نشأتهـــا	١٦٥
ـ معالجة القدماء لها	١٦٦
١ ـ الخليل والأصوات	١٦٩
٢ ـ سيبويه والأصوات	١٧٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

رقم الصفحة

الدراســـــة النحويـــــة	(١٧٧ ـ ٢٠٧)
ـ الدافع اليها	١٧٢
ـ وضعها وواضعها	١٨٠
ـ نشأتها وتطورها	١٨٦
• كتاب سيبويـــه	(١٩٤ ـ ٢٠٧)
ـ توثيقه	١٩٤
ـ اسمه ومكانته	١٩٦
ـ مادتـــــه	١٩٧
ـ شواهـــده	١٩٩
ـ أسلوبـــــه	٢٠١
ـ منهجـــــه	٢٠٣

:: الفصل الرابـــع ::

((التفسير اللغـــــــوى))

(٢٠٨ ـ ٢٧٩)

ـ معناه	٢٠٩
ـ دواعيه	٢١٠
ـ نشأته وتطوره	٢١٢
ـ مصادره	٢١٨
ـ ارتباطه باللغة	٢٢١
ـ أقسامـــه	٢٢٢

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

	رقم الصفحة
أولا : غريب القرآن	(٢٢٤ - ٢٥٦)
— المراد بالغريب	٢٢٤
— موقف الرسول صلى الله عليه وسلم	٢٢٥
— مدرسة ابن عباس رضى الله عنه	٢٢٦
— المؤلفات فى غريب القرآن :	٢٣١
١ — مجاز القرآن :	(٢٣٣ — ٢٥٠)
— الدافع الى تأليفه	٢٣٣
— رواياته	٢٣٦
— مادته	٢٣٧
— مميزاته	٢٤٩
٢ — تفسير غريب القرآن :	(٢٥١ — ٢٥٦)
— غرضه	٢٥١
— منهجه	٢٥٢
— التأثير والتأثر فيه	٢٥٥
ثانيا : لغات القرآن :	(٢٥٧ — ٢٦٤)
— المراد بها	٢٥٧
— الدافع اليها	٢٥٧
— أول من صنف فيه	٢٥٨
— وصف الكتاب	٢٥٩
— طريقته	٢٦٠
— مؤلفات أخرى	٢٦١

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

رقم الصفحة

ثالثا : معانى القرآن (٢٦٥ ـ ٢٧٩)

ـ ما المعانى ٢٦٥

ـ كتب معانى القرآن ٢٦٥

ـ معانى القرآن للفراء

ـ سبب تأليفه ٢٦٨

ـ قيمته العلمية ٢٦٩

ـ منهجـــــه ٢٦٩

ـ تحقيب ٢٧٧

ـ خاتمـــــة

ـ المصادر والمراجـــع

ـ محتويات الرسالـــة

* * * * * *